الإيزيدية ما بعد داعش

د. خليل جندي رشو

الكتاب: الإيزيدية ما بعد داعش

المؤلف: د. خليل جندي رشو

رقم الإيداع: ١٦٠٤٩ / ٢٠٢٤
الترقيم الدولي: 978-977-493-722-4
الطبعة: الأولى / ٢٠٢٤

صورة الغلاف: سلام سلو

الناشر
شمس للنشر والإعلام
القاهرة - مصر

ت فاكس: ٠١٢٨٨٨٩٠٠٦٥ (٠٢)
www.shams-group.net
shams@shams-group.net

حقوق الطبع والنشر محفوظة
لا يُسمح بطبع أو نشر أو تصوير أو تسجيل
أي جزء من هَذا الكتاب بأي وسيلة كانت
إلا بعد الحصول على موافقة كتابية من الناشر

شمس
للنشر والإعلام

الإيزيدية ما بعد داعش

مواجهة التحديات والتفكير في المستقبل

د. خليل جندي رشو

إهـداء

إلى روح الفقيدين:

جميل أسود... المعلم الأول

عيدو حاجي إسماعيل بابا شيخ... الأخ والصديق.

المؤلف

محتويات الكتاب

- مقدمة المؤلف ١١
- تمهيد / سفو قوال سليمان ١٣

• القسم الأول: السياسي و الهوية

- الإيزيدية إلى أين ؟! ٢٥
فك لغز استسلام الإيزيدية ٢٥
مواقف تنتظر الإيزيدية لمواجهة تحديات الزمن ٢٦
دور القيادة ٢٧
دور الأنظمة والأحزاب الحاكمة على وحدة الإيزيديين ٣٠
- أي منهج نريده ؟ ٣٦
في مفهوم الإصلاحات ٤١
خاتمة واستنتاجات ٤٩
- الإيزيدية والمستقبل المجهول ٥٣
- حوار حول مرحلة ما بعد (داعش) وما على الإيزيدية فعله ٦٢
- الموقف من السبايا الناجيات معيار مصداقية الإيزيديين ٦٨
- حول الهوية الإيزيدية ٧٧
- قرار المجلس الروحاني الأعلى للإيزيدية رقم (١٦) ٨٥

• القسم الثاني: تشويه التاريخ ومعاداة الرموز

- إثبات عراقة الديانة لا تتحقق بالأمنيات ١٠٥
- الشيخ آدي مجدد الديانة وليس مؤسسها ١١٨
- حملة معاداة الشيخ آدي إلى أين ١٤١

- توضيح للسيد حاجي علو ١٤٥
- هل هو لغط وتشويه للديانة أم محاولة للقيام بمغامرة فكرية؟ ١٥١
- تحويل اتجاه التاريخ ١٥٨
- العدو يرى في عدوه جميع الصفات الرديئة ١٦٠
من هو (ايزدينه مير)؟ ١٦٣
الصراع بين الجهل والعلم والسياسة تطمس الحقائق ١٧٠
الشيخ آدي بن مسافر لم يكن لاجئًا في لالش ١٧١
الآريون المستعربون ١٧٨
- خاتمة القسم الثاني ١٨٥

• القسم الثالث : آراء و معالجات

- موجز تاريخ الإمارات الإيزيدية ١٩٧
- هل ستبقى الإمارة في العمارة؟ ٢٠٨
ملامح ومقومات بقاء الإمارة ٢١١
بعض الحقائق والبديهيات بعد إبادة إيزيدية سنجار..... ٢١٣
- فلسفة الحكم من الحق الإلهي إلى الحُكم الشعبي ٢١٦
- لولا جريمة الأميرين ٢٢٥
- سيدة تخرج من سياق اللباقة ٢٢٨
- هل هي بداية نهاية الإمارة؟ ٢٣٥
- لماذا التخوف من انضمام معبد لالش للتراث العالمي؟ ٢٣٩
- أين تكمن عِلة تدهور الوضع الإيزيدي؟ ٢٤٤
- تنحي السيد حازم تحسبن بك أصبح مطلبًا مُلّحًا ٢٤٦
- رأي في الإصلاحات ٢٥١
- أي مؤتمر تنظره الإيزيدية؟ ٢٥٦
• المصادر و المراجع ٢٧١
• نبذة عن الباحث ٢٧٧

مقدمة المؤلف

كان الإيزيديون، أسوة بباقي مكونات الشعب العراقي، يتأملون خيرًا بعراق جديد ما بعد سقوط النظام الديكتاتوري في نيسان 2003، عراق يسوده العدالة والمساواة وحقوق الإنسان والتعايش السلمي بين القوميات والأديان والمذاهب، دولة المواطنة الحقة تحفظ للشعب العراقي كرامته وأمنه واستقراره... إلاّ أن الذي حدث خلال السبعة عشر السنة الماضية جلب الكوارث والويلات ودمَّر عراق الحضارة وأوصله إلى حافة الانهيار في كافة المجالات تقريبًا، بسبب أخطاء الولايات المتحدة الأمريكية التي أسقطت النظام وسلَّمت الحُكم إلى الأحزاب الدينية والقومية وأسَّست لصراعات إقليمية ومذهبية والتطرف والأفكار التكفيرية، تلك الأفكار التي لجأ إليها الرئيس العراق الأسبق صدام حسين في حملته الإيمانية، ونمت عام 2005 وزادت وتيرتها في الأعوام اللاحقة...

كان، ومازال، الشعب العراقي عمومًا ضحية تلك الصراعات، أما الخاسر الأكبر كانوا من المكونات الدينية والإثنية من الصابئة المندائيين والمسيحيين والكاكائيين والإيزيديين، فقد طالهم عمليات القتل والتهجير والاستيلاء على أراضيهم وممتلكاتهم. وكان حصة الأسد للمكون الإيزيدي من خلال تعرضه لإبادة إيزيدية سنجار/ شنكال في الثالث من آب 2014!

آثار تلك الإبادة صارت معروفة على المستوى الداخلي العراقي والإقليمي والدولي، ووصلت إلى أعلى هيئة دولية وهي هيئة الأمم المتحدة ومنظمة حقوق الإنسان في جنيف، وبرلمانات العديد من دول العالم الحر ومنه البرلمان الأوروبي.

أما تداعيات تلك الإبادة على المستوى الداخلي الإيزيدي فقد كانت كبيرة وأكثر من قاسية ومدمرة، حيث أصابت بعمق النسيج الاجتماعي،

وهزّت حتى البنية الفكرية للفرد الإيزيدي تجاه نظرته إلى السياسة والأحزاب والقومية والقيادة ومفاهيم حقوق الإنسان وحتى النظرة إلى الدين نفسه.

إن العديد من المقالات والدراسات التي كتبتُها خلال المرحلة التي نحن بصددها، ما زالت تحتفظ بحيويتها، وهي/ تلك المقالات، تحمل رؤيتي وأفكاري على تلك الفترة الحساسة من عمر المجتمع الإيزيدي، يتضمن هذا الكتاب بعضًا منها، وقد رأيت العنوان (الإيزيدية إلى أين؟) الذي اختاره موقع بحزاني نيت عام 2012، للحوار والمناقشة مع بعض الكتاب الإيزيديين، كأفضل عنوان ينسجم مع الوقت الحالي وما زال هو العنوان الأبرز الذي يواجه جميع شرائح المجتمع الإيزيدي. فضلاً عن ذلك اخترت كلمة الأخ الإعلامي السيد سفو قوال سليمان/ رئيس إدارة موقع بحزاني نيت، الذي كتبه آنذاك مفتاحًا للحوار، كتمهيد لكتابنا بعد أخذ موافقته، وهنا أقدم لأخي الفاضل سفو قوال سليمان، شكري العميق على جهوده ودوره الرائع لتطوير الإعلام من خلال منبر بحزاني نيت.

رأينا من المناسب توزيع هذا الكتاب إلى ثلاثة أقسام وحسب مضمون المواضيع المطروحة، القسم الأول: حول السياسة والهوية، القسم الثاني: تضمين ما يدور جول تشويه التاريخ ومعاداة الرموز الدينية، وفيه تم إضافة مقال يعود تاريخه إلى فترة أقدم وذلك لأهميته، أما القسم الثالث والأخير فقد احتوت على تلك المقالات التي تطرح الآراء والمعالجات مع بقاء باب الحوار والنقاش مفتوحًا.

خليل جندي

كوتنكن في 1/ 3/ 2021

تمهيـد

سفو قوال سليمان
رئيس إدارة موقع بحزاني نيت

نحن في بحزاني نيت نتخذ من الحوار ومبادئه طريقًا ومنهجًا لنا.

الحوار هو طريقنا، هذا هو شعارنا منذ أن بدأنا رحلتنا في هذا العالم الإنترنتي المفتوح، كجهة إعلامية حرّة، كانت ولا تزال تفتح الطريق أمام الرأي والرأي الآخر.

لهذا تسعى بحزاني نيت على الدوام إلى فتح آفاق جديدة للحوار بين أصحاب الآراء المختلفة، كسبيل يمكّن كلّ الأطراف الوصول إلى بعضٍ من الحقيقة المفقودة.

في حوارٍ سابق تحت عنوان "الإيزيديون إلى أين؟" تناولنا في بحزاني نيت راهن الإيزيديين وأحوالهم على المستوى السياسي وتطوراته، وحاولنا جهدنا لفتح آفاق جديدة ورؤى جديدة لمستقبل الإيزيديين.

أما في حوارنا هذا فسنتناول جانبًا أخر، هو شائك على أية حال، ولطالما اعتبر على مستوى كثيرين على أنه "تابو" وكُتِب على بابه "ممنوع الدخول".

نقولها بكلّ صراحة وشفافية، إنّ الموضوع الذي سنسعى إلى فتح أبوابه على الرأي والرأي الآخر، هو موضوعٌ جدًّا مهم وجدًّا حساسّ في آن.

الإيزيدية كدين "مهدد"، تشبه زورقًا بلا ربان، يبحر في محيطٍ تضربه الأمواج والعواصف من كلّ حدبٍ وصوب. لا يسمع المرء في هذا الجو "المهدد" بأكثر من عاصفة "تسونامي" إلا ضجيجًا، وصخبًا، وصراعًا، ونزالاً. أما السفينة فليس لها إلا المزيد من الإبحار في المجهول. هكذا

هو حال الإيزيديين والإيزيدية، حيث لا نظم ولا مؤسسات دينية تنظم شئونها، ولا قوانين ولا دساتير دينية تفصل وتحكم في أمورها. كلُ يحمل قانونه في جيبه، وكلّ يأخذ من الدين ما يتناسب مع مزاجه. من هنا لن نبالغ لو قلنا بأنّ الإيزيدية لم تتقدم خطوة واحدة نحو الأمام، منذ زمن طويل، لا بل انها في تراجع. والسؤال هو كيف لهذه السفينة أن تنجو، لينجو ما عليها من إيزيديين؟ كيف يمكن إنقاذ الإيزيدية من الغرق وسط هذا البحر الهائج؟

تاريخ هذه الديانة يقول، بالرغم من أنها مرَّت بفرمانات وظروف مريرة ومريعة، إلا أنها نجت ونجحت في تخطي أصعب المحن وأحلك الظروف، مما جعل الكثير من الكتاب والباحثين يذهلون من قوة هذه الديانة وإصرار أهلها على البقاء، رغم المحن والويلات وحملات الإبادة الجماعية المتلاحقة.

لا شكّ في أنّ الإيزيدية نجحت في مقاومتها زمن الحرب والإبادات، لكنّ السؤال الصعب الآن، هو هل ستستطيع حصاد ذات النجاح بذات المقاومة في زمن السلم والعولمة؟

سؤال شائك، يحتاج إلى أجوبة كثيرة.

أكثر ما تفتقرها الإيزيدية كدين، هو المؤسسة الفاعلة. فمن المعروف أنّ المؤسسة الدينية الإيزيدية الممثلة بالمجلس الروحاني الإيزيدي الأعلى، وما يتبعه من مؤسسات، تفتقر لرؤية موحدة للخطاب الديني، حيث ان لكل رجل دين، وكل عضو في الهيئة الاستشارية، فكر وتحليل ورؤية ووجهة نظر دينية مختلفة عن الاخر، لدرجة أنّ كلّ هؤلاء اختلفوا حتى في ادق المسائل الاساسية والمصيرية. المؤسسة الدينية الإيزيدية، مؤسسة مظهرية شكلية غير فاعلة، وليس لها أيّة محاولات أو أدوات لتوحيد الخطاب الإيزيدي.

المجلس الروحاني الإيزيدي يشبه قطعة أثرية غير واضحة المعالم (سريالية إلى حدٍّ كبير)، موضوعة على رفوف لالش. هو مجلس لا يعيش داخل الإيزيدين ولا الإيزيديون يعيشون داخله. فلا دور فاعل له في أية قضية إيزيدية مهمة أو غير مهمة. ولا ثقافة دينية تليق بأعضائه، ولا برامج مستقبلية لتطوير عمله. هو مجلس لا يقود الإيزيديين بل

ينقاد، تاركًا إياهم يواجهون مصيرهم وسط أكثر من قادم مجهول.

أما رجال الدين فأعدادهم في تناقص مستمرّ وخطير، حيث لا يخضعون لقانون أو آلية تنظم عملهم، أما القوانين والأعراف الدينية السابقة التي كانت تدار بها عملهم، فقد استهلكت وغيبت. كذلك الحال بالنسبة للمدارس الدينية لإعداد رجال الدين التي فتحها اجدادنا فقد اندثرت. مهمة رجل الدين، التي من المفترض بها أن تكون دينية صرفه، اصبحت اجتماعية أكثر مما هي دينية، حيث تأمين لقمة العيش أصبح الهدف الاساس له. ذات الشيء يمكن سحبه على الشيوخ والابيار، المربين الدينيين الحقيقيين سابقًا، أيضًا، هؤلاء انسحبوا من المشهد الديني الإيزيدي، وتركوا مهامهم الدينية واندمجوا في حياة العامة ودنياهم التي قلّما تجد فيها الدين وأحواله. فنادرًا ما تجد أحدهم يتقن العلوم والطقوس الدينية. أما فقراء سنجار الذين برزوا في مجال العلوم الدينية، فهم الآخرون يعملون من دون بوصلة دينية تقودهم، فلا تنظمهم هيئة دينية مختصة، الكلّ يجتهدون فرديًا لتطوير قدراتهم الدينية.

لا شكّ أن هناك الكثير من الكتاب والباحثين وأصحاب الشأن ممن كتبوا وبحثوا، قليلاً أو كثيرًا في أحوال "السفينة الإيزيدية" التي تلاطمها الأمواج وسط بحر العولمة والحداثة.

بهذا الصدد يقول الباحث الدكتور خليل جندي "أن الأزمة التي تمر وتتخبط بها الإيزيدية ليست حديثة العهد، بل أنها أزمة مستفحلة. الإيزيديون كديانة يعانون من عدة أزمات خطيرة في مقدمتها أزمة القيادة وعدم وجود مرجعية دينية فاعلة، أزمة النظام والميكانزيم الديني الهلامي وتشابك الموروث العشائري الرجعي مع الموروث الديني القدسي، أزمة الاغتراب والشعور الدائم بالنقص، وجود العديد من بقايا آثار العبودية ضمن النسيج الاجتماعي للمجتمع الإيزيدي، إلى غير ذلك من العقد المستعصية التي يفترض أن تعالج وتبحث عن حلول لها... ".

- إيزيديون بدون إيزيدية!

مجتمع إيزيدي يسير نحو السراب، يتخلى عن كل شيء ويترك كل موروثه وراءه، إيزيديون بلا شوارب، حيث كانت تلك الشوارب والطوق أشبه ما

تكون بهوية الإيزيدي اليس امرًا غريبا ان تبحث عن شاب بشوارب في قرى سنجار المعروفة بتشددها الديني وتمسكها بتراثها، في الوقت الذي لازالت القرى العربية المحيطة بشنكال تحتفظ بتقاليدها. فلو حصل ذلك في اوروبا لفهم الأمر. لكلّ دين عاداته وتقاليده، حرامه وحلاله، ثابته ومتغيّره. التغيّر حاصل، ويجتاح كل شعوب العالم وأديانه، هناك كثير من الأفكار والمعتقدات التي كانت تعتبر من صلب الدين والعقيدة الإيزيدية، أصبحت الآن خارج الاعتقاد والتدين.

أليس خطرًا كبيرًا أن يكون التغيير سريعًا وعفويًا من دون أن يكون تغييرًا مُمنهجًا خاضعًا للقيادة الإيزيدية؟

لكنّ السؤال هو ما العمل، طالما أنّ التغيير يحدث في المجتمع من تلقاء نفسه؟

هل نعتبر الأمر كأن هناك إيزيدية من دون إيزيديين؟

ثم ما هو تعريف الإيزيدي؟

ماهي المعايير الدينية التي من الواجب الديني أن يلتزم بها الإيزيدي؟

أسئلة بسيطة، لم يجب عليها هذا المجلس الديني حتى الآن؟

إذا كان الأمر كذلك، إذن ما هو عمله، ماهي صلاحياته، وكيف يمكن أن يكون مجلسًا دينيًا روحانيًا لعموم الإيزيديين في العالم، ولم يحدد لإيزيدييه حدود إيزيديتهم؟

إذا كان هذا المجلس لا يستطيع أن يفصل في أمور الدين، حلالاً أو حرامًا، فمن هو ذا الذي يستطيع؟ أليس ذلك يعني هروبًا من المسؤولية وترك السفينة الإيزيدية تغرق في بحر كلّ هذه الأسئلة التي تواجهها من دون أية أجوبة؟

- الإيزيدية كدين قديم وتحديات العالم الجديد

العالم أصبح قرية كونية صغيرة، بلا حدود. الكل بات يعرف أخبار وأحوال الكل. ولا ننسى أنّ الدين هو ظاهرة مجتمعية تتطور بتطور المجتمع. وربما من هنا بالتحديد يمكن فهم الصراع التاريخي بين القديم والجديد. لا شكّ أن لكلا التيارين في الإيزيدية ظروفه ومقومات ثباته أو

تغيّره. والقضية هنا تحديدًا ليست قضية أن تكون مع هذا ضد ذاك أو العكس، وإنما القضية تكمن في السؤال الآتي: كيف يمكن للإيزيدية أن تصمد، أو لسفينتها أن تنجو بنفسها في ظلّ كلّ رياح التغيير التي تهبّ من كلّ حدبٍ وصوب؟

الإيزيديون موجودون في قلب أوروبا وحضارتها القوية جدًا منذ أكثر من أربعين عامًا، حيث المخاطر تتزايد يومًا إثر آخر، بسبب كونهم مادة بشرية خامة، بعادتها وطقوسها الدينية التي لا تزال غير مدوّنة. هم يواجهون في هذه البلدان حضارة قوية جدًا تؤثر فيهم كثيرًا، وتضعهم أمام أكثر من تحدي وتهديد لخصوصياتهم. فلا مراكز "دينية حقيقية "في اوروبا تحميهم، ولاوجود لرجال دين يرشدونهم إلا ما ندر. أما المؤسسة الدينية فتقف موقف المشاهد، حيث لا حول لها ولا قوّة.

إزاء وضعٍ مهددٍّ ومصيرٍ مجهولٍ كهذا، أليس لنا أن نسأل كلّ إيزيدية وإيزيدي وكل مهتم بهذا الشأن، أيًا كان موقعه، ما هو الحل أو ما العمل؟

أليس لنا أن نعرض كلّ ذلك أمام أعين الكلّ، ليدلي كلّ بدلوه في هذا الموضوع الحساس والمهم والضروري جدًا؟

نعلم أنّ هناك اتجاهين ثقافيين مختلفين، يتبادلان الأفكار ووجهات النظر في هذا الموضوع: تيار الإصلاحيين وتيار المحافظين. التيار الإصلاحي يدّعي تمسكه بمبادئ الحداثة وقيم الليبرالية تجاه متغيرات العصر. هناك من يفهم هذا التيار للوهلة الأولى بأنه "ضد الدين" أو يستهدف إزالة الماضي وتغييب كلّ ما خلفه من تراث بدعوى العصرنة لضمان التقدم ونبذ التخلف. الأمر الذي يثير حفيظة البعض من أندادهم ويدفعهم إلى التمسك بكل الدين لأن الإصلاح بحسبهم يعني التخلي عن الأصالة تمامًا. أما المحافظون فيدعون التمسك بالأصالة أو كلّ ما هو أصيل، دون التخلي عن أيّ قديم من صلب الدين، ومع ذلك يرون بأنّ ذلك لا يتعارض مع قيم الحداثة، أي إنهم مع القديم والجديد في آن، ويرون مهمتهم تكمن في ترويض هذه الثقافة لا نبذها.

لكنّ الإصلاحيون لا ينظرون إلى المحافظين كما هم يرون لأنفسهم. هم يعتبرون التيار المحافظ متمسكًا بمنهجية صارمة تبلغ الحد في بعض

جوانبها إلى الرفض المطلق لكل ما هو حديث وجديد وضروري لإدامة علاقة الدين بالعامة. في حين أنّ المحافظين يقولون إنهم يعبرون عن حالة الممانعة والرفض للانفتاح غير الممنهج بوجه الثقافة الأجنبية وقيمها الدخيلة على الإيزيدية، والتي تشكل خطرًا كبيرًا على الهوية الإيزيدية من الداخل .

كلا الرأيين لا يزالان محل نقاش كبير، كما قرأنا لأصحابهما ولا نزال.

كلاهما يقول بأنه الصحيح، والآخر هو على خطأ.

إذا اعتبرنا ذلك قضية ثقافية قابلة للنقاش والاختلاف، فما هو موقف رجال الدين والمجلس الروحاني الإيزيدي من ذلك. أليس ذلك أمرًا يستحق الفصل فيه؟

إن النهضة الثقافية والفكرية لأي مجتمع لا يكتب لها النجاح إلا بمستوى ما تمتلكه اطروحتها من القوة في ملامسة الواقع والتأثير على مجراه. من هنا كان هذا الحوار الذي تنبع اهميته من أهمية العلاقة بين الدين والمجتمع، وذلك للدفع بهذا الأخير نحو المزيد من الحراك الفكري والثقافي، ولأجل تطوير النظم الدينية والاجتماعية بما يمكن لها أن تستوعب هموم ومتطلبات اجيال المستقبل.

من جهتنا كجهة إعلامية حرة مستقلة، تهتم بالشأن الإيزيدي بشكل خاص وشئون الأقليات الأخرى بشكلٍ عام، نرى ان كلا التيارين مهمان، وكلاهما ضروريان لأجل إنقاذ السفينة الإيزيدية من الغرق. كلاهما غيوران على الإيزيدية، كلٌّ حسب أفكاره وطرقه وأدواته واساليبه الخاصة، وبشكل ينسجم مع الحفاظ على الهوية الخاصة الإيزيدية. ان اهم ما يحتاجه هذان التياران هو الحوار الهادئ الهادف البناء، بعيدًا عن التشنج والغاء أو إقصاء الآخر، وذلك على أسس فهم الآخر وقبوله من منطلق الرأي والرأي الآخر. لهذا على الكلّ أن يتحاور بهدوء وبمسئولية فائقة.

إن المجتمع الإيزيدي الحاضر الذي عرضنا بشكل مبسط صورته الراهنة، هو في حركة وتحول متسارعين، من هنا نرى بأنه من الصعوبة بمكان أن تصمد صورته الحاضرة أمام حركة الزمن طويلا حتى تتبدل لصورة لا

يعرف شكلها ومداها في المستقبل. فلابد من طرح سلسلة أفكار ثقافية تتعلق بإعادة ترتيب البيت الإيزيدي من الداخل، ليتلاءم مع تغيرات عصرنا هذا، كما لابد من خلق حراك فكري ثقافي يدفع بالقوى الفاعلة في المجتمع نحو إعادة النظر في القضايا المطروحة الراهنة للعمل على الاستعداد المبكر لمواجهة الأزمة المتسارعة في الاستفحال داخل المجتمع الإيزيدي.

- أسئلة عديدة تطرح نفسها للحوار

* متى ينهض المجلس الديني من سباته ونومه العميقين؟

* ما هي الميكانزيم التي من الممكن أن يتطور المجلس الروحاني من خلالها، ليكون على مستوى التحديات التي تواجه الإيزيدية والإيزيديين؟

* كيف يمكن التوفيق اليوم، بين "الإيزيديين الجدد" و"الإيزيديين القدماء"؟

* من هو الإيزيدي، ما الذي يحدد للإيزيدي هويته، ومن ذا الذي يحددها؟

* كيف لنا ان نحافظ على الإيزيدية في زمن العولمة؟

*كيف يمكن أن نحافظ على العلاقة بين الإيزيديين والإيزيدية، في ظلّ كلّ هذه التغيرات، وفي زمن تتسارع فيه هجرة عشرات الآلاف إلى الدول الأوربية وحضارتهم القوية؟

* عادة تقبيل الايدي باستثناء رجال الدين الفعليين والكبار في السن اين نقف منها؟

* لماذا يُخشى على الدوام من أن تتحول الهجرة من الوطن إلى هجرة من الدين؟

* ما سبب هذا الهروب الجماعي من أداء الطقوس والعادات والتقاليد والتخلي السهل عنها؟

* هل التمسك بالدين يعني أن تكون ضد الحداثة وقيمها؟

* هل الإيزيدية عصيّة على الدخول في العالم الجديد وقيمه الجديدة؟

* ماهي المعوقات التي تقف بوجه الإيزيديين للدخول في هذه القيم، وهل هي معوقات اجتماعية تتعلق بالقيم العشائرية، أم هي معوقات دينية تتعلق بالدين وأساسياته؟

* رجال الدين في أيّ دين، ينظمهم في العادة، قانون يوفر لهم لقمة عيش محترمة ويطور قدراتهم الدينية، ويلزمهم بأخلاقيات محددة. أما رجال ديننا فيستجدون رزقهم، يقتلهم الجوع عندما يكبرون. ما هو المخرج من هذه المعضلة؟

* رجال الدين في الأديان الأخرى، يدخلون المدارس الفقهية ويحصلون على شهادات عليا. أما رجال ديننا فهم أميون حتى العظم ويتصرفون وفق قاعدة (حارة كل من ايدو ألو!). ماهي الحلول الممكنة لذلك؟

* كيف يمكن لثقافة أهل المؤسسة الدينية الإيزيدية أن تتلاءم مع ثقافة عصر العولمة والفيسبوك، حيث هناك الأمية هي التي تحدد كلّ شيء، أما هنا فلا حدود لأي شيء؟

* كيف يمكن أن يدار المجمع الإيزيدي دينيًا واجتماعيًا، كي تنجو السفينة الإيزيدية بأقل قدر ممكن من الخسائر؟

* لماذا تفتقد المؤسسة الدينية الإيزيدية إلى أبسط مقومات المؤسسة، حيث لا اجتماعات جدية، ولا بيانات رسمية، ولا أفعال حقيقية تجاه كلّ ما يجري في المجتمع الإيزيدي؟

* أليست هذه المؤسسة، هي المسؤولة الحقيقية أمام الله والعالم، تجاه إيزيدييها؟

* هل توجد حدود ما بين الحلال والحرام رسميًا (من وجهة نظر المؤسسة الدينية)، وماهي هذه الحدود؟

* ألا نحتاج إلى ضوابط دينية محددة لتثبيت المحرمات دينيًا بشكل رسمي؟

* لماذا تهرب المؤسسة الدينية من كلّ ذلك، وكأنها مسؤولة عن دنياها

لا دينها؟

* ماهي حدود الشيخانية والبيرانية وماهي أسس الالتزام بهما؟

* أليس موضوع محرمات الزواج الذي أثير مؤخرًا بين الأوساط الإيزيدية، موضوعًا يستحق الوقوف عليه من قبل المؤسسة الدينية ولو في بعض جوانبه كما فعل المجلس سابقا؟

* كيف يمكن تأهيل رجال دين إيزيديين عصريين للمستقبل؟

* اين تقع شنكال "المحافظة" ذات الثقل الاكبر في الخارطة الإيزيدية، من كلّ هذا، ثم ألا تحتاج هذه إلى مؤسسة دينية خاصة بها؟

* لماذا يحتكر المجلس الروحاني الإيزيدي لنفسه بكلّ شيء ولا يفعل أي شيء؟

* لماذا لا يسعى هذا المجلس إلى تطوير نفسه وأدواته، ليكون بالفعل مجلسًا لكلّ الإيزيدين، وذلك عبر خلق آليات تواصل بين كلّ الإيزيديين في العالم؟

* المجلس الاستشاري انتهى زمنه منذ نيسان 2011، السنا بحاجة لهيئة جديدة فاعلة، لتفعيل الكثير مما تمّ تعطيله؟

* ما هو موقف أعضاء "الهيئة الاستشارية" من كلّ ذلك؟

* كيف سيكون المستقبل إذن، إن لم نتحرك ولم نعمل جاهدين لإنقاذ ما يمكن انقاذه؟

* ألا نحتاج إلى تغيير ممنهج متفق عليه؟

* أين هم الإيزيديون من إيزيديتهم؟

أسئلة للحوار بين كلّ من يؤمن بالرأي والرأي الآخر. أسئلة لكلّ إيزيدية وإيزيدي، يريد لسفينة الإيزيدية النجاة؟

نحن نسجل احترامنا الشديد إلى اعضاء المؤسسة الدينية متمثلاً في شخوصهم ونتمنى ان يبتعد الحوار عن الشخصنة وان يكون الهدف الأسمى لنا هو إعادة بناء البيت الإيزيدي بطريقة سليمة.

رغم أني كتبت هذه الهواجس عام 2012، إلاّ أنه أرى هذه الهواجس والهموم والأسئلة ما زالت أكثر حيويةً الآن، نطرحها مجددًا على الباحث الدكتور خليل جندي، أحد أبرز رموز تيار الإصلاح بين الإيزيدية.

سفو قوال سليمان

بحزاني نيت

هانوفر في 14. 3. 2012

القسم الأول

السياسي / الهوية

الإيزيدية إلى أين؟ [1]

السؤال معقد وشائك وكبير، كبر أزمة الإيزيدية في القرن الحادي والعشرين. وأن الأسئلة المطروحة من قبل حضرة الأخ سفو قوال سليمان/ مدير موقع بحزاني الغراء، جميعها جدية وفي غاية الأهمية، وأن الاجابة على كل واحدة بمفردها، ربما لا يعطينا النتيجة المرجوة، ولا يوصلنا إلى علة علل أزمة الإيزيدية وسبل إيجاد الحلول لها، أو إصلاح ما يمكن إصلاحه. لذا أرى من الضروري التوقف عند محاور فكرية وسياسية واقتصادية وثقافية وتربوية، فضلاً عما يتم طرحه في متن المقال. ومن دون ذلك من الصعب فهم أزمة الإيزيدية، التي لا يمكن حلها بقرارات فوقية، وانما بحاجة إلى تهيئة البنية الفكرية والنفسية والثقافية لذلك. ومن هذه المحاور:

- **المَحور الأول: فك لغز استسلام الإيزيدية**

أو ما يمكن تسميته الخلل في العقل الجمعي، ولماذا يقبل الإيزيديون بالعبودية والاستسلام وتقديس الفرد! كيف نفكك هذا اللغز في العقل الجمعي من خلال تجلياته في:

- تقبل العبودية. - الاستسلام - التماهي - الانتهازية - التملق... الخ. سواء للقائمين على الدين، أو المتواجدين في السلطة.

كيف نعود بالإنسان الإيزيدي إلى خانة التعرف على إنسانيته، وكيف نقنعه بأنه (هو) نقطة الارتكاز ومركز الاهتمام في الدين والدولة معًا، وليس العكس في أن يكون هو خادمًا ومطيعًا وذليلاً لهما.

باعتقادي هذا هو السؤال الأكبر، وهو السؤال الرئيسي، وعلة علل بروز الأزمة الإيزيدية وستبقى ما لم تعالج تلك المسألة. وأن تحرير الإنسان/

(١) نشرت هذه المقابلة في مع بحزاني نيت في آذار/٢٠٢١.

الإنسانة الإيزيدية من تأثيرات النقاط أعلاه وعودته إلى التعرف على إنسانيته، سوف يجيب على العديد من الأسئلة المطروحة.

أعترف أن هذه العملية لن تكون سهلة، وسوف تستغرق وقتًا طويلا. ولكي أعبر عن تفاؤلي، فأنها ستكون حتمًا في صالح الإصلاح والتغيير والتطور. وبدون نقل الإنسان الإيزيدي إلى مرحلة الوعي بإنسانيته، وتوعيته بكرامته وحريته وحقوقه ودوره، تبقى الدعوات وكأنها صدىً آتية من أعماق الوادي!

• المَحور الثاني: مواقف تنتظر الإيزيدية لمواجهة تحديات الزمن

المفاجأة تأتي من الماضي لا من المستقبل، وأن الماضي مكمن الخطورة ومصدر القلق والمعاناة (كما قاله الشهيد كامل الشياع)، والذاكرة الجمعية حين تنقلب على نفسها تكون سببًا للفرقة والريبة ومسوغًا للانغلاق على الذات. نحن بحاجة إلى الوعي بالحاضر والمستقبل، من دون القطيعة التامة مع الماضي، لكن البعض من قوى الماضي تتنكر بزي الحاضر وتتلاعب بشكل انتهازي بالذاكرة الجمعية للمجتمع وتفكيك الولاءات. وفي حالات الصراع والأزمات فأن الجماعات الدينية المتطرفة تتقدم إلى الصدارة، ولكن في المقابل فان الشباب الساخطون والخطاب الديني يصبح أكثر راديكالية ويؤدي إلى بزوغ تيارات شبابية تتحدى التراتبية الدينية التقليدية. وبهذا الصدد لست مع رأي بعض الاخوة أو الأخوات، القائل بتبرئة الدين من كل شيء، ووضع جميع الأخطاء الحاصلة داخل المجتمع على الإنسان الفرد أو المجموعة. كل دين يحمل في طيّاته كمّ من التناقضات، ويقرّ بعبودية الفرد واستسلامه لقوى ورموز روحية ودنيوية، ويشدّ الفرد إلى الماضي أكثر من ربطه بالحاضر والمستقبل، وعدم المساواة بين المرأة والرجل، فضلاً عن أن الكثير من تعاليم الدين تتعارض مع مفهوم الديمقراطية وحقوق الإنسان والتطور العلمي. والأخطر من ذلك هي بالنسبة لتلك الأديان التي تدّعي بأنها تملك الحقيقية وما سواها على باطل. هذه الأشياء وغيرها التي تشكل ما تسمى بـ (التعاليم الدينية) أو (التربية الدينية) تؤثر على سلوك المعتنقين سواء على صعيد العقل الفردي أو العقل الجمعي.

نحن أولاً من يصنع عاداتنا، ومع الزمن تقوم تلك العادات بصناعتنا. وما العقائد سوى عادات متأصلة فينا، على حد قول الشاعر والناقد البريطاني (جون دريدن John Dryden). ويجب ان لا يكون الدين فقط عبادة، بل يكون منهج حياة لتصحيح وتقويم الكثير من المجالات كي يكتب له الاستمرارية والديمومة.

لذا فإن الإيزيديين بحاجة إلى:

- انتفاضة فكرية على الجمود العقائدي.
- الابتعاد عن ظاهرة التكفير والحذف مثلما تلجأ إليها جماعات دينية أخرى.
- عدم التماهي والدفاع عن شخص ما وتقديسه، أو مدح أشخاص (دينيين كانوا أم مسؤولين سياسيين) بمناسبة وبدون مناسبة.
- عدم تبرير التاريخ والدفاع المستميت عنه مهما كان مظلمًا ومتناقضًا.
- الاعتماد على العقل وليس النقل.
- وعدم الإصرار على امتلاك الحقيقة لأن ذلك تعتبر كارثة حضارية.

• المَحور الثالث : دور القيادة

لماذا كان الإيزيديون أكثر وحدة وتكاتفًا وقوة تحت نير الظلم والاضطهاد وسطوة السيف والإبادات؟ أما الآن تتفكك عرى وحدتهم، ويضعف إيمانهم، وتقل حماستهم. طبعًا هناك أسباب وعوامل عديدة لهذه الظاهرة منها عوامل داخلية وأخرى خارجية، لكنني أحاول التركيز على أبرزها، ومنها:

- العامل الداخلي الذي يتمثل في ضعف القيادة، واقصد بها ما يسمى (المجلس الروحاني الإيزيدي الأعلى). وأنا أناقشها كحالة موجودة، وليس تقييم الشخوص (لهم مني كل الاحترام والتقدير). فقد قلناها في أكثر من مرة، وفي أكثر من مناسبة، أن المجلس وليد غير شرعي مفروض على الإيزيدية. اسم بلا مسمى. جسد في موت سريري منذ ولادته في عام 1928. عنوان هلامي لا يحل ولا يربط. ووسيلة للسيطرة وتحقيق المصالح الذاتية. وبالتالي أداة معرقل لتقدم وتطور الإيزيدية.

أنه لا يمثل جميع الإيزيديين، بل محصور بمنطقة "ولات شيخ" أي قضاء الشيخان. حتى الأمير يسمى بـ "ميرى شيخا" أي "أمير الشيخان". ولم يكن أمير إيزيدية شنكال، دهوك، زاخو، أو أمير إيزيدية حلب، ولا ماردين وديار بكر، ولا جمهوريات أرمينيا وجورجيا! وكذلك البابا شيخ الذي يسمى بـ "ئەختیاری مەرگەهێ" أي "كبير أو حكيم لالش ومنطقة الشيخان". ومن المؤسف أن يأتي اليوم من يحوّر المفاهيم والمصطلحات ويكتب "أمير الإيزيدية في العراق والعالم" و"بابا شيخ الإيزيديين في العراق والعالم"! ربّ سائل: ماذا قدموا لإيزيدية العراق، حتى تلصق بهما صفة "العالم"!

سوف لن أناقش ضعف هذا المجلس، ولا أميّة أعضائه، ولا محدودية تمثيله، ولكن أشير إلى أخطر ظاهرة، بل أضعها في خانة الجريمة، أن يستلم رجل الدين راتبه من جهة أخرى غير وقفه الديني، لأن ذلك يحوله إلى شخص استسلامي لا حول ولا قوة له، خانع وبدون موقف، ويفقد هيبته ومصداقيته. (أكبر ضربة لحقت بالإيزيدية لاحقًا، هو صرف رواتب ومنح ومكاسب رجال الدين من الاحزاب الحاكمة في الإقليم، والأخطر على الإيزيدية والإيزيدياتي هم أولئك الذين نفذوا تلك الفكرة. لأنهم بهذا العمل "أخصوا" رجال الدين، وأظهروا الإيزيدية وكأنها مجموعة من المتسولة على أبواب الحاكم! وبدون تهديم هذه العلاقة لا أمل بالمجلس الروحاني ولا برجال الدين.)

من هنا يجب حل معادلة ما يسمى بـ (المجلس الروحاني)، وأعتقد أن ما طرحته في 2/ تموز/ 2007 بشأن الموضوع أعلاه، أراه حيويًا بعد، ويحتمل النقاش، وربما يفتح بابًا لوقف تدهور الحالة الإيزيدية نحو الأسوأ. جاء فيه:

1. فصل الدين عن السياسة، بمعنى تشكيل "مجلس روحاني جديد وبمواصفات جديدة فعلاً ويشمل الروحانيين الإيزيديين أينما كانوا (العراق، سوريا، تركيا، جورجيا، أرمينيا والمهجر) وليس محصورًا بـ "ولات شيخ" فقط. ويكون رجل الدين في ذلك المجلس بمرتبة البيشيمام والبابا شيخ وشيخ الوزير ورئيس القوالين ورجال الدين من المريدين وغيرهم على درجة عالية من العلم والمعرفة والنزاهة، يتقنون لغة

عالمية على الأقل إضافة إلى لغة الأم، لم تخجل منهم الإيزيدية عندما يمثلوها في المحافل، أو تجري معهم المقابلات التلفزيونية والإعلامية، ويتم انتخابهم حسب الكفاءة والسمعة وبدون مقابل مادي من نفس السلالات والعوائل أو غيرها.

2. يتحول منصب الأمير إلى منصب رمزي مثل النظام الملكي في كل من بريطانيا وهولندا واسبانيا... الخ، لا يجوز له التدخل في الشؤون السياسية وتكون مهمته توقيع البرتوكولات والقرارات المهمة ويعيش على واردات أملاكه.

3. تشكيل هيئة أو مجلس إداري، أو أي اسم آخر يتفق عليه، ويشمل الإيزيديين من جميع البلدان التي يتواجدون فيها إضافة إلى إيزيديي المهجر، عن طريق الانتخاب الديمقراطي إلى جانب المجلس الروحاني، مهمته قيادة الإيزيدية في الأمور السياسية والإدارية والاقتصادية (الأوقاف) الداخلية والاشراف على خيرات الإيزيدية، وتمثيلهم في كل المحافل. ومن الطبيعي أن تكون هنالك علاقات واستشارات بين هذه الهيئة والمجلس الروحاني الأعلى واستشارة الأمير/ الرمز. ويمكن لهذه الهيئة أو لهذا المجلس انشاء مجالس فرعية في كل من سوريا، تركيا، جورجيا، أرمينا، والمهجر ومناطق الشتات.

4. ألا يكون الأمير عضوًا في كلا المجلسين (الروحاني والإداري) بل كما قلنا منصب رمزي حسبما ورد في النقطة 2.

5. تأميم خيرات جميع مقدسات الإيزيدية من مزار لالش والسنجق وبقية المزارات مع الاتفاق أن يدفع البابا شيخ نفسه نسبة من وارداته إلى صندوق يكون تحت إشراف لجنة منبثقة من الهيئة الإدارية وتصرف تلك الأموال حسب برنامج لشؤون الإيزيدية، ولا يكون للأمير أية حصة أو دخل في هذه الأموال.

6. إزالة بعض آثار العبودية بين الإيزيدية مثل ظاهرة جمع ال (فتو-رسم – فرز) من قبل الشيوخ والأبيار من ال (مريدين). الكلمات الثلاثة (فتو-رسم-فرز) هي كلمات عربية بمعنى جمع (الزكاة أو الفاتورة - الرسم هو الجباية والضريبة– والفرض) التي كانت تدفع مقابل تقديم بعض الخدمات. على كل حال كانت هذه الضرائب والجبايات والرسوم تأخذ

في فترة الشيخ آدي وإبن أخيه الشيخ حسن من قبل الأبيار حسب (مشور= منشور) أي وثيقة بأسماء العشائر والأفخاذ والمناطق يزود بها البير ليقوم بجمع نسبة من المحاصيل الزراعية والحيوانية والنقود ويأتي بها ليودعها في الخزينة الموجودة في لالش. وكان البير ايسيبيان مسؤولاً لتلك الخزينة. بمعنى أنه في سالف الزمان كانت هذه الخيرات تذهب إلى الخزينة في لالش وتصرف على كافة الإيزيديين. ولكن بمرور الزمن صار الشيوخ والابيار يجمعون هذه الخيرات ويستحوذون عليها لصالحهم، وجاء الأمير فيما بعد ليسيطر ويستحوذ على الجميع!

7. من مظاهر العبودية الثانية هي المتاجرة بالبنات والنساء وبيعهم كأي سلعة من السلع تحت اسم (المهر)، لذا يجب تحريم بيع النساء وإلغاء المهر تمامًا.

8. مساواة المرأة بالرجل في كل شيء، خاصة في مجال "الشرف" وعدم وضع المرأة فقط تحت طائلة اللوم والعقاب، واعفاء الرجل منها وكأن المرأة فقط تحمل مبادئ الدين وشرائعه دون الرجل. ويجب تحريم قتل النساء تحت أي مسمى كان، خاصة المقولة البائسة والمتخلفة "غسل العار!"

دور الأنظمة والأحزاب الحاكمة على وحدة الإيزيديين:

أما دور الأنظمة والأحزاب الحاكمة على وحدة الإيزيديين، الذي ينضوي تحت العامل الخارجي، فيمكن الانطلاق من دراسة الحالة النفسية الذي يعيشه ذلك المكون القومي أو الديني أو المذهبي. وما يخص الإيزيدي فإن فقدانه الثقة بنفسه، وخوفه من هاجس مؤامرة الآخرين ضده (الفرمانات) يجعله لا يثق بالمؤسسات التي يعيش في ظلها، فيلجأ إلى العشيرة والدين، وعدم ثقته بالمؤسسات القانونية، لا يلجأ إلى القانون، بل إلى الوساطة والعلاقات الشخصية والتقرب إلى اصحاب الشأن لحل مشاكله الخاصة. وبسبب فقدان الثقة في النظام السياسي وبروز ظاهرة الشخصنة الأُسرية حيث يلتفت الشعب حول "البطل والقائد الملهم".

سوف لا أتحدث عن دور الأنظمة الحاكمة على المكون الإيزيدي في العراق أو غيرها من الدول مثل تركيا وسوريا، فهو معروف في عدم الاعتراف به كدين وقومية واعتبار معتنقيه مواطنين من الدرجة الثانية، إلاّ أني أحاول التوقف قليلاً عند ظهور الاحزاب القومية "حزب البعث في العراق انموذجًا" والكردية والأممية/ الماركسية، وتأثيرهم، ايجابًا أو سلبًا، على المجتمع الإيزيدي، تاركًا الجوانب الإيجابية، ومتوقفًا عند الجوانب السلبية فيما يخص التأثير على الإيمان والمعتقد وليس تقييم الجوانب السياسية وأيهما أفضل، والذي انعكس- باعتقادي- في اضعاف وتفتيت إيمان الفرد الإيزيدي وشجاعته المعهودة في التصدي لجمع الفرمانات. فقبل ظهور الأحزاب كان الإيزيديون أكثر وحدة والتحامًا وقوةً وايمانًا بمعتقدهم، وأكثر التزامًا في ممارسة طقوسهم، وكان ولائهم فقط لمقدساتهم ورموزهم الدينيين، أما بعد ظهور الأحزاب وانتماء

الإيزيدي لهذا الحزب أو ذاك، فقد تشتت ولائه بين الدين والحزب، أما عند البعض الآخر، فقد أصبح تفضيل حزبه على دينه بشكل أكبر، وصارت مصلحته تتقدم على مصلحة معتنقي دينه (المصلحة العامة). بل أن الكثيرين منهم صاروا يشكّكون ويقللون من هيبة رموزه الدينية، وبالمقابل صار ينظر بعين القدسية إلى زعيم ورئيس حزبه.

أتفهم شخصيًا عندما يفضل هؤلاء الإيزيديون، من كبيرهم إلى صغيرهم، حزبه أو (ولي أمره) الذي يدفع له، على مصلحة معتنقي دينه، لأن "جيبه" هو الذي يتكلم وليس عقله، ومصلحته هي التي تؤسس مواقفه وليس انتمائه الديني! والمصيبة أن أولئك يتحدثون باسم الدين، ويظهرون وكأنهم حماته والمدافعين الوحيدين عنه!

وعليه كان من الأهمية بمكان أن يتضمن الحوار المطروح من قبل الأخ سفو قوال سليمان/ رئيس تحرير موقع بحزاني الموقر، إضافة إلى ما طرح، مجموعة من الأسئلة حول دراسة الحالة الإيزيدية في ظل النظام السابق، وكذلك بعد تحرير العراق في 2003، وبالأخص في ظل حكومة الإقليم أو في ظل الأحزاب الكردستانية الحاكمة. والتوقف أيضًا عند إيجابيات وسلبيات كلا العهدين فيما يخص وحدة الإيزيديين؟

من الطبيعي أن يحتاج هذا المحور لدراسة علمية ومحايدة، إلاّ أني أريد

هنا فقط ان الفت الانتباه إلى أنه بغض النظر عن أن سياسة سلطة البعث في العراق كانت تدعو إلى اعتبار جميع المكونات الدينية (ومنها الإيزيدية) عربًا وليسوا كردًا، والدعوات القائلة بانها فرقة مرتدة عن الإسلام، وطبق بحق معتنقيها سياسة الترحيل والتهجير والتعريب والانفال، وانضم إلى صفوفه آلاف من الإيزيديين، فضلاً عن جرائمه التي لا حصر لها بحق الشعب العراقي عمومًا والإيزيديين خصوصًا، إلا أن وحدة الإيزيديين (اؤكد على عنصر الوحدة بالذات) تجاه دينهم كانت اكثر تماسكًا، حيث كان الصراع الخفي بين أقلية إيزيدية مستفيدة من ذلك النظام، وبين أكثرية متضررة تدافع بأشكال كثيرة عن دينها وقوميتها، على سبيل المثال لا الحصر، عندما كانت سلطة البعث في أوج محاولاتها لتعريب المجتمع الإيزيدي، قمنا حينها (عام 1979) بإصدار كتابنا "ئيزدياتى/ لبه ر روشنايا هنده ك تيكستيد ئاينى ئيزديان = الإيزيدية في ضوء بعض نصوص الديانة الإيزيدية" باللغة الكردية، لنقاوم السلطة الغاشمة عن طريق القلم، ونبين لها: هذه هي الإيزيدية، وهذه هي قوميتها حتى أن نصوصها الدينية مكتوبة باللغة الكردية! حيث صدر آنذاك أمرًا من الجهات الأمنية بمنع تداول الكتاب وسحبه فورًا من المكتبات. ومن علامات مقاومة مجموعة ليست قليلة من مثقفي إيزيدي العراق لسلطة البعث، تجلى بعد تأسيس مركز الإيزيدية خارج الوطن واصدار مجلته "روز Roj" ووصوله إلى الداخل، وكيف كان ذاك المثقف يتداولها، ويتصل بالمركز في ألمانيا رغم المخاطر ومتعديًا تلك السلطة. هذا فضلاً عن أشكال أخرى من المقاومة.

أما بعد سقوط النظام عام 2003 بشكل عام، وتشكيل المنطقة الآمنة في كردستان عام 1991 ومن بعده تشكيل برلمان وحكومة إقليم كردستان والاستقرار الأمني والتطور الحاصل فيه قياسًا بباقي مناطق العراق، وبعد أن استبعد شبح التعريب ومحو هوية الإيزيديين القومية، فقد دخلت الحالة الإيزيدية مرحلة جديدة. تحققت في المرحلة الجديدة مكاسب عديدة كان من أبرزها عودة غالبية القرى والأراضي التي استولى عليها النظام السابق إلى اصحابها، وزوال خطر محو، أو تشويه، الهوية الإيزيدية.

في العهد الجديد تعالت أصوات وتصريحات بأصالة الديانة الإيزيدية، وأنه ولى زمن الاعتداء عليهم واعتبارهم مواطنين من الدرجة الثانية أو دونها. إلاّ أن هذا الموقف نفسه وزوال خطر تعريب الهوية، كان في المقابل بمثابة "حقنة مخدرة" أدى إلى تباهي مجموعة من الإيزيديين بالجانب القومي أكثر من اللازم على حساب الديني، مما أدي بالنتيجة إلى تعدد مراجع الولاءات وإلى تفتيت وحدة الإيزيديين وضعف الموقف من الدين. ويمكن هنا ضرب مثال بسيط في زمن الانتخابات، وهو أن الإيزيدي المنتمي إلى حزب كردستاني ما، يصوت لكردي مسلم من حزبه، ولا يصوت لإيزيدي منتمي إلى حزب كردستاني آخر، او إلى إيزيدي كفوء مستقل خارج الأحزاب. هذا فضلاً عن أن المواقف تحتاج إلى ترجمتها إلى أفعال مادية على الأرض. وبالرغم من إنسانية وصدق هذا الموقف (اصالة الإيزيديين) وشعارات أخرى، إلاّ أن التعامل معه على أرض الواقع وفي مجتمع إسلامي، لا يخلو من صعوبات ويتم استغلاله من قبل إيزيديين متنفذين لمصالحهم الشخصية.

ومن الآثار السلبية التي أثرت وعجلت في تعميق الازمة الإيزيدية وتشرذم القوى وضعف الانتماء الديني هي:

- انتقال نفس العناصر الفاعلة والمُطبِلة لحزب البعث إلى صفوف الأحزاب الكردية الحاكمة، ووصول الكثيرين منهم إلى مراكز القرار، وربما المراكز الحساسة. فعلى صعيد الاصطفاف الحزبي والجماهيري، كان انتقال غالبية الإيزيديين المنتمين لحزب البعث وأعوانه في أجهزة القمع والسرايا الخفيفة إلى الاحزاب الكردية بكل سلاسة وتبديل البطلون والعقال بالسروال والجراوية الكردية! (مع كل الاحترام إلى زي وتراث كل قومية)، وبقاء أولئك على طبائعهم وتصرفاتهم في التملق والانتهازية، وتفضيل مصلحتهم الذاتية على مصلحة الإيزيديين العامة. وبرز صراع خفي أو علني بين تلك الأقلية المستفيدة في العهد الجديد وبين الأكثرية المتضررة. وكانت النتيجة عدم فهم ودراسة الواقع الإيزيدي وعدم مراعاة خصوصيته الدينية، وبالتالي تم إلحاق أكبر ضرر بمطاليب هذا المكون وبسمعة ومصداقية الحزب الذي انتموا اليه.

- انتقال صراع الحزبين الكردستانيين الحاكمين، سواء من زمن التناحر الداخلي (1993-1998) أو الصراع الراقد تحت الرماد أصلاً، إلى

المنتمين الإيزيديين لكلا الحزبين، حتى أنه بعد تصالح الحزبين، فلم يتصالح الإيزيديون المنتمون اليهما، وما زالت الأجواء النفسية بينهما غير مطمئنة والمجتمع الإيزيدي يحصد آثاره المرّة.

- اعتماد الحزبين الكردستانيين الحاكمين على شخص الأمير والبابا شيخ ورؤساء العشائر، الذين يحصدون الامتيازات مقابل حرمان الغالبية من الخدمات الحياتية الضرورية، وهذا ما خلق فجوة وعدم ثقة بين غالبية الإيزيديين ومرؤوسيهم الدنيويين والروحانيين من جهة، وبينهم وبين الأحزاب الحاكمة من جهة أخرى.

- تعامل الأحزاب الكردستانية الحاكمة مع الإيزيدية كعشيرة كردية وليس كخصوصية دينية، والنظر إليها كأكراد تحت الطلب وخاصة أثناء الانتخابات وأزمات الإقليم مع المركز.

- وقوع مناطق الإيزيدية ضمن المناطق المتنازع عليها بين الإقليم والمركز، بحيث تم حرمانها من ميزانية الدولة ومن الخدمات الأولية كالماء والكهرباء والمدارس والخدمات الصحية والطرق المبلطة، مما أدى ذلك إلى تفشي ظاهرة البطالة والأمراض خاصة في قضاء شنكال، فأصبحوا لقمة سائغة لهذا الطرف أو ذاك، كي يركضوا أمام أبواب المسؤولين من أجل تعيينهم أو التصدق عليهم مقابل مكاسب حزبية ضيقة.

- ان صراع الحزبين الكردستانيين الحاكمين في مناطق الإيزيدية لتثبيت سلطته وتقوية مواقعه، أدى بهما إلى كسب الجماهير والنظر إليهم كقوة عددية وليس كقوة نوعية، وقاموا باستحداث عشرات المنظمات واللجان الحزبية ومنظمات ثقافية واجتماعية، وصرفوا عليها مبالغ خيالية وخصصوا رواتب لمئات المسؤولين والكوادر والحراس ورجال الامن، بحيث خلقوا منهم جيش من غير المنتجين واللامباليين. وتكمن خطورة هذه الاجراءات في تربية الناس على الطاعة العمياء والتعصب والكسل والتملق للمسؤول والسكوت عن الحق. الخ.

- ان جميع منظمات المجتمع المدني (التي يفترض بها أن تكون مستقلة تمامًا عن الحكومة وأية جهة أخرى)، والتي تم تأسيسها في مناطق الإيزيدية، هي منظمات، تابعة لهذا الحزب أو ذاك، ومؤطره بقيودها،

تنفذ سياساتها، وليس هناك من فرق يذكر بينها وبين أية منظمة حزبية. مع الأسف لم تلعب تلك المنظمات دورها الحيادي في ترسيخ مبادئ الديمقراطية ومحاربة الفساد والمحسوبية، وبناء دولة المؤسسات، والتركيز على الإنسان الفرد وليس على الحزب ومجموعات بعينها.

- استفحال ظاهرة الفساد والمفسدين وانتشارها كمرض السرطان في كافة المجالات الحكومية الإدارية والقضائية والسياسية والحزبية، الذي أدى إلى حدوث شرخ عميق في المجتمع بين طبقة طفيلية فاسدة تنعم بكل شيء، وأخرى محرومة من أبسط وسائل العيش.

- جميع النقاط أعلاه، وتفاصيل أخرى كثيرة، خلق حالة من الاغتراب الداخلي لدى الفرد الإيزيدي، وأضعف عنده الشعور الديني والوطني، وصار يتهرب من واقعه، وما ظاهرة الهجرة الكبيرة لجميع شرائج المجتمع وخاصة الشباب منهم، إلاّ من أحد تجليات رفض الواقع والهروب من (الدين والدولة).

أي منهج نريده؟

في معرض إجابتي على سؤال للأخ الكاتب والصحفي خدر خلات (أي منهج نريده) في 19/ 1/ 2005، ولعلاقة ما ذكرته آنذاك بالعديد من الأسئلة المطروحة من قبل الأخ سفو قوال سليمان/ مدير شبكة بحزاني نيت، رأيت أن اعادتهم في هذا المقال لا يخلو من فائدة، حيث جاء فيه:

نحن بحاجة إلى قراءة جديدة، ليس للمنهج أو المناهج الدينية فحسب، بل قراءة الإيزيدية كمنظومة متكاملة لنشخص فيها مواطن القوة والخلل، ولنجعل من المفاهيم والأفكار الدينية عاملاً مساهمًا في تطوير النسيج الحضاري لجميع شعوب وأمم العالم كي تلائم هذه الأفكار نفسها مع عصر النهضة والتقدم العلمي الهائل في وقتنا الحاضر.

وعليه فانه ليس بالإمكان فهم ومناقشة المناهج الدينية وتلك المنظومة الكاملة دون الحديث عن الوعي الثقافي والاجتماعي والديني لدى الإيزيدية، ودون معرفة التغييرات التي جرت على تركيبة المجتمع الدينية وعلى النص والفكر الديني نفسه عبر تاريخ ما بعد مرحلة الشيخ حسن بن آدي الثاني وكيف استغل القائمون الجدد ورجالات الدين، الديانة الإيزيدية لمصالحهم الذاتية، وكيف شوهوا الكثير من المراسيم وخلطوا المفاهيم الاجتماعية بالدينية، بحيث أصبح العرف الاجتماعي عرفًا دينيًا والديني أصبح اجتماعيًا، وكيف أغلق باب النقاش وتم قتل روح الاجتهاد ووقع كل شيء تقريبًا ضمن دائرة "المقدسات"! وأصبحت الإيزيدية حقلاً ملغومًا من الـ "تابو- ممنوعات"، ومنظومة من "الخطوط الحمراء" لا يمكن مسّها أو الاقتراب منها! فهذا حرام، وذاك لا يجوز لك القيام به، وليس من حقك أن تسأل هذا السؤال، ولا يجوز للآخرين معرفة أسرارنا، إلى غير ذلك من الـ "لا" ات التي أصبحت سلاحًا بيد الطبقات والمؤسسات الدينية لجأوا إليها لتثبيت نفوذهم ودعم أركان سلطاتهم وسلطانهم، والوقوف أخيرًا بوجه الأفكار الجديدة

وموجات الإصلاح. ويريد أولئك النفر والمؤسسات التي تتحدث باسم الدين أن تلعب بعقول الناس البسطاء وحرمانهم من أدوات المعرفة. إذن مهمة الكاتب والباحث الحقيقي ألا يخجل ولا يكون ذا وجهين. الخجل وذو الوجهين هما من علامات الخوف!

هل حقًا أن النص الديني شيء مقدس لا يمكن مناقشته وتحليله وإبداء الرأي بشأنه؟

إذا قلنا لا، لا يجوز لأحد التقرب من النص وابداء الرأي بشأنه أو تحليله، حينها يصبح ذلك الدين شيئًا جامدًا لا يتقدم ولا يقبل التطور وسيقلل من هيبته ومكانته لدى معتنقيه وسيبتعدون عنه رويدًا رويدًا.

الشكّ هو طريق البحث العلمي، ويجب على الكتاب والباحثين أن يتحلّوا بالجرأة من أجل إظهار الحقائق ومن أجل أن تكون أبحاثهم رصينة. الإيمان "بالمعنى الديني" والبحث العلمي شيئان متناقضان. فليس باستطاعة المؤمن أن يكون باحثًا حقيقيًا. وكل من يريد أن يخلط الإيمان والبحث معًا، فلا شكّ أنه يضيّع المشيتين كما يقول الدكتور على الوردي.

أنا شخصيًا لا أريد أن أكون مزاجيًا وأن أرضي ما تريده الجماهير الإيزيدية حينما أعرف أنهم على خطأ، وأسكت مثلما يسكتون، أو أقول ما يقولونه، أردد ما يرددونه كي يرضوا عني. ككاتب وباحث أكتب ضمن المنهج العلمي، وأقول ما يملي عليّ قناعاتي وما أراه تخدم الاستراتيجية ومصالح الإيزيديين العامة. إلاّ أن ماضينا المثقل بالقيود يعيش في حاضرنا، فنرى الأشياء مقلوبًا: نرى الظالم عادلاً، والمنافق حكيمًا، والكاذب صادقًا، والكافر مؤمنًا والمؤمن كافرًا... الخ.

وفي الجانب الآخر مازلنا نرى رجال الدين يرددون نصوصًا وحكايات وقصصًا دون أن يعرفوا مغزاها. ويمجدون أشخاصًا هم سبب تخلفنا، ويؤدون طقوسًا لم تكن كذلك في سابق الزمان.

إذن يفترض بنا، بل يجب، أن نحرر فكرنا الأسير ومنهجنا الديني من بعض القيود ونكسر "قدسية "بعض القائمين زورًا على شؤون الدين والدنيا، خاصة أولئك الذين يعطون الحق أن ينصبوا أنفسهم أولياء

على العباد ووكلاء الله وطاووس ملك والشيخ آدي على الأرض، ويوزعوا صكوك الأخلاق على الناس دون أن يعرفوا هم شيئًا عن الدين أو أن يضحوا هم من أجل خدمة هذه الديانة.

مع أنني طرحت في مؤلفي الجديد: "صفحات من الأدب الديني الإيزيدي = به رن ز ئه ده بى دينى ئيزديان" مطبعة سبيريز/ دهوك، منهجًا جديدًا في التحليل وفتحت أبوابًا عديدة للكتاب ومحبي العلم لدراسة وفهم ماهية الدين الإيزيدي ونظرية جديدة في استيعاب فلسفة هذه الديانة، وبالأخص ضمن موضوعة: "الأسئلة الضائعة: أو كيفية فهم الأدب الديني الإيزيدي "ص135-108. إضافة إلى كل ذلك هل أجهد الإيزيديون أنفسهم ليسألوا ماذا يعني:

1. ال "حد وسد" الذي يرددونه يوميًا تقريبًا بعيدًا عن معناها الحقيقي؟! هل أنه فعلاً يتعلق بطبقات الزواج لديهم، أم ليس له علاقة بذلك؟ ومن المعروف أن ال "حد والسد" مفهوم إسلامي قرآني بحت، يشمل شريعة فرض العقوبات على الإنسان المخالف، على سبيل المثال السارق يقطع يده، والزاني والزانية يجلدان مائة جلدة.

2. إلى ماذا يرمز ال "طاؤوس- السنجق" وهل كان مقدسًا مثلما نعرفه اليوم، أم كان راية أو علم الإمارة الإيزيدية تميزها عن الإمارات الاخرى؟! وهل كان يطرح فعلاً في المزاد العلني ليتجول بين القرى والمناطق الإيزيدية لجمع أكبر قدر من المال؟!..

السنجق باللغة التركية تعني الولاية أو المحافظة، فكان هذا ال "طاووس- السنجق" علمًا وراية للإمارة مثلما كان لكل إقطاعية في الغرب ولكل عشيرة شرقية كبيرة في وقت الغزوات رايتها، ومثلما تملك اليوم كل دولة من دول العالم علمها، لا بل ويملك كل حزب، أو منظمة مهنية أو نقابية أو شركات محلية وعامية أعلامًا خاصة بها.

3. دعنا نناقش مسألة أخرى في غاية الأهمية من الناحية المنطقية ألا وهو مركز ال "مير" أو "الأمير". إذا أخذنا بنظر الاعتبار ال "سه ما" شكلاً يعكس التوافق بين سلالات المجتمع الإيزيدي الدينية، فأين هو موقع "الأمير" في ال "سه ما" ومن يمثله فيها؟ قطعًا الشخص الذي يحمل ال "تاج وحل" لا يمثل الأمير، فهو سادن لالش ويجوز أن يكون

من شيوخ الشيخ حسن أو بيرًا من بير اومرخالا أو مريدًا وجميعهم يجب أن يكونوا من يلبس ال "خرقة". فهل رأيت أميرًا من أمراء الإيزيدية يلبس ال "خرقة"؟ على كل حال، الذي يمثل الأمير في ال "سه ما" هو ال "مير حج" ويأتي في المرتبة الثانية أو الثالثة، لماذا إذن يحتكر الأمير اليوم السلطتين الدينية والدنيوية ولماذا يكون معصومًا من الخطأ وخارج دائرة النقد والمحاسبة؟!

ومن الجانب الآخر والمنطقي، هل نحن بحاجة إلى منصب الأمير؟ الأمير كلمة مرادفة للإمارة، فهل لدينا إمارة بحدود وصلاحيات وقوة عسكرية وأعلام "طواويس- سناجق" ... الخ كي يكون لدينا أمير يحكمنا؟ نعم كان للإيزيدية عدة إمارات في القرن الثاني عشر والثالث عشر وهي: إمارة الشيخان، إمارة الزوزان، إمارة حرير، إمارة شنكال وديار بكر، إمارة حلب وإمارة كليس في سهل سروج، إمارة العمادية، إمارة أربيل وراوندوز، حيث تم القضاء عليهم بعد القبض على الشيخ حسن وسجنه من قبل بدرالدين لؤلؤ حاكم الموصل. فهل رأيت راعيًا من دون قطيع غنم، أو فارسًا بدون فرس، أو حارس هدف بدون ساحة ولاعبين لكرة القدم؟!

ضمن منهجنا ونظامنا الديني، هل هناك من إيزيدي رأي في نفسه الشجاعة أن يسأل نفسه والآخرين عن مغزى وجود منصب الأمير بدون إمارة! وان أصّر البعض ودافع عن هذه الظاهرة، فعلينا اعطاء كل الحق لأبناء أمراء بير حسن ممان والأمير سجادين والأمير آمادين وناصر الدين والأمير شرف الدين وشيخ مند ومحمد الكردي... أن يشكلوا لهم مجلس الأمراء بدون إمارة طبعًا ويديروا الشؤون الدنيوية وليس الدينية!!

(أما بالنسبة إلى "المجلس الروحاني الأعلى" فقد تطرقت إليه في الحلقة الأولى ولا حاجة لتكرارها.)

4. هل أجهد بعض رجال الدين أنفسهم وتجرأوا أن يفسروا لنا "سبقه" تقول (خزينيت شيخادى دجه بـ وراستنXizînêt Shîxadî di chep u rastin)، أليس يتحدث عن الزواج المخالف في ذلك الوقت؟!

5. لو قرأنا أدبنا الديني (النصوص الدينية) بشكل دقيق واجهنا بعض التناقضات الفكرية، على سبيل المثال لا الحصر، يؤكد على أن الروح أزلية خالدة (هيفينى سونه تى Hêvênê sunetê) وهي لا تموت

ومحفوظة في ال "قنديل" وعليه تؤمن الإيزيدية بتناسخ الأرواح "كراس كوهورين kiras guhorîn". فإذا كانت الروح أزلية وخالدة ومن خلق الله فلماذا نلاحظ في الجانب الآخر من الأدب الديني التأكيد على مفهوم الجنّة وجهنم والنار وعذاب الروح؟ أي من المفهومين هو الأقدم لدى الإيزيدية: خلود الروح وتناسخ الارواح أم وجود الجنّة، والجحيم، والنار والعذاب؟!

6. هل يعتبر "لالش" مجرد مكان مقدس لدى الإيزيدية أم له دلالات رمزية أخرى؟ بعد جولتي بين النصوص الدينية وربط بعض الاشارات والرموز هنا وهنالك تبين لي المعنى الشبه علمي المختلط مع المفهوم السّراني لكلمة "لالش" حينما يقول:

" *لالش كو دنه زلى / حالما نزلت لالش

شاخا موحبه تى هنكافته سه رى / اشرقت فيها نور المحبة

عه رش بره نكا خه ملى / ابتهجت الارض وتزينت بالالوان.

*لالش كو دهاته / حالما اتت لالش

لعه ردى شين دبوو نه باته / اخضرت الأرض بالنباتات

بى زه ينى جيقاس كنياته. / ازدانت بها كل الاكوان.

" سه به قا 31-30 ز قه ولى زه بوونى مه كسور"

عملية الإنبات تحتاج إلى توفر عدة عناصر من أهمها: الماء، الهواء، التربة والنور. بقدوم "لالش" من السماء نبتت النباتات واخضرت الأعشاب وزين الأرض بجميع الألوان. أليس "لالش" يعني "المطر- الماء" هنا بالاتحاد مع عنصر الهواء وعلاقة ذلك بالمنظور الفكري الذي يجمع بين سرّانية الشيخ آدي والشيخ سن في المثولوجيا الإيزيدية [٢]

. وسوف تجدون في كتابي المذكور أعلاه العديد من الأبواب المثيرة والتي تفتح آفاقًا أمام حركة الفكر.

7. الم يعرف رجال الدين قبل غيرهم، بأن أغلبية المزارات الموجودة خارج سور مزار الشيخ آدي في لالش (ماعدا كانيا سبى= العين البيضاء)،

(٢) راجع حاشية رقم ٢، ص ٩٣٢-٤٢. من كتابي: به رن ز ئه ده بى دينى ئيزديان، المجلد ١ الأول.

كان في زمن الشيخ آدي وإلى أوقات لاحقة أماكن لحيوانات الأولياء والذي كان يطلق عليهم (بور= حصان)، أو كانت مواضع حراسة، وأصبحت الآن مزارات مقدسة، تتم زيارتها والتبرك بها، وبالتالي تطرح ضمن المزاد وتأجر كما يتم تأجير معبد الشيخ آدي، والعين البيضاء والطاؤوس وغيرهم!

نحن بحاجة إلى رؤية جديدة وجهد كبير لدراسة ومراجعة مناهجنا الدينية ولمجمل ميكانيزم عمل المجتمع الإيزيدي كي نضع أنفسنا على سكة الحياة الطبيعية ومواكبة التطور والاسهام في نتائج الحضارة الإنسانية الجميلة، وهي حتمًا بحاجة إلى فريق عمل جريء ومقتدر يتحمل التضحية.

في مفهوم الإصلاحات

سؤال مفتوح على مصراعيه، ويرتبط، شئنا أم أبينا، بمفهوم الإصلاحات التي تعد منظومة كاملة، ومفهوم واسع ومترابط، لا تنحصر بقضية حدود طبقات الزواج كما يعتقد البعض، أو يريد جرّ النقاش بذاك الاتجاه حسب هواه، بل يتحداه إلى مناحي الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والإدارية والدينية، وأن العامل الديني هو الفاعل والمؤثر ويترك بصماته بالإيجاب أو السلب على كافة مناحي حياة معتنقيها، ولهذا يفترض، بل يجب، الانطلاق منه والتركيز عليه بكل جرأة.

عندما بدأت بحثي "نحو معرفة حقيقة الديانة الإيزيدية" واصداره على شكل ثلاث كراسات عام 1993، وجمعهم في كتاب بنفس الاسم عام 1998، حاولت حينها، نهاية القرن العشرين، من دغدغة واثارة الفكر الديني الإيزيدي الغارق في سباته نحو خطر يحدق به ويدق أبوابه.

طرحت حينها سؤالاً "جنينيًا" عن فكرة الإصلاحات وبصيغة سؤال على الغلاف الأخير من كتابي أعلاه، جاء بالنص: {هل ستتمكن الديانة الإيزيدية من الديمومة والحياة بنفس ميكانيزمها وآليتها القديمة؛ وتحافظ على كيانها الذي ما برحت أن حافظت عليه عبر آلاف السنين رغم المحن والتنكيلات؟! أم أنها ستضطر إلى القبول في إجراء بعض

الإصلاحات في هياكلها؟، بمعنى آخر إذا رفضت الإيزيدية في تقبل بعض التغييرات؛ هل أنها ستصمد أمام امتحان الزمن، وبذلك ستواجه السؤال المصيري: يكون أم لا يكون؟ وهل بإمكان بذرة "الطائفية" بمجاميعها (الآدانية، الشمسانية، القاتانية، البرانية والمريدية) التعايش مع موجة التطور الحضاري الهائل؟ أنه سؤال عسير متروك لاختبار الزمن؟!}

ظهر وليد/ وليدة "فكرة الإصلاحات" دون أن يكون (لقيطًا) من خلال تبنيه من قبل بعض المثقفين الإيزيديين والمثقفات الإيزيديات، والدائرة تكبر، ويطرح اليوم بشكل علني للنقاش على الملأ. عندما طرحنا فكرة الإصلاحات، ونطرحه اليوم بحماس أكبر، لم نكن ننتظر من معتنقي الديانة، خاصة الذين يتصيدون في الماء العكر، أن ينثروا الحلويات على رؤوسنا، ولن نفاجئ بالبيان رقم (1) الصادر من "سرايا طاؤوس ملك" بتاريخ 30/ 7/ 2007، و"قائمة المطلوبين لمحكمة شرف الدين" بتاريخ 7/ 5/ 2007، ولا بعرض صور ثلاثة من المنادين بالإصلاحات على موقع "أنا حرّة" و"خانصور" الإلكترونيين بداية شهر آذار/ 2012. واعتبارهم مارقين وخارجين عن الدين يحلل قتلهم، وكأن الدين ماركة مسجلة بيد البعض، يوزعون تذاكر حسن السلوك حسب فهمهم للدين. كما لم نستغرب أن يطلب بعض المحسوبين على الجبهة الثقافية والكادرات السياسية، من دعاة الإصلاح "أن يجربوا ما نادوا به على أنفسهم." و"تطبيق ذلك على أولاده... "(كذا). ربما يعرف هؤلاء الأخوة بأننا كوالدين (الاب والأم)، وكأحد معتنقي هذه الديانة، قمنا بواجبنا الأبوي في تربية أولادنا وزودناهم بالمعرفة الحياتية، وأصول وعادات هذه الديانة بالقدر الذي نعرفه، ولكن (نفترض جدلاً) إذا حدث حالة زواج بين أولاد أحد المنادين بالإصلاحات مع أولاد أحد من أولئك الاخوة وبدون إرادة وعلم الطرفين، فان إنسانية وقناعة المنادين بالإصلاحات سوف لم توصلهم إلى مرتبة حيوانات مفترسة يقومون فيها بقتل فلذات أكبادهم كونهم خالفوا العادات والتقاليد! ثانيًا ليس بإمكانهم، وليس من صلاحيتهم، ولا من صلاحية أي إنسان آخر، أن ينصب نفسه وكيلاً لله وملائكته يقتل الناس بذريعة مخالفتهم لأصول الدين الذي هو بالنتيجة من صنع الإنسان نفسه! والشيء الآخر، فأنه في يوم الحساب وعندما ينتقل ذلك (المخالف للدين) إلى جوار ربه،

يترك لله والملاك الذي يترأس المحكمة، نوع الحكم الذي يصدره بحقه، سواء شويه في نار جهنم، أو سلخ جلده، أو بتر عضوه التناسلي، أو الإعفاء عنه!

إن سجن العقل خالٍ تمامًا من أي منفذ النور الذي يمكن أن يبدد ظلام العقل. ومشكلة "البعض" هو عدم الاستعداد لتسريح العقل ولو لوهلة من ذلك السجن. وأن عقل هذا الإيزيدي، مع الأسف، "يسقط رهينة المسافة الممتدة من ركبة المرأة إلى سرّتها" على حد تعبير الدكتورة وفاء سلطان. ويربط هذا الإيزيدي الإصلاحات بالجنس فقط، وكأن الدين وتعاليمه لم يتأسس إلاّ على الجنس لا غيره!

بوذا (ولد 558 ق.م) ذلك الأمير النبيل، مؤسس الديانة البوذية إحدى ديانات العالم الكبرى، وبعد عشرات السنين من التأمل والبؤس والجوع والصوم في غابات الهند بحثًا عن الحقيقة، هتف "لم أجد الله"، ولكنني وجدت بؤس الإنسان في كل مكان". وبذلك ترك أجمل فلسفة روحية عرفتها البشرية. وقال حكيم آخر "تفكر ساعة خير من عبادة شهر".

تأسيسًا على مقولة بوذا الشهيرة، لا أحد رأى الخالق بعينه، ولا أحد يمتلك الحقيقة، بل هناك بؤس ومشاكل ملايين الناس، ومنهم اتباع الديانة الإيزيدية، في هذا العالم. فهل واجبنا انقاذ الله، الذي ليس بحاجة إلى مساعدتنا، أم انقاذ الإنسان البائس والمقيد بألف قيد، وتحريره من قيود عبودية الفكر والممارسات والكثير من العادات والتقاليد الضاربة جذورها في الزمن الغابر، والتي تعد بحق عائقًا أمام تطور الإنسان والمجتمع معًا. وفي الحالة الإيزيدية، يجب التخلص من الاجترار الخيالي للماضي والإحساس بالمظلومية والدفاع عن الخصوصية الفئوية، لأن هذه الخصوصية الثنائية سيتحول بالنتيجة إلى سجن للوعي والشعور الفردي فلا قيمة لها ولا رجاء منها.

يمكن الإشارة إلى أنه في حال مناقشة هكذا قضايا حساسة، لا بدّ من تعريف الدين نفسه، إذ أنه بدون تعريف الدين يجد الباحث وهو يلاحق ظواهر بعيدة عن الدين، أو يتابع جوانب ثانوية عن الدين على حساب جوانبه الرئيسية. ونرى هل أن هذه الظواهر هي من لُب الدين أم أنه قشور خارجية له. وما يهمنا هنا كإيزيديين هو معرفة: هل أن نظام الزواج

الطبقي هو من صلب الدين، أم من قشوره؟

يقول وليم جيمس في كتابه (The Varieties of Religious Epe-rience) رغم أنه من غير الحكمة وضع تعريف للدين ثم المضي في الدفاع عنه في وجه كل الاعتراضات. مع ذلك لا بأس من الإشارة إلى بعض تعاريف الدين التي تقول إنه "الاعتقاد بالحضور الفائق لشئ غامض وعصي على الفهم". ويقول ماكس موللر (Max Muller) أنه "محاولة من أجل تصور ما لا يمكن تصوره، وقول ما لا يمكن التعبير عنه، إنه توق إلى اللانهائي". أما ف. شليرماخر (F. Schleirmach-er) يعرف الدين بأنه "شعور باللانهائي واختبار له. وما نعنيه باللانهائي هنا هو وحدة وتكامل العالم المدرك. وهذه الوحدة لا تواجه الحواس كموضوع، ودائمًا تنبئ عن نفسها للمشاعر الداخلية. وعندما تنتقل هذه المشاعر إلى حيز التأملات، فأنها تخلف في الذهن فكرة. وأن الخيال الفردي هو الذي يسير بفكرة الله إما نحو المفارقة والتوحيد، أو نحو نوع غير مشخص للألوهية يتسم بوحدة الوجود.". هذا فضلاً عن العديد من التعاريف الأخرى لا مجال لذكرها في هكذا مقال.

إذا تابعنا بإمعان جميع تعاريف الدين، نلاحظ أن الخيط المشترك هي محاولة الإنسان لوضع رؤيته لمعرفة فيما وراء الطبيعة والتعامل مع الغيبيات من خلال مشاعره، ومعرفة الخالق. الدين، إذن حالة شعورية ونفسية للكائن البشري (العاقل) للتعامل مع النظرة الميتافيزيقية والغيبية التي لا يمكن إدراكها والتوصل إليها بحواسه. بمعنى آخر أن مجموعات بشرية في زمان ومكان محددين، وفي مرحلة تطور تاريخية محددة، وضمن تطور اجتماعي وفكري معين، عبروا عن نظرتهم إلى ما وراء الطبيعة والعالم اللامرئي من حوله الذي تحول فيما بعد إلى قالب ديني عقائدي. إذن وعي الإنسان (العقل) هو واضع فكرة الدين ومعرفة الخالق وليس العكس، ولو كان الخالق هو الذي خلق الأديان لما ساعد على اندثار وانقراض آلاف الأديان القديمة ولبقت كلها حيّة إلى يومنا هذا. أما نوعية العبادات والطقوس والمحرمات وما إلى ذلك فقد تم تنظيمهم فيما بعد وعلى مراحل، وليست دفعة واحدة، من قبل الأنبياء والمصلحين وكبار مشايخ الطرق الصوفية.

بناءً على ما تقدم من تعريف الدين، هل يشعر أي إيزيدي أن نظام الزواج الطبقي لديه يدخل في الماورائيات والغيبيات، أم أنه يدخل ضمن الماديات في علاقة ثنائية بين الجنسين؟ هذا هو السؤال المهم، وسؤال مهم آخر يلتحق به: هل أن قانون الزواج الطبقي قدسي ومنزل من السماء؟ إذا كان الجواب بنعم، نرجو من علماء الدين أن يسعفوننا بنصوص دينية تؤكد ما يذهبون اليه. أما إذا قال البعض أنه قانون أخلاقي من صنع المجتمع، حينذاك نتفق معهم ونقول بأن القوانين الأخلاقية والوضعية هي من صنع الإنسان وهي قابلة في كل الأحوال للمناقشة والتغيير.

فيما تخص رؤيتي بشأن هذا الموضوع، طرحته بكل وضوح وصراحة في مقال تحت عنوان: "دعوة مخلصة لسمو الأمير تحسين بك، في 8/ 12/ 2005" و"أي مؤتمر تنتظره الإيزيدية: مؤتمر مصالحة وتعزيز مصالح، أم مؤتمر مصارحة وانقاذ!" بتاريخ 2/ تموز/ 2007، وتم نشره في العديد من المواقع الإلكترونية المهتمة بالشأن الإيزيدي، كما تضمن كتابي المعنون "الإيزيدية والامتحان الصعب" الصادر من دار ئاراس/ أربيل، 2008 نفس الموضوع. وقبلهما صدر بيانين عن مركز الإيزيدية خارج الوطن بشأن الإصلاحات، أحدهما في تموز/ 1997، والثاني في أيلول/ 2001 بعنوان (تأجير المقدسات الإيزيدية تقلل من قيمتها الروحية! ومائة مليون دينار إلى أين؟!) (٣)

ومن باب التذكير، ولأن ما طرحته من رؤية للإصلاحات في مقالي "أي مؤتمر تنتظره الإيزيدية: مؤتمر مصالحة وتعزيز مصالح، أم مؤتمر مصارحة وانقاذ؟!" الذي يجيب على العديد من الأسئلة المطروحة، لإيماني القوي بأن نلك النقاط الإصلاحية الآنية والملحة، على الرغم من ملاحظاتي على تشكيلة المجلس الروحاني ومفهوم ومكانة الإمارة المطروحة في مقالاتي السابقة، تساعد بهذا القدر أو ذلك بإنقاذ الإيزيدية من الانقراض، وهي كما جاء بالنص:

رغم ملاحظاتي الكثيرة على طبقات الزواج، حيث لا مجال لطرحها هنا، دعوت، كما دعا أخوة آخرون، إلى استحداث الطبقة السابعة

(٣) مجلة روز، ع.١١&٢١، وعليه لا أرى حاجة لتكرار ماجاء في البيانين.

لعلاج نتمكن بواسطته تجاوز الكثير من المشاكل مثلما حدث مؤخرًا (2007) في الشيخان وبعشيقة/ بحزاني. تضم هذه الطبقة لكل من يخالف- حسب المفهوم الإيزيدي الحالي- شروط الزواج ويتزوج من غير طبقته. كلاهما إيزيديان يجري الاعتراف بهم. ويضم كل إيزيدي من كلا الجنسين إذا تزوج من خارج حدود ديانته ويقبل أن يبقى إيزيديًا، أي يؤمن بهويتها. وتضم إلى هذه الطبقة كل شخص أو مجموعة (من كلا الجنسين) من معتنقي الديانات الأخرى الذين يرغبون ترك معتقداتهم والإيمان بالديانة الإيزيدية وحمل هويتها.

ربما يستغرب الكثيرون من طرحي هذا، ويستغفر المؤمنون مجرد سماعهم هذا النبأ، ويستغلها آخرون من باب النفاق والتشهير هذا الطرح ضدنا، أبدي لهم ملاحظاتي التالية بكل اختصار:

- للمتدينين أقول ليسألوا رجال الدين وفي مقدمتهم البابا شيخ: أليس بيرة هاجيال أخوال لشيوخ الشيح حسن بن الشيخ آدي الثاني؟ بمعنى كان هنالك شخص من عائلة الشيخ آدي متزوج من بيرة هاجيال. أليس شيوخ الشيخ حسن أنفسهم أخوال لشيوخ سجادين؟ ألا يعرف الجميع قصة الشيخ آل الشمساني مع بنت الشيخ حسن؟! بمعنى الزواج بين العائلتين الآدانية والشمسانية. إذن لماذا كان الزواج حلالاً زمن الشيخ عادي بين تلك الطبقات ويتم تحريمه اليوم؟!

- أليس إيزيدية جبل كورداغ؛ منطقة عفرين وحلب قد تجاوزا جلهم حدود الطبقات ولا يلتزمون بها، مع ذلك يزورهم باستمرار القوالون بمعية الطاؤوس (السنجق) ويلتقي معهم الأمير والبابا شيخ والبيشيمام وبقية رجال الدين ويتقبلون خيراتهم، وهم إيزيديون متمسكون بعقيدتهم ربما أكثر من الآخرين رغم الزواج المتبادل بين الطبقات. إذًا لماذا يتم الكيل بمكيالين!

- آلاف مؤلفة من خيرة الشباب والشابات والناس الطيبين من أبناء عشيرة واحدة، ومن جد قريب يعيشون على حدود واحدة، هذا ما زال يعتنق الدين الإيزيدي وذلك تحول بسبب ما إلى الإسلام، لاحظ مثلاً أبناء عشيرة الماموسية يتوزعون بين قضاء الشيخان وآسكي كلك، وعشيرة القائيدية الإيزيديون منهم في سينا وشيخ خدرى وشاريا، وأبناء

أعمامهم في مناطق نيروى، وكذلك الحال عشائر البيدة والكوركورية بين شنكال وديار بكر، واكثر من ثلاثين قرية ل"الشيخان بكي" المنتشرين في محافظة أربيل... الخ. إذن أين نظرية الدم النقي!

رؤيتي لهذه "الطبقة الزواجية" ليس من نسج الخيال! أؤكد وأشدد على كلمة "تبني" أو "قبول" "الطبقة الزواجية السابعة" لأنها موجودة على أرض الواقع ومن الناحية العملية. إذن لماذا يخفى المتشددون الإيزيديون رؤوسهم كالنعامة في الرمال وجسمهم مكشوف!! وإذا كان هنالك فعلاً من إيزيدي حريص يريد استمرار دينه ويزيل عنه تهديد الانحلال والانقراض إضافة إلى التفكير بمنطق إنساني أوسع وليس بمنطق عنصري (نقاوة الدم)، يفترض به أن يكون مدافعًا عن النقطة التاسعة. وأنا أطرحها كي تخرج الإيزيدية عن كونها ديانة مغلقة إلى تقبل نوع من التبشير". بالمفهوم الإنساني الأشمل، يعتبر الفكر، الفلسفة، العلوم ملكًا لجميع البشرية، ملكًا لكل من يؤمن بها. فإذا كان هنالك بشر يؤمنون بالهوية الإيزيدية وفكرة طاؤوس ملك، لماذا يريد البعض احتكاره لنفسه؟!

الديانات المغلقة لا حياة لها ومصيرها الانقراض. تصوروا معي انقراض آلاف الديانات والمعتقدات القديمة لأنها كانت ديانات محلية مغلقة لم تتمكن من مواكبة التطور التاريخي والاجتماعي. والأديان التي تصل أتباعها آلاف الملايين أو تربو على المليار (المسيحية والإسلام) وانتشروا في أرجاء المعمورة، لم تكن بسبب صحة معتقداتهم أو فلسفتهم الدينية، بل كان بسبب مبدأ التبشير، فضلاً عن استخدام القوة في فرض ديانتهم في فترات تاريخية، هذا إضافة إلى عوامل أخرى لا مجال لذكرها.

حين نشر فكرة "الطبقة السابعة" أقام بعض المنتفعين الإيزيديين الدنيا ولم يقعدوها، وكان في مقدمتهم بعض مسؤولي مركز لالش، إذ دفعوا قسمًا من اعضاء مركزهم (من بينهم رئيس إحدى الفروع) باستنساخ المحور الخاص ب"الطبقة السابعة" وحث الأتباع بإيصال تلك النسخ بطريقة أو أخرى إلى منطقة شنكال وأنظار الأمير، ونشر دعاية، بان دكتور خليل ينادي بالطبقة السابعة ويريد تهديم الديانة الإيزيدية (لاحظوا تهديم الديانة!)، فما كان من الأمير إلا أن يعقد اجتماعا (لا أتذكر تاريخها

بالضبط) إلا أنها كانت في خريف عام 2007، دعا إليه الكثير من رجال الدين ووجهاء الإيزيدية من جميع المناطق، تم شحنهم بمعلومات مشوهة ودون أن تنقل لهم الفكرة الصحيحة، بحيث وصلت الفتاوى إلى حد التصفية الجسدية! وكان من بين المدعوين أحد وجهاء مجمع خانك دون أن يعرف سبب دعوته للاجتماع، وبعد أن خرج منها سأل أحد الحضور عن سبب هذا الاجتماع، موضحًا له أن فلان قد دعا إلى تبني "الطبعة السابعة" وإزالة الطبقات، نقل عن هذا الشخص بأنه فرح كثيرًا، وقال ما معناه "وهذا ما نريده...!" وقد اتصل هذا الشخص بأحد أقربائه في ألمانيا ونقل لي بدوره ما دار في الاجتماع.

علمًا في مقالي المشار إليه سابقًا، لم أدعُ إلى إزالة الطبقات، إلا انه كجزء من الحلول لمشكلات الإيزيديين في الداخل والخارج، اضفت "طبقة زواجية" أخرى "السابعة" لحقن دماء شبابنا وشاباتنا الذين يقتلون بمجرد الشبه بتكوين علاقة مع شخص من غير طبقته حسب زعمهم. طرحتها من أجل مئات من شبيبتنا في الخارج الذين يذهبون ضحايا العادات البالية ويتركون ديانتهم. دعوت لهذه الطبقة، وأدعو إليها اليوم بقوة أكبر للحيلولة دون المزيد من تدهور المجتمع الإيزيدي، حسب قناعتي، هذه الدعوة تصاحبها العديد من الإصلاحات الاجتماعية الأخرى.

نحن مع الزيادة وليس الإلغاء، ومع البناء وليس الهدم

أريد أن الفت انتباه الإيزيديين جميعًا، أن المنادين بالإصلاحات بشكل عام، وبالطبقة الزواجية السابعة أو الرابعة أو أي رقم آخر لا فرق، يريدون وضع حجر آخر في حائط الإيزيدية الذي يترنح، وليس سحب حجر منه لكي يسقط! المنادين بالإصلاحات مع (زيادة) طبقة زواجية وليس إلغاء الطبقات الموجودة. أنهم مع البناء وليس الهدم!! وهذا ما قمت بتوضيحه في ندوة بقصبة باعذرة أقامه المركز الثقافي الذي يترأسه الأخ فائز هراقي، وذلك في شهر تموز/ 2008، حضرها جمع غفير من أهالي باعذرة. وعندما سألوني عن طرحنا للطبقة السابعة والحملة القوية ضدنا، قلت: "نحن نطالب بـ "زيادة" طبقة وليس إزالة

الطبقات الموجودة! تعجب جميع الحضور من كلمة "زيادة" واقتنعوا – كما عبّروا عنه في حديثهم وتعليقاتهم- بأن هدفنا البناء وليس الهدم، وإيجاد الحلول وليس التخريب، كما أراد ويريدها البعض من استغلال هذه القضية لمآربه الأنانية ومصالحه الشخصية.

الخاتمة والاستنتاجات:

بعد هذا العرض السريع، يمكن للمرء أن يلاحظ بأن الحالة الإيزيدية معقدة وشائكة ومتداخلة، وأن معالجتها سوف تأخذ وقتًا طويلاً، علمًا أنها لا تعالج بقرارات فوقية وإنما بحاجة إلى تكاتف الجهود والعمل المثابر ونكران الذات والتضحية ومزيد من الجرأة في التعامل مع الوقائع على الأرض، بعيدًا عن التعصب الديني، أو القومي، أو الحزبي، أو الفئوي.

أن الإيزيديين أنفسهم يتحملون المسؤولية الأولى لتدهور حالتهم الداخلية، وذلك من خلال استسلامهم وقبولهم بقيادتهم الضعيفة أولا، وسكوتهم عن تدخل الأطراف الأخرى في شؤونهم الداخلية. وباعتقادي نحن أولاً بحاجة إلى تحرير العقل الجمعي الإيزيدي من لغز الاستسلام (المحور/ النقطة الأولى)، والوعي بالحاضر والمستقبل، والتحرر من شرنقة الماضي وقيوده المثقلة من خلال انتفاضة فكرية على الجمود العقائدي، والابتعاد عن التكفير، وتقديس المسؤولين الأحياء، وعدم تبرير التاريخ مهما كان مظلمًا ومتناقضًا (المحور/ النقطة الثانية). ومن أجل انجاز هاتين النقطتين ينبغي تهيئة الأرضية الثقافية والفكرية، ونقل وعي الفرد الإيزيدي إلى مرتبة متقدمة، والدعوة من الكتاب أن تكون كتاباتهم هادفة، وواقعية تتماشي مع مستلزمات العصر. وهنا بإمكان المواقع الإلكترونية والاكاديمية والبيوت والمراكز الإيزيدية غير المسيسة أن تلعب دورها التاريخي المشّرف، للانتقال إلى مرحلة ترتيب البيت الإيزيدي واختيار (أو انتخاب) قيادة دينية ودنيوية عصرية فاعلة له.

لا يفوتني الإشارة إلى أن الدين الإيزيدي واقع بشكل كبير تحت تأثير أفكار ذات النزعة الباطنية (التصوف والزهد) التي تقتصر بالحديث على ما يتعلق بعالم ما بعد الموت، وتدعو إلى اشاعة الاتجاه السلبي في

ترويض النفس على القناعة والزهد والكفّ عن التدخل بأمور الدنيا. وإيجاد منهج انعزالي صوفي يميل إلى تجاهل الواقع والغياب عن مسرح الأحداث بحيث ينهمك كل إنسان بمشاكله وهمومه الذاتية، والعمل على انقاذ نفسه من سجن الدنيا والفرار من جحيم الحياة! (هناك الكثير من الأمثال تؤكد هذا التوجه المضر، مثل: "ما من جى زيبه"! "ما شأني بذلك! "ئه ف دنا بوجه" أي "لا فائدة من هذه الدنيا"، "ئه م ئيزدينه بقه ته كى نانى جه هى درازينه" أي "نحن إيزيديون نقبل بقطعة من خبز الشعير"... الخ.).

إن ما ذكر من آثار التصوف السلبي "(كما يقول د. شريعتي، في كتابه: التشيع الشيعي والتشيع الصفوي، ترجمة د. حيدر مجيد، تقديم د. إبراهيم دسوقي شتا، دار الأمير، ط2، ص 163-162)، تعّد حالة مثالية لمثلث التحكم بالناس والمؤلفة اضلاعه الثلاثة من الاستبداد والاستثمار والاستحمار: الأول يربط الإنسان من رأسه، والثاني يقوم بتنظيف جيبه، والشريك الثالث يشرع بتقديم النصائح والمواعظ قائلاً بلسانه الرباني العطوف: اصبر يا أخي! افرغ جوفك من الطعام رصيد لك يوم القيامة ليخفف لك من ذنوبك، وبالله استعن على هؤلاء فسوف يلقون جزاءهم في الآخرة".

وهذا هو تخدير ديني يساهم فيه الوعاظ لشلّ الحركة الاجتماعية الهادفة للتغيير، ويعتمد هؤلاء الوعاظ لتحريف المفاهيم الدينية وتفسيرها تفسيرًا سلبيًا يفرغها عن مضمونها الحقيقي. وما لم تتخلص الإيزيدية من هذه التأثيرات السلبية من الصعب الحديث عن تجاوزها لأزمتها. ويمكن اعتبار بعض ما قيل أعلاه جوابًا للسؤال التاسع (سبب الهروب الجماعي من أداء الطقوس والعادات والتقاليد والتخلي السهل عنها) هو صراع بين تربية الإيزيدية على حياة الزهد والتقشف في حياة الدنيا، وبين متطلبات الحياة في العصر الحديث من مسكن ووسائل رفاهية... الخ لأن الدين لا يوفر له ذلك. (ربما تكون لنا رجعة لدراسة أرضية التصوف ودور المتصوفين في بناء الفكر الإيزيدي وتحويلها من دين إلى شركة).

فيما يخص النقطة الثالثة (دور الأنظمة والأحزاب الحاكمة على وحدة الإيزيديين)، أعتقد من الضروري النظر بشكل أبعد، ودراسة ذلك ارتباطًا بعدة وقائع سواء ما يجري على صعيد العراق وكردستان، أو ما يحدث على الصعيد الإقليمي وخاصة الظاهرة الفريدة التي تطلق عليها "الربيع العربي".

بعد انتهاء الحرب الباردة وزوال أحد أقطاب الصراع (المعسكر الشرقي بقيادة الاتحاد السوفيتي السابق)، طرحت الولايات المتحدة مشروع الشرق الأوسط الكبير، ورغم تعثره، إلا أن قيام الثورات في العديد من البلدان العربية وسقوط أنظمتها الديكتاتورية، بدأ المعسكر الغربي يركز ويؤكد بشكل ملفت على مسألتين أساسيتين وهما احترام حقوق الإنسان وحماية حقوق المكونات والدينية والإثنية في بلدان الشرق الأوسط. ومن الملاحظ أيضًا ظهور أيديولوجيات عابرة للحدود من خلال دعم المذاهب بعضها البعض، على سبيل المثال دعم السنّي للسنّي، والشيعي للشيعي، والمسيحي للمسيحي، والدورزي للدورزي، والإيزيدي للإيزيدي، كما كان بالنسبة لمظاهرات إيزيدية أوربا ضد الاعتداءات الإرهابية على كرعزير وسيبا شيخ خدر عام 2007، وضد حوادث زاخو ودهوك عام 2011.

إن هذه الظاهرة تعطي الانطباع بتقليص هيمنة العلاقات الوطنية بالمعنى الذي تربينا عليها في المدارس ضمن مناهج التربية الوطنية. وربما هذا يقودنا إلى الاعتقاد أن يكون مستقبل الشرق الأوسط عبارة عن كانتونات مستندة إلى هويات دينية وعرقية ومذهبية!

أما على مستوى العراق، فأن ما يسترعي انتباهي كمتابع للشأن الإيزيدي، هو فوز سبعة إيزيديين للبرلمان العراقي في انتخابات عام 2010، وقبله بنفس العدد تقريبًا لمجلس محافظة نينوى. ان هذا بحد ذاته مؤشر يفترض، بل يجب، التوقف عنده ودراسته، وبناء رؤية سياسية إيزيدية عليه. ليس مهمًا هوية الفائزين وإلى أي حزب ينتمون، الأهم هو أنهم فازوا بأصوات الإيزيديين فقط، وأن الإيزيديين عرفوا حجمهم وقوتهم العددية، ولا يساورني الشّك أنه من الصعب أن تذهب أصواتهم لغيرهم في المستقبل.

وعليه فأنه في حال إعلان كردستان استقلالها في يوم من الأيام، وإلحاق جميع مناطق الإيزيدية بالإقليم (إنها مجرد فرضية)، فأن نسبتهم ستصل من 12%-10 من نسبة سكان الإقليم، السؤال هو: هل ستقبل الاحزاب الحاكمة من وصول (8-7) إيزيديين إلى برلمان كردستان؟ أشكّ في ذلك. ليس لأن هذا الطرف أو ذاك يريد إبعاد الإيزيدية، وإنما هناك عوامل موضوعية خارجة عن إرادة تلك الأطراف السياسية. إذن ما العمل؟

إن المكونات الدينية والإثنية، التي كانت تطلق عليها سابقًا عبارة الأقليات "استصغارًا"، من حقها في بلدان متعدد القوميات والأديان والمذاهب والطوائف أن تؤسس لها أحزابًا أو حركات سياسية علمانية بكل معنى الكلمة، تبني علاقات جيدة مع كافة القوميات والأديان والمذاهب، وليس انشاء أحزاب وحركات على أساس ديني انعزالي ومنغلق على نفسه. ان العلمانية منهج حضاري وإنساني يشمل جميع جوانب الحياة، تتقبل كل الألوان بدءًا من الملحد وانتهاءً بالمؤمن، تقبل تعايش كافة القوميات والاجناس والمعتقدات، وتقبل أن يضم الشارع أو المحلة الواحدة دور العبادة إلى جانب أماكن الترفيه. فيها قانون يسري على الجميع، لا فرق بين غني وفقير، وبين أفريقي وأوربي وآسيوي، ولا بين مسيحي ومسلم وإيزيدي، لا تقديس لرئيس الدولة والحزب والكل يخضع للمُسائلة والانتقاد. وأن الإنسان هو مركز الاهتمام وكرامته مصونة. هناك دولة مؤسسات وليس بإمكان رئيس الوزراء، أو رئيس الحزب، أو رئيس العشيرة أو المسؤول الأمني أن يتدخل في شؤون أصغر دائرة... الخ.

لو التزمت البلدان ذات المكونات القومية والدينية والإثنية المتعددة بمبدأ المساواة الحقة بين المواطنين، وأسست لدولة المؤسسات، حينها لا خوف من قبل هذه المكونات على ضياعها ومحو هويتها القومية أو الدينية. وبخلاف ذلك فأن تلك المكونات بحاجة إلى تشكيل أحزابها وحركاتها من أجل الحفاظ على هويتها التي تعتز بها وتريد الحفاظ عليه بأية وسيلة مشروعة.

الإيزيدية... والمستقبل المجهول!

لمواجهة خطاب التكفير والكراهية التي تنتهجها قوى الظلام والأخلاق الساقطة مما تطلق على نفسها تنظيم الدولة الإسلامية (داعش) ضد كل من يخالفها في العقيدة والدين والمذهب والفكر، وخاصة ضد أتباع المكونات الدينية في الشرق الأوسط من مسيحيين وإيزيديين وصابئة وكاكايين وشبك وشيعة وغيرهم، قامت العديد من الفعاليات والمؤتمرات لتعرية فكر وإرهاب تنظيم (داعش) وكل من تساندها وتمولها. ومن بين تلك الفعاليات مؤتمر المغرب وصدور إعلان عنه سمي بـ "إعلان مراكش"، تلاه مؤتمر بغداد "لمواجهة خطابات الكراهية في العراق" نظمتها مؤسسة مسارات للتنمية الثقافية والاعلامية (MCMD) في 30/ 1/ 2016 وصدر عنه "إعلان بغداد لمواجهة خطابات الكراهية في العراق والشرق الأوسط". وأقامت نفس المؤسسة أعلاه (MCMD) مؤتمرًا صحفيًا لإطلاق التقرير الشامل لحرية المعتقد للأقليات الدينية في العراق لوسائل الاعلام بتاريخ 12/ 3/ 2016، حيث كنت من المدعوين إليها إلى جانب الريشما (رئيس الأمة للصابئة المندائية) ستار جبار الحلو في العراق والعالم. تم فيها إلقاء الضوء على دور الدولة بضمان حرية الدين والمعتقد، وعن طريقة إدارتها للتنوع الديني وسياستها التعليمية، وتمت الإشارة إلى أن التعصب الديني ليس نتيجة ملازمة للتنوع الديني، بل كثيرًا ما يكون نتيجة لعملية تسيس الهويات الدينية وتوظيف الدين لأغراض سياسية ضيقة. كما تم التوقف عند آليات حوار الأديان والطوائف وجميع أشكال التواصل بين النُّخب كونه يلعب دورًا في القضاء على الأحكام المسبقة والصور النمطية التي تشكل الأسباب الجذرية للخوف من الآخر والكراهية ودافعًا للعنف والتمييز وما يرافق ذلك من انتهاك لحقوق الإنسان المختلفة.

وتمت الإشارة إلى أنه يمكن لوسائط الإعلام العامة والخاصة أن تلعب دورًا إيجابيًا من خلال تناول القضايا التي تهم جميع فئات المجتمع

وفي مقدمتها قضية حرية الدين أو المعتقد. وتناول التقرير الجانب التعليمي كونه يشكل وسيلة أساسية في ضمان حرية المعتقد والتدريب على التسامح وتعزيز حقوق الإنسان، مع الإشارة إلى أنه ينبغي في سياق ضمانات الحق في حرية الدين والمعتقد أن تتبنى الدولة خطة منهجية حول اعتبار التعليم أحد الركائز الاساسية في مواجهة خطابات الكراهية وتعزيز حرية الدين أو المعتقد. وكانت اجراءات التسجيل وحيادية الدولة إضافة إلى الحق في اختيار الدين والتحول الديني من نقاط البحث.

أما آخر مؤتمر هو الذي أقامه المركز العربي للحوار والدراسات بالتعاون مع مؤسسة كونراد اديناور (Kondrad Adenauer Stiftung) في بيروت للفترة 30-29/ 3/ 2016 تحت عنوان "مؤتمر حماية التعددية والعيش معًا، تجارب وتحديات" حضره نخبة من الباحثين والمفكرين ورجال الدين من مذاهب وطوائف متعددة، ومن تلك الأسماء: (العلامة السيد محمد حسن الأمين/ مفكر إسلامي ومستشار المحكمة العليا في لبنان، الأستاذ سمير فرنجيه/ مفكر وسياسي لبناني وعضو سابق في المجلس اللبناني وعضو مؤسس في المؤتمر الدائم للحوار، دكتور رضوان السيد/ أستاذ الدراسات الإسلامية في الجامعة اللبنانية، الشيخ حسين شحادة/ أمين عام ملتقى الأديان والثقافات، دكتور جابر الجابري/ الوكيل الأقدم لوزارة الثقافة العراقية، البروفيسور دكتور جورج تامر/ جامعة فريدرش-ألكساندر في إيرلنغن-نورنبيرغ المانيا، الدكتور عبدالجبار الرفاعي/ رئيس مركز دراسات فلسفة الدين، الدكتور محمد علي مقلد/ باحث وأكاديمي وأستاذ في الجامعة اللبنانية، الدكتور أحمد خواجه/ باحث وأستاذ في الجامعة اللبنانية، الشيخ سامي أبو المنى/ أمين عام مدارس العرفان التوحيدية ورئيس اللجنة الثقافية في المجلس المذهبي للموحدين الدروز، الأب جورج مسوح/ مدير مركز الدراسات الإسلامية المسيحية في جامعة البلمند، الريش أمة ستار جبار الحلو/ رئيس الطائفة المندائية في العراق والعالم، دكتور خليل جندي/ دبلوماسي وباحث متخصص بالديانة الإيزيدية، دكتور سعد سلوم/ الرئيس الدوري للمجلس العراقي لحوار الأديان وأستاذ في الجامعة المستنصرية، الدكتور مجيد مرادي/ أكاديمي وباحث ايراني، القس رياض جرجور/ الأمين العام للفريق العربي الإسلامي المسيحي،

الشيخ أياد عبدالله/ عضو اللقاء الوحدوي، الأستاذ صالح حامد/ رئيس جمعية الفكر والحياة)، وكان ضمن البرنامج كلمة لممثل شيخ الأزهر الشيخ أحمد الطيب، لكنه لم يحضر.

افتتح المؤتمر بتقديم المتكلمين من قبل الأستاذة بادية فحص بكلمات مؤثرة وجريئة، بعدها ألقى الأستاذ بيتر ريميله (Peter Remmele) كلمة مؤسسة كونراد اديناور، والشيخ عباس الجوهري ألقى كلمة المركز العربي للحوار والدراسات. وفي الختام أصدر المؤتمر إعلانًا من خمس صفحات أطلق عليه "إعلان بيروت لحماية التعددية والعيش معًا في فترة ما بعد داعش".

أدناه المحاضرة أو (الورقة) المعنونة "الإيزيدية... المستقبل المجهول" التي القيتها في المؤتمر ضمن المحور المخصص للعراق تحت عنوان "التعددية في العراق: واقع وتحديات" إلى جانب محاضرة الريش أمة ستار جبار الحلو "واقع المندائيين وتحديات التنوع الديني في العراق"، ومحاضرة الأستاذ سعد سلوم "واقع وتحديات التنوع الديني والقومي في العراق". ونال هذا المحور استحسان المؤتمرين.

الإيزيدية... المستقبل المجهول! (٤)

ورقة مقدمة إلى مؤتمر "حماية التعددية والعيش معًا، تجارب وتحديات" بإشراف المركز العربي للحوار والدراسات بالتعاون مع مؤسسة كونراد اديناور (Konrad Adenaur Stiftung) بيروت 30-29/ آذار/ 2016

لولا جرائم وفضائح تنظيم الدولة الإسلامية (داعش) الإرهابي في إبادة الإيزيديين بتاريخ 3/ آب/ 2014 وما تلاه من سبي نسائهم وبيعهن في سوق النخاسة، لما سمعت الملايين من البلدان العربية والإسلامية عن الإيزيديين وديانتهم!.. ولولا صرخة النائبة فيان دخيل تحت قبة

(٤) كُتب في بغداد، وألقي في مؤتمر بيروت ٢٩-٣٠/ آذار/ ٢٠١٦.

البرلمان العراقي، لما التف العالم المتحضر إلى حرب الإبادة المنظمة ضدهم في القرن الواحد والعشرين! ولولا الحملة العالمية التي قامت وتقوم بها بنت العراق وسفيرة السلام (نادية مراد) إحدى الناجيات من عبودية داعش وشهادتها أمام مجلس الأمن الدولي وجولاتها في العديد من البلدان العربية والأوربية ولقاءاتها مع رؤساء الدول كالرئيس المصري السيد عبد الفتاح السيسي وشيخ الأزهر وأمير دولة الكويت ورئيس مجلس الأمة الكويتي، والرئيس اليوناني ورؤساء وزراء كل من بريطانيا والنرويج والسويد وغيرهم، ورسالة السلام التي تحملها إلى الرأي العام العالمي والعربي والإسلامي للوقوف بوجه الفكر التكفيري الذي تتبناه داعش ضد الإيزيديين والمسيحيين الصابئة المندائيين والشبك والشيعة والسنة الذين لا يتبنون أفكارهم، ومن أجل إنقاذ الآلاف من الأطفال والسبايا الإيزيديات من أيدي داعش الإرهابي. لولا كل هذا، لما تم كسر جدار التجاهل المعرفي لديانة عراقية- شرق أوسطية قديمة". كما اختارها البروفيسور كاظم حبيب عنوانًا لمؤلفه العلمي الضخم.

لماذا يواجه الإيزيديون من بقايا ديانات منطقة الحضارات الكبرى في منطقة الشرق إلى هذه الإبادة المنظمة وتحت أنظار العالم المتحضر؟

يكمن أحد الأسباب الرئيسية بذلك إلى تشويه تاريخ الديانة الإيزيدية من قبل معظم الكتاب العرب وبعض الكرد المسلمين وعدد من المستشرقين باعتبارها فرقة إسلامية ضالة خارجة من رحم الدين الإسلامي! وكونها ديانة غير كتابية ووصف أتباعها بـ "عبدة الشيطان" وتنسيب اسم الديانة إلى الخليفة الأموي "يزيد بن معاوية" وبالتالي نسج العديد من الأساطير والخرافات حولها، بحيث هيأ أولئك الكتاب المبررات الشرعية لملاحقة اتباع هذه الديانة للتنكيل بهم وسبي نسائهم. وهذا ما حدث فعلا من خلال أكثر من 72 إبادة جماعية وكرنفالات دموية أثناء حكم الإمبراطورية العثمانية، وما جرى حديثًا من جينوسايد لإيزيدية سنجار في 3/ 8/ 2014 ليست إلاّ الصورة الصارخة والمكملة للتعصب الديني وعدم تقبل فكر المعتقد الآخر. أدناه احصائية بغزوة داعش لإبادة إيزيدية سنجار: [٥]

(٥) اعتمدنا على أخر إحصائية صادرة بتاريخ ٢٠٢١/٢/١٥ من مكتب إنقاذ المختطفين الإيزيديين والنازحين والمهاجرين إثر هجوم تنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام (داعش).

- عدد النازحين: 360 ألف إيزيدي، ولم يعد منهم إلى سنجار سوى 150 ألف شخص.
- عدد القتلى: 1293 شهيد.
- عدد المخطوفين: 6417 شخص.
  الإناث: 3548
  الذكور: 2869
- عدد الأيتام : 2745 طفل وطفلة.
- المقابر الجماعية المكتشفة لحد الآن: 82 مقبرة، إضافة إلى العشرات من المقابر الفردية.
- عدد المزارات والمراقد الدينية التي تم تفجيرها: 68
- أعداد الناجين من داعش: 3545
  النساء منهم: 1205
  الرجال: 339
  الأطفال الذكور: 956
  الأطفال الإناث: 1045
- عدد المخطوفين الباقين مجهولي المصير تحت سيطرة داعش: 2768
  الإناث منهم: 1298
  الذكور: 1470
- عدد المهاجرين خارج العراق: 110 ألف إيزيدي.

واجهت الديانة الإيزيدية في تاريخها الماضي عدة إشكاليات جلبت لها كل هذه الويلات والإبادات من دون وجه حق:
أولها: إشكالية الإيمان/ المعتقد واتهامها بعبادة ابليس.
الثانية: إشكالية التسمية.
الثالثة: إشكالية الانتماء القومي، ولو أنها مشكلة حديثة العهد باعتقادي.
ويتحمل الكُتَّاب العرب والمسلمين ما حلّ بالإيزيديين من ظلم وغبن تاريخي وإبادات نتيجة للصورة الخاطئة المنقولة عنهم، ودون أن يعرف هؤلاء الكتاب بان هذه الديانة غير تبشيرية لا تسعى للسلطة وليس لها

دخل بالسياسة. ويجهل هؤلاء الكتاب، أو يتجاهلون، بإن الإيزيديين يؤمنون بالإله الواحد الأحد وهو ما يؤكده جُلّ أدبهم الديني، وأن كلمة (خودا - خودي - خو + دايي= الله) التي تعني الذي خلق نفسه بنفسه كفيلة بدحض أقاويل كل من شكّ ويشكّ بعدم وحدانية هذه الديانة. ويؤمن الإيزيديون بالملائكة وباليوم الآخر.

أما كلمة "إيزيد" التي تنسب لها الديانة فليست لها صلة باسم "يزيد بن معاوية" بل أن كلمة "ايزي، يزدا، إزاتا، ياجاتا..." هي كلمات بهلوية إيرانية قديمة بمعنى عبدة الله وغير المتلوثين الذين يسيرون على الدرب الصحيح... فهل قرأ شخص ما في كتب التاريخ والتراث الإسلامي أن يزيد بن معاوية أسَّس دينًا خلال سنوات حكمه الثلاث؟

هناك الكثير من الناس في الدول العربية تم حشو أدمغتهم بمعلومات مزيفة ومشوهة، بل وكاذبة. ويلعب الكثير من شيوخ الدين المسلمين دورًا سلبيًا، بل سيئًا في حشو رؤوس البسطاء من الناس ضد أتباع الديانات الأخرى، وخاصة ضد الإيزيديين الذين يسمونهم بالمرتدين عن الإسلام وهم من هذه التهمة الكاذبة براء، أو اعتبارهم كفارًا كما في عرف المسلمين المتخلفين الذين حرثوا وزرعوا الأرضية الصالحة للمزيد من الكراهية والحقد الموجهين ضد الإيزيديين بشكل خاص وضد الديانات الأخرى وأتباعها. إنها الغلظة والتكبر والتجبر والتعصب وعدم الاعتراف بالآخر وحق الآخر بالإيمان بدين آخر أو مذهب آخر أو فكر آخر، إنها الشمولية الدينية المستبدة التي لا يمكن أن تعيش في القرن الحادي والعشرين!

لقد أدى اعتبار الإيزيديين من "الجماعات المسلمة التي ارتدّت عن الإسلام" والإدعاء بأن الجماعة قد اتخذت من عبادة إبليس عقيدة لها، دون إدراك ووعي لميثولوجيا ورموز ومضامين وقيم الديانة الإيزيدية، كان كافيًا لتنظيم أعتى المجازر الدموية ضدهم. وكان الحُكم العثماني هو المسؤول الأول والمباشر عن إعطاء الأوامر بتلك المجازر، إضافة إلى شراسة الحُكام المحليين في تنفيذها، بغض النظر عن المنحدر القومي لهم.

إن الإيزيديين في العراق يعتزون بمواطنتهم في إطار العراق الديمقراطي الاتحادي التعددي الذي يرجونه ويسعون إليه والذي لم يتحقق بعد.

”إن لكل إنسان الحق الكامل في اعتناق أو الاعتقاد والإيمان بأي دين كان، وله الحق في ممارسة طقوسه وتقاليده دون قيد أو شرط.“، ونداء للمتعصبين والمتطرفين من أية ديانة كانوا، أن يراجعوا أنفسهم ويعترفوا بوجود الأديان والمعتقدات الأخرى ويحترموا أتباعهم. وهي صرخة لضمير العالم والإنسانية أن يقفوا مع أتباع الأقليات الدينية من إيزيديين وغيرهم من أجل ايقاف حملة الإبادة والتطهير ضدهم من قبل عصابات (داعش).

السؤال الأساسي هو: هل من مكانة للأقليات الدينية، خاصة الإيزيدية والمسيحية، في الشرق الأوسط في ظل تصاعد موجات العنف وسيطرة الفكر التكفيري وانتشاره كمرض السرطان؟

وبعد أن تعرضت هذه المكونات إلى عمليات تطهير وإبادة جماعية، واقلاع من الارض، والعودة إلى عصر الغزوات وسبي النساء وأخذ الجزية من قبل ما تسمى بتنظيم دولة الإسلام في الشام والعراق (داعش). وبات هذا الوليد الوحشي الذي أنجبته ثورات ما أطلقت عليها ثورات الربيع العربي، لا يهدد المكونات الدينية المذكورة آنفًا وحسب، بل بات يهدد العالم باسره. وأمام المستجدات الجديدة من ظهور (داعش) وأخواتها وما تعرض له الإيزيديون على أيديهم من قتل ودمار وسلب وسبي وإبادة جماعية مع سبق الإصرار، أصابته بالعمق وتركت آثارًا مدمرة على نفسية وتكوين الفرد والمجتمع الإيزيدي في العراق وبقية بلدان تواجدهم، وخلقت مرحلة جديدة تمامًا سوف لا تلتئم جروحها لعقود وأجيال قادمة.

ولن أجافي الحقيقة بالقول إن المجتمع الإيزيدي، خاصة في العراق، فَقَد تماسكه ولم يبق مثلما كان قبل تاريخ 3/ 8/ 2014 كونه فَقَد الثقة بنفسه وقيادته وجيرانه والقوى التي كانت تحميه وتركته فريسة سهلة لقوى الظلام وأعداء البشرية من عصابات (داعش). أرى شخصيًا صعوبة الحالة الإيزيدية وعدم وجود معالجة آنية على المدى القريب، وأن هناك خطورة زوال التنوع الديني الذي هو أساس جمال العراق.

السؤال الأهم هو: هل المنظمات الإرهابية (داعش) والقاعدة وبقية الأسماء من الجماعات والمنظمات التكفيرية هبطت على هذه الشعوب من السماء؟

نفترض بأنه تم طرد الدواعش وتم القضاء على مجاميعهم المسلحة في العراق وسوريا على سبيل المثال، ماذا سيكون ما بعد (داعش) وكيف يتم التعامل مع الأسباب التي أوجدتها، بمعنى هل سيختفي الفكر الداعشي؟ هنا نواجه عن مدى إيجاد الحلول للأسئلة التالية:

• هل تقوم البلدان العربية والإسلامية بفصل الدين عن السياسة والدولة في دساتيرها ولم تستحضر الدين في الحياة العامة باعتباره شأنا فرديًا وليس شأنًا عامًا، وتقر بدولة المواطنة بغض النظر عن القومية والدين والجنس واللون، وتؤمن ان لكل إنسان الحق الكامل في اعتناق أو الاعتقاد والإيمان بأي دين كان وله الحق في ممارسة طقوسه وتقاليده دون قيد أو شرط، ويعترف بوجود الأديان والمعتقدات الأخرى ويحترم أتباعها؟

• هل سيتم مراجعة كاملة وشاملة للمناهج التعليمية وبنائها على أسس علمية ومبادئ المواطنة والمساواة والديمقراطية والسلام وحقوق الإنسان ابتداءً من الروضة والمدارس الابتدائية وانتهاءً بالجامعات؟

• بما أن المعرفة الإيمانية لا تعتمد على العقل أبدًا، هل سيفسح المجال للعقل (الفكر) أن يحقق رسالته ويعالج الأمور بنظرة شمولية ويستفيد من معطيات العلم، ويقيم علاقات وروابط بين البشر وبين عالم الواقع، وتبق باب الاجتهاد مفتوحًا أمام كل الأديان كي تتسنى لها مواكبة العصر، وتؤدي رسالتها التي تنادي بها في محاربة الاستغلال والظلم والدعوة إلى المحبة والتسامح الديني والاعتراف المتبادل والعدالة ونبذ العنف والقتل والهيمنة وفرض الرأي ...الخ.

• كيف سيتم مواجهة سيادة خطاب الكراهية والتطرف والتمييز وإلغاء الآخر المخالف معنا في الدين أو الفكر، وكيف يتم التعامل مع شيوخ فتاوى التكفير وأماكن تفريغ الفكر التكفيري الإرهابي.

• هل بالإمكان إسكات، أو على الأقل الحد من دور القنوات الاعلامية التي تصنع الإرهاب وتبث سموم الحقد والكراهية وتهدد السلم الاجتماعي؟

• ما هو السبيل إلى الحد من الخطاب الديني المؤدلج الذي يحمل شحنات التحريض ويقود إلى ممارسة العنف على الآخر المخالف وغير المقتنع بتلك الأدلجة المنتجة للتحريض.

• هل ستكون هناك ضمانات إقليمية أو دولية لحماية الأقليات الدينية من إيزيديين ومسيحيين وصابئة وغيرهم ليستمروا في العيش على أرضهم ومنع تكرار ابادتهم ومحو هويتهم.

• هل سيعتبر مجلس الأمن الدولي ومحكمة الجنايات الدولية ما جرى لإيزيدية سنجار في 3/ آب/ 2014 حرب إبادة ضد المكون الإيزيدي وتقديم الفاعلين للعدالة وتعويض جميع الضحايا حسب القانون الدولي.

إن الذين آمنوا بالمعرفة الإنسانية وحدها وجعلوا من الطبيعة ميدانًا لمصدر معرفتهم المبنية على التجربة والاستقصاء والنظرة النقدية ضمن مناهج علمية، هم الذين تقدموا وساهموا ببناء الفكر الحضاري.

حوار حول مرحلة ما بعد (داعش)، وما على الإيزيدية فعله؟

بحزاني نيت حاورت الباحث الكبير والكاتب د. خليل جندي، رائد الإصلاح حيث كتب لنا من مدينة أوسلو في النرويج قائلاً: [٦]

كيف نعود بالإنسان الإيزيدي إلى خانة التعرف على إنسانيته، وكيف نقنعه بأنه (هو) نقطة الارتكاز ومركز الاهتمام في الدين والدولة معًا، وليس العكس في أن يكون هو خادمًا ومطيعًا وذليلاً لهما. نحن أولاً من يصنع عاداتنا، ومع الزمن تقوم تلك العادات بصناعتنا. وما العقائد سوى عادات متأصلة فينا. ويجب ان لا يكون الدين فقط عبادة، بل يكون منهج حياة لتصحيح وتقويم الكثير من المجالات كي يكتب له الاستمرارية والديمومة. لذا فإن الإيزيديين بحاجة إلى انتفاضة فكرية على الجمود العقائدي. أخطر ظاهرة، بل أضعها في خانة الجريمة، أن يستلم رجل الدين راتبه من جهة اخرى غير وقفه الديني، لأن ذلك يحوله إلى شخص استسلامي لا حول ولا قوة له، وبدون موقف، ويفقد هيبته ومصداقيته. والأخطر على الإيزيدية والإيزيدياتي هم أولئك الذين نفذوا تلك الفكرة. لأنهم بهذا العمل "أخصوا" رجال الدين، وأظهروا الإيزيدية وكأنها مجموعة من المتسولة على أبواب الغير! وبدون تهديم هذه العلاقة لا أمل بالمجلس الروحاني ولا برجال الدين.

5/ 6/ 2012 اوسلو

بشأن السؤالين اللذين أرسلتماهما لي:

1. ماذا عن مستقبل الإيزيدية ما بعد مرحلة داعش، على الرغم من انتهائه عسكريًا وليس فكريًا؟

(٦) بغداد في ١٤/ تموز/ ٢٠١٧.

2. ماذا يستوجب على الإيزيدية فعله بالرغم من انقسامهم على عدة جبهات سياسية، كذلك الصراع الموجود من قبل الأحزاب للسيطرة على مناطقهم"

أود أن أختصر رؤيتي على السؤالين أعلاه كالآتي:

ما دام الإيزيديون يعتبرون مكونًا من مكونات العراق، فإن السؤال الرئيسي هو: ماذا تكون ملامح مستقبل العراق ككل ما بعد داعش؟ هل سيكون عراق فيدرالي، كونفدرالي، أو عراق مركزي أم محافظات ذات صلاحيات واسعة؟

والسؤال الآخر الذي لا يقل أهمية عن السؤال الرئيسي الأول، هو تعقيد إدارة محافظة نينوى بعد التحرير، خاصة إذا علمنا أن 3/ 4 الإيزيدية يعودون إداريًا لمحافظة نينوى. كيف تكون إدارتها من الناحية الإنسانية في المناطق المحررة حيث هناك أكثر من مليون نازح بما فيه أكثر من ثلاثمائة ألف نازح إيزيدي... وماهي عوامل الاستقرار على المدى القريب أو البعيد بعد كل الجرائم التي اقترفها عصابة داعش الإرهابية في إبادة أهل سنجار بتاريخ 3/ آب/ 2014؟!

طبعًا الحديث بعد تحرير الموصل يدور عن توزيع الكعكة بين بعض الأطراف العراقية والإقليمية، وهذا سيخلق حتما أجواءً من التوتر المستمر وسيزيد من الصراعات القومية والطائفية والإقليمية لأمد بعيد وربما تظهر منظمات وعصابات أشرس من داعش وبأسماء أخرى، إذا لم تحل وتعالج الأسباب التي أدت إلى ظهور داعش.

تعدد المكونات في الموصل يعقد المشهد، وجعله يدخل مرحلة التخوف بعد القضاء على داعش عسكريًا. والأمور بعد داعش ليست أقل خطورة من تنظيم داعش نفسه، تم القضاء تقريبًا على الداعش العسكري المسلح، لكن لم يقض على فكره التكفيري الظلامي وما زال الإرهاب باقيًا!!

إذن كيف يكون الأداء الحكومي، أو كيف تكون الصراعات السياسية بين المكونات؟ كيف تتجه التحالفات الجديدة؟، ماهي ملامح الواقع السياسي الجديد؟ هل تبقى المحافظة بنفس إدارتها السابقة

وجغرافيتها أم تنشأ أقاليم وأكثر من محافظة إلى جانب نينوى؟ هل سيكون الاستفتاء في إقليم كردستان في صالح الإيزيديين وفي صالح الاستقرار في المنطقة، أو يخلق صراعات جديدة والإيزيديون سيكونون حطب تلك النزاعات؟!

الإيزيديون يدورون ضمن دوامة هذه الصراعات، علمًا أن الإبادة التي حلّت بسنجار خلقت رجّة في دماغهم، وأثرت على آرائهم وشتت قواهم، وأربكت أفكارهم، فماذا يتوقع من مئات الآلاف النازحين الإيزيديين في مخيمات وخيم تفتقد إلى أبسط مقومات العيش؟! وماذا يكون مصير الإيزيديين في ظل قيادة (المجلس الروحاني الأعلى) المسلوبة الإرادة والمتخلفة عن تطورات المنطقة والعالم!

دعنا نتفق أن القضية الإيزيدية لم تعد قضية قومية، وأن الإبادة التي حلت بالإيزيدية لم تكن بسبب انتمائها القومي، وإنما بسبب انتمائها الديني. رغم أن بعض الأطراف قامت بتسويقها قوميًا من أجل مصالحها الضيقة! فقد تجاوزت الكارثة الإيزيدية بعد جينوساید سنجار القضية القومية وحتى الدينية وتحولت إلى قضية إنسانية، قضية مئات الآلاف من النازحين والمشردين، قضية سبايا بيد عصابات داعش، قضية آلاف المختطفات والمختطفين، قضية مئات الأطفال الذين تم غسل أدمغتهم وتجندهم من قبل داعش، قضية أرض ومأوى تم تدميره ينتظره الاعمار وعودة النازحين.

إن الإيزيديين أصبحوا حاليًا منقسمين إلى خمسة مناطق، منطقتين في سهل نينوى يفصلهم الخندق الذي يصل إلى قضاء تلكيف، وثلاثة مناطق نزاع في سنجار وثلاثة أطراف متصارعة هي: قوات الحزب الديمقراطي الكردستاني (حدك) تسيطر على ناحية الشمال/ سنوني ومجمعات شمال الجبل إلى حردان، وقوات حزب العمال الكردستاني (PKK) وقوات حماية سنجار تسيطر على مجمع خانصور والقسم الشمال الشرقي من الجبل باتجاه الحدود العراقية السورية. وقوات الحشد الشعبي التي حررت المجمعات جنوب الجبل مع قرية كوجو وتسيطر على جنوب الجبل والقيروان وقضاء البعاج والحدود العراقية السورية غرب سنجار. أما مركز قضاء سنجار فهي تحت سيطرة قوات (KDP) و(PKK).

إن وصول الحشد الشعبي إلى مناطق الحدود السورية العراقية تثير حفيظة أطراف صراع مختلفة بالأخص تركيا والولايات المتحدة الأمريكية وقيادة إقليم كردستان نظرًا لتضارب المصالح. بالنسبة إلى قيادة الإقليم باتت تخشى من قدرة الحشد على الوصول إلى المناطق المتنازع عليها ومن ثم السيطرة عليها وبالتالي تقويض المشروع الكردي في كركوك وسنجار، ولهذا السبب وأسباب أخرى من الاخفاقات السياسية والاقتصادية والمالية والاجتماعية، لجأت قيادة إقليم كردستان إلى إعلان الاستفتاء. وعلى المستوى الإقليمي فان سيطرة الحشد الشعبي على منطقة سنجار والبعاج يخلق فضاءً جيوسياسيًا جديدًا يمتد إلى البحر المتوسط عبر البادية السورية.

أمام خارطة الصراعات والمصالح المتضاربة، ماذا يستوجب على الإيزيديين فعله والقيام به بعد القضاء على داعش عسكريًا؟

• أرى أن المهمة الأساسية رقم واحد الآن أمام الإيزيديين هي قضية الإعمار، ودعوة الحكومة العراقية والمجتمع الدولي بإعمار المناطق المدمرة من سنجار إضافة إلى بعشيقة وبحزاني وعودة النازحين إلى مناطقهم، وتوفير الخدمات الحياتية والإدارية والصحية والتعليمية والأمنية... الخ، وليس في ضياع الوقت وإزهاق الأرواح وهدر الدماء في صراعات حزبية والتفكير الضيق بالسيطرة على أرض بلا بشر بين القوى الكردستانية المتصارعة.

• كما أرى أن قضية الإيزيدية بعد الإبادة التي حلّت بها تحل مع المركز بالدرجة الأساسية، خاصة إذا أخذنا بنظر الاعتبار تدمير البنية التحتية بنسبة 80% وحاجتها إلى آلاف الملايين من الدولارات من أجل إعمارها، وأن ذلك يعالج من خلال المركز ومن خلال الدعم الدولي الذي يقدم لبغداد، علمًا أن منطقة سنجار وقضاء الشيخان وتلكيف إضافة إلى بعشيقة وبحزاني ما زالوا تابعون إداريًا إلى محافظة نينوى. أما بالنسبة لإقليم كردستان وفي ظل وضعه الاقتصادي المتهور وإفلاسه المالي لا يتمكن من إعمار منطقة سنجار وبقية مناطق الإيزيدية وإعادة الحياة لهم للعشرة سنوات القادمة حتى إن كان البعض متفائلاً بنجاح الاستفتاء وإعلان الدولة الكردية، ولن يتم خنقها من قبل دول الجيران خاصة إيران وتركيا!

• النقطة الأساسية الثالثة أن يقوم أهالي سنجار وبقية مناطق الإيزيدية، بحماية أنفسهم بعيدًا عن تدخل القوات العسكرية الأحزاب والأمنية، حيث فقد الإيزيديون الثقة بالذي كان يحميه قبل 3/ آب/ 2014، حينما تركوا الناس الأبرياء العزل في خلسة بين أنياب الوحوش الكاسرة من دون أن يطلقوا رصاصة واحدة ضد الدواعش، ولم يقدموا جريحًا واحدًا، كما عاد ذات الطرف إلى سنجار بعد حوالي سنة بنفس المسرحية من دون أن ينزف قطرة دم! علمًا لسنا مع إراقة قطرة دم من أحد. الإيزيديون بعد الإبادة يرفضون الإملاءات وفرض سياسة الأمر الواقع، يريدون تشكيل قوات حماية من القوات المسلحة والشرطة والأمن والاستخبارات خاصة بهم فقط، تسلح من قبل المركز وتكون تابعة للقوات المسلحة العراقية، لكنها تبقى قوات حماية لمناطقها لا تنقل إلى مناطق أخرى، بذلك تنتفي الحاجة إلى القوات المسلحة للأحزاب المتصارعة وهم مدعون إلى سحب قواتهم من سنجار وترك المنطقة لأهلها.

• المطلب الإيزيدي الرابع هو رفض الخنادق العازلة لمناطقه بعضها عن البعض سواء في سهل نينوى، أو توزيع مناطق السيطرة والنفوذ بين الأحزاب كما في سنجار.

إلى جانب هذه المطالب الأساسية والملحة، لا تنسى الفعاليات الإيزيدية، خاصة تلك التي ولدت من إبادة سنجار، أن تعمل على تحقيق ما يلي:

1. إعطاء الأولوية لمعالجة ضحايا إبادة سنجار وخاصة السبايا الإيزيديات الناجيات من قبضة داعش وكذلك الأطفال وتأهيلهم من الصدمة والاهتمام بحقوق المرأة والطفل من خلال وضع برامج طويلة الأمد وبدعم من المنظمات الدولية لمعالجة الآثار النفسية والاجتماعية للسبايا الناجيات، ورعاية الأيتام والعجزة وعوائل الشهداء وضمان حماية المقابر الجماعية.

2. تحويل ملف الإبادة الجماعية للإيزيديين بعد اعترافها من قبل عدة برلمانات أوربية وغربية (مجلس العموم البريطاني، الكونغرس الأمريكي، البرلمان الألماني، البرلمان الأوروبي، البرلمان الكندي، البرلمان الأسكتلندي) [٧] إلى محكمة الجنايات الدولية، أو تشكيل محكمة خاصة

(٧) كما تم في ١٩/ ١ /٢٠٢٣ اعتراف من قِبل البرلمان الألماني بالإبادة الإيزيدية.

على غرار محكمة بورندي، محكمة رفيق الحريري، محكمة يوغسلافيا، لمقاضاة الجناة من الدواعش ومن ساندهم. ولو أن تحقيق هذا المطلب يلاقي صعوبات في الوقت الحالي بسبب عدم انضمام العراق إلى محكمة روما.

3. العمل على تفعيل المادة 125 من الدستور العراقي بشأن الحقوق الإدارية والسياسية والثقافية والتعليمية للقوميات والمكونات الدينية المختلفة من خلال تنظيمها بقانون يسمح بتشكيل إدارات ذاتية أو استحداث إقليم خاص أو محافظتين بالمكون الإيزيدي في سنجار وأخرى في سهل نينوى لجميع المكونات الدينية.

4. المحافظة على الطبيعة الديموغرافية الإثنية/ الدينية للأقضية سنجار والشيخان وبعشيقة وبحزاني وإعادتها إلى ما كانت عليه سابقًا وحسب إحصائية عام 1957، وتحديد حدود معبد لالش المقدس وعدم التجاوز عليه. والعمل على ادراجه ضمن لائحة اليونسكو للتراث العالمي.

5. العمل الفعال لتشكيل جماعة ضغط (لوبي) من الإيزيديين وأصدقائهم من الشخصيات الأجنبية والمنظمات الدولية في الولايات المتحدة الأمريكية وأوروبا عمومًا، أو داخل العراق، مع إقامة صندوق مالي استثماري خاص.

أما بشأن السؤال الثاني، أرى أن ما طرحته في ورقتي المقدمة إلى مؤتمر برلين في 21/ نيسان/ 2017 تحت عنوان "الإبادة الجماعية في سنجار. التاريخ الفاصل/ نكون ألا نكون؟!" يفي بجزء من الإجابة على هذا السؤال، وهو رأي شخصي قابل للحوار والنقاش، كتبت ما ملخصه:

يجب أن نسأل أنفسنا جميعًا: كيف يمكن تحويل الإبادة الجماعية في سنجار بتاريخ 3/ 8/ 2014 على يد وحوش العصر، تنظيم (داعش) الإرهابي إلى عامل وحدة للإيزيديين ولصالح وجودهم في العراق وبقية أماكن تواجدهم، مثلما حول اليهود الهولوكوست إلى عامل وحدة وظّف لبناء دولتهم فيما بعد.

الإيزيديون بحاجة إلى تاريخ يجمعهم لا إلى تاريخ يفرقهم، وليكن تاريخ الثالث من آب 2014 يومًا لوحدة الإيزيديين، نطلق عليه تاريخ (مرحلة نادية مراد)، تلك المخلوقة التي اجتازت بشجاعتها وبراءتها جميع الحدود لتصل إلى المجال الإنساني الرحب والأشمل، وتلك الصرخة الهادرة التي مزقت صمت العالم ووضعت ملف صوت الدم الإيزيدي على طاولة مجلس الأمن الدولي، فاستحقت بكل جدارة أن تجسد إبادة سنجار وتصبح "رمزًا للإيزيدية" وتنال لقب سفيرة السلام للنوايا الحسنة.

أرى أن يكون الإيزيديون موحدين في هذه المرحلة، ويدعموا هم وجميع المراكز والجمعيات الإيزيدية أينما كانت منظمة "يزدا" من أجل ترجمة قرار الأمم المتحدة بتسمية نادية مراد سفيرة النوايا الحسنة إلى مشاريع لمصلحة حاضر ومستقبل الإيزيدية ولمعالجة البعض من آثار القتل والإبادة التي تعرضوا لها، أو التخفيف من بعضها الآخر. وطرحت ملاحظاتي على مستويين: المستوى الاول (المواجهات العامة للقضية الإيزيدية) وذكرت البعض منها ضمن النقاط المطروحة أعلاه.

أما على المستوى الثاني (المستوى الإيزيدي الداخلي): يتم التأكيد على ان يتجاوز الإيزيديون محنتهم حاضرًا ومستقبلاً، يجب، وبإلحاح، التوجه إلى تنظيم البيت الإيزيدي الداخلي من أجل وخلق نظام مؤسساتي للمجتمع الإيزيدي يبدأ من فصل المجلس الروحاني الإيزيدي الأعلى عن التدخل في الشؤون السياسية، وتشكيل هيئة موسعة من الكفاءات والشخصيات الإيزيدية من العراق، سوريا، تركيا، أرمينيا، جورجيا، وإيزيدية المهجر.

تشكيل لجان متخصصة (قانونية، إعلامية، علاقات، مالية، إدارية، اجتماعية، نسائية، حقوق الطفل، الخ) تابعة للهيئة الرئيسية.

الإيزيديون يلعبون في الوقت الضائع، فهل يسجلون هدفًا؟! فإن تحركوا بحكمة وتجاوز البعض كبريائه الفارغ، وسجلوا هدفًا، حينها يزرعون بذرة الأمل باستمرار الوجود الإيزيدي في العراق، فهل من مستمع ومستجيب؟!

الموقف من السبايا الناجيات
معيار مصداقية الإيزيديين لرسم لمستقبلهم القادم [٨]

هنالك حكمة تقول، إذا أردت تحطيم شعب ومجتمع ما تبدأ بالتالي:

- تحطيم الأُسرة! - إهانة المعلم! - احتقار الرموز!

العائلة المتماسكة المتعافية والتعليم الموجه والرموز الدينية هم دلالات المجتمع الحي القابل للعيش والبقاء. فتنظيم ما تسمى بالدولة الإسلامية (داعش) الإرهابية البربرية ركزّ في حملة إبادته لإيزيدية سنجار 3/ 8/ 2014 على النقاط الثلاثة أعلاه. بالمقابل ماذا ستكون رسالة الإيزيديين في مواجهة الفكر الظلامي التكفيري المتجرد من كل القيم الإنسانية الذي يحمله (داعش) وأعوانه في كل مكان؟ وكيف يثبت الإيزيديون لمريدي الدواعش والمصابين بدائه، أن مجتمعهم حيّ يمكن أن ينهض من بين رماد إبادة سنجار أكثر تمسكًا بعقيدته، وأكثر حماسًا لترميم بيته الداخلي، وأكثر خبرة في التعامل مع محيطه لاختيار أصدقائه ومعرفة أعدائه، وأكثر انفتاحا على العالم الخارجي بما يخدم مصلحته.

فالأُسرة تعتبر الخلية الحيّة والنواة الأساسية في المجتمع، تتكون من أفراد تربطهم صلة القرابة والرحم وتساهم في جميع النشاطات الاجتماعية والاقتصادية والمادية والروحية والعقائدية، وأن من أهم وظائفها هي الوظيفة البيولوجية والمحافظة على النوع الإنساني إضافة إلى وظيفتها الاجتماعية والتربوية ونشر بذور الحب. وتكمن أهمية الأُسرة في كونها بنية غريزية آمنة لتلبية حاجة الأفراد الفطرية لتحقيق الاستقرار النفسي والروحي وتنمية القيم الإنسانية، كما أن الأُسرة هي مدرسة الطفل الأولى التي تقوم بإكسابه السلوكيات والقيم والتقاليد وتغرس فيه مفاهيم الولاء والانتماء.

(٨) بغداد في ١٠/ ٦/ ٢٠١٧.

إن القتل الجماعي الممنهج هي حلقة من حلقات إبادة مجموعة عرقية أو دينية ما، أما ما قامت بها العصابات الاجرامية (داعش) في اختطاف الأطفال والنساء الإيزيديات وأخذهن سبايا واستخدامهن للاستعباد الجنسي، هي الإبادة بعينها من خلال تحطيم الأسرة والمجتمع الإيزيدي بأسره.

أعلنت المديرية العامة لشؤون الإيزيديين التابعة لوزارة الأوقاف في حكومة إقليم كردستان عن أحدث إحصائية لضحايا تنظيم داعش من الإيزيديين الذين قتلوا وهجروا واختطفوا وهي أرقام مخيفة، فقد بلغ عدد النازحين (360.000)، عدد القتلى (1293)، المجموع الكلي للأيتام (2745)، عدد المقابر الجماعية (43) إضافة إلى المئات من مواقع المقابر الفردية. عدد المزارات والمراقد الدينية المفجرة (68) مزارًا... عدد الذين هاجروا إلى خارج العراق (90،000) تقريبًا. وبلغ عدد المختطفين (6417) شخصًا، الإناث منهم (3547) والذكور (2870). أعداد الناجيات والناجين من قبضة داعش الإرهابي هو (3019)، النساء منهم (1084) والرجال (334)، والناجي من الأطفال الإناث (808) والأطفال الذكور (793). وعدد المختطفين الباقين (3398) شخصًا، الإناث منهم (1655) والذكور (1743).

- الآثار النفسية والاجتماعية للمغتصبات واللواتي مورس بحقهن العنف الجنسي:

إذا كانت الصور أو التعاريف التي تتعرض لها الأنثى بشكل عام من اعتداء جنسي أو اغتصاب لإشباع شهوات الجاني يكشف عن مدى بشاعة الفعل الممارس، تصوروا معنا ماذا ستكون الآثار النفسية للمجنيات عليهن من النساء الإيزيديات اللواتي سيطر عليهن الدواعش كسبايا لتحطيم عقيدتهن الدينية، والتعامل معهن كبهائم، واستعبادهن جنسيا بحجة تقرب الدواعش إلى الله! وبهذا الصدد نحاول اختصار ما ذهبت إليها الدكتورة الفت علام/ استشارية العلاج النفسي، من آثار نفسية بقولها: ان الضحية تحاول بشتى الطرق والوسائل نسيان هذا الأمر المؤذي أو الانفصال وتغاضيه. إلاّ أنها تفشل في أغلب الأحيان في ذلك.

وتدخل في دائرة الخوف والإحساس بالعجز والدونية. فالآثار النفسية والاجتماعية التي تتعرض لها الضحية ليست آثارًا وقتية ترتبط بالحدث فقط، بل تمتد أحيانا لسنوات عديدة قد تعتقد الضحية أنها تخلصت من هذه الآثار، لكنها تبقى راسخة في أغوار نفسها. و"إن لم تتعاف من هذه الصدمة" سوف تظهر على معظم جوانب حياتها بشكل مباشر أو غير مباشر. وتحدد الدكتورة (علام) أهم الآثار النفسية بالنقاط التالية:

- كرب الصدمة، صعوبة العودة إلى ممارسة الطقوس الحياتية اليومية المعتادة.
- الأرق والكوابيس أثناء النوم.
- نوبات غضب وعدوان غير مبرر ولأسباب واهية. القلق وسرعة الاستثارة.
- تشويه الجسد بالآت حادة من وقت لآخر. وسيطرة الأفكار الانتحارية على الضحية قد يصل إلى إجراء محاولات انتحار بالفعل، تؤدي أحيانًا إلى موتها.
- الإفراط في استخدام آليات دفاعية نفسية مثل الأنكار أو الطفولية أو انشقاقية الوعي للهروب من الألم النفسي التي تعاني منها.
- ظهور انحرافات سلوكية ليست موجودة من قبل مثل الكذب أو السرقة أو الإهمال في المظهر قد يصل إلى الاهمال في النظافة الشخصية.
- اضطرابات نفسية مثل الغثيان أو أعراض ذهنية مثل الإحساس بالاضطهاد أو المراقبة.

أما الآثار الاجتماعية وبقدر تعلق الأمر (بالسبايا) الإيزيديات الناجيات، فإن من أهمها قاطبة تلك التي تتعلق بقضية الزواج والانجاب وتكوين الأُسرة كأحد أعمدة المجتمع. بسبب الكثير من العادات والتقاليد الاجتماعية والعشائرية الذي يتسم به المجتمع الإيزيدي، فضلاً عن بعض الخصوصيات الدينية، فقد كان الكثيرون يعتقدون إن الإيزيديين سيتخذون موقفًا رافضًا من استقبال وقبول السبايا الناجيات، أو في أفضل الأحوال يتخذون موقفًا سلبيًا منهن، إلاّ أن الذي حدث لم يكن متوقعًا، فبعد نجاة أول فتاتين من قبضة عصابات داعش الإرهابية في 28/ 8/ 2014، قام المرجع الديني الأعلى المتمثل بسماحة البابا

شيخ ختو حاجي إسماعيل بإصدار فتوى دينية باللغة الكردية بتاريخ 6/ 9/ 2014، نعتبرها أجرئ فتوى تحمل مضامين إنسانية نبيلة سوف يسجل له تاريخ الإيزيدية بمدد من ذهب. نشرت نفس الفتوى باللغة العربية تحت العدد 28 ومؤرخة في 6/ 2/ 2015 نقتطف منها: "نرى أن هؤلاء قد أجبروا على ممارسات شعائر دينية تنافي الديانة الإيزيدية تحت الضغط والاكراه والقوة نعلن، وبعدما بذلت وتبذل جهودًا لإعادة العديد من هؤلاء المخطوفات والمخطوفين، نؤكد بأن هؤلاء الناجيات والناجين يبقوا إيزيديين أنقياء وليس لأحد أن يمس عقيدتهم الإيزيدية بشيء لأن ما تعرضوا له أمر خارج إرادتهم. لذلك ليس لأحد أن يقرر مصيرهم أو هويتهم الدينية، بل بالعكس علينا جميعًا أن نمد لهم يد المساعدة كي يعودوا إلى ممارسة حياتهم الطبيعية ليتجاوزوا المحنة التي مروا بها. لذلك ندعو الجميع أن يتعاونوا مع هؤلاء الضحايا ويدعموهم لكي يعودوا إلى ممارسة حياتهم الطبيعية ويندمجوا مع المجتمع. والجميع مطالب بإنجاح هذه المهمة..."

استكمالاً إلى لوحة إبادة سنجار في 3/ آب/ 2014 يجب أن نعترف بأن الإيزيديين في كل مكان أدوا عملاً عظيمًا ومتنوعًا ما بين إقامة المظاهرات في دول أوروبا وأمريكا، عقد المؤتمرات والاجتماعات والمقابلات والاتصالات مع هذه الجهة أو تلك، نشروا المقالات وقاموا بتوثيق الأحداث، وأنشأوا خلايا الأزمات، وجمعوا التبرعات..... الخ.، الجميع كان يصرخ، ويبكي، ويطالب، ويقترح لإنقاذ ما يمكن إنقاذه من ضحايا الإبادة خاصة من أهالي سنجار. فجأة ومن بين نشاطات وفعاليات الإيزيدية، بين الدم والدموع وعلى مسرح الألم الإيزيدي وبدعم مباشر من منظمة يزدا، برزت الناجية (نادية مراد) بنت الشمس لتكسر المحظور وتحط الرحال في بلدان العالم وتلتقي بالعديد من رؤساء الدول لتصل أخيرًا إلى أروقة هيئة الأمم المتحدة ومجلس الأمم المتحدة لتكرم وتسمى كسفيرةً للنوايا الحسنة من أجل كرامة الناجين من الاتجار بالبشر لدى الامم المتحدة، وذلك بتاريخ 16/ أيلول/ 2016 ومن قبل الأمين العام للأمم المتحدة السابق السيد بان كي مون.

عودًا على بدء، حاول البرابرة الدواعش تحطيم المجتمع الإيزيدي بشكل منهجي مدروس من خلال سبي واغتصاب النساء وممارسة الاستعباد

الجنسي بحقهن إضافة إلى إجبارهن على التخلي عن عقيدتهن واعتناق (الإسلام) كما تفهمه هذه الجماعة المتطرفة. استكمالا لتحطيم المجتمع سيطروا على أطفال الإيزيديين من عمر خمس سنوات فما فوق وتم لهم عمليات غسل الدماغ من خلال زرع ثقافة التطرف في عقولهم، فضلا عن تدريبهم على طرق القتال واستخدامهم كانتحاريين. ومن أجل إهانة الإيزيديين أكثر قامت عصابات داعش بتدمير مزارات ومعابد الإيزيدية حيث وصلت إليها أيديهم.

- ماذا ينتظر الإيزيديين بعد إبادة سنجار؟ وماذا سيكون موقفهم من السبايا الناجيات؟

تمت الإشارة في متن المقال إلى أن ما قام به الإيزيديون وأصدقائهم من نشاطات وفعاليات على المستوى الداخلي والخارجي لرأب الصدع عن الآثار الكارثية لإبادة سنجار، تعد جهودًا راقية ومحل تقدير واحترام، وإن تخلل البعض منها هفوات. كما تم تقييم فتوى المرجع الديني سماحة البابا شيخ بشأن الناجين والناجيات الإيزيديات من براثن (داعش) الإرهابي بالبيان التاريخي.

- ولا ينكر أن هناك أكثر من 360 ألف نازح ومشرد إيزيدي وفي حالة يرثى لها.
- وآلاف القتلى من الرجال والنساء والأطفال.
- وأعداد هائلة من الأيتام والفقراء.
- وآلاف الأطفال والأحداث اختطفهم (داعش) وقام بغسل أدمغتهم.
- تدمير الحرث والنسل في سنجار المنكوبة؛
- العشرات من الإبادات، وحوالي 360 فتوى موثقة من مشايخ الدجل في عهد الإمبراطورية العثمانية بحق إبادة الإيزيديين؛

كل ذلك يوضع في كفة، وسبي النساء والفتيات وبيعهن في سوق النخاسة وممارسة الاستعباد الجنسي بحقهن توضع في كفة أخرى! فالأخيرة هي الحالة الأقسى والأكثر وحشية وامتهانا لكرامة الإنسان والإنسانية بشكل عام في القرن الحادي والعشرين، والإنسان الإيزيدي بشكل خاص، حيث

إنها ضربة في صميم بنية المجتمع وتحطيم لعموده الفقري المتمثل في إيزيدية جبل سنجار!

فمن الممكن تجاوز الكثير من الأهوال والمأساة والمصائب كالنزوح والتشريد والفقر وفقدان الوالدين وتدمير البيوت... الخ.، إلاّ أن الذي لا يمكن استيعابه وتصوره والتئام جروحه ونسيان آثاره، هي قضية السبايا الإيزيديات وما تعرضن لها من سبي واغتصاب وبيع في سوق النخاسة وعنف جنسي من قبل قوى الظلام والتخلف الديني.

لقد استقبلت ألمانيا (ولايةBaden Wuerttemberg وعاصمتها Stuttgart 1350 ناجية)، إضافة إلى ولاية-Nord-Rein-Westfall en عاصمتها Duesseldorf وSchlesswieg-Holstein عاصمتها Kiel. وهناك أكثر من 1600 ناجية وناجي يعيشون في المخيمات في ظروف نفسية قاسية، ومن المفترض أن تقوم ولاية -Sachsen-An halt عاصمتها Magdeburg باستقبال 500 ناجية، وأعدت الولايات الألمانية برنامجًا طويل الأمد لمعالجة الناجيات الإيزيديات من العنف الجنسي والاغتصاب والسبي من قبل عناصر داعش. وربما تقوم دول أخرى باستقبال الناجيات من (داعش) بغرض معالجتهن وبالتالي قبولهن كلاجئات في بلدانهم.

إن ما ذكر، باعتقادي، هو تخدير موضعي ومعالجات وقتية، لأن الاغتصاب والسبي والاستعباد الجنسي جرح لا يندمل بسرعة، بل هي مصيبة المصائب، وهي بنية مشكلة اجتماعية كبيرة لا يقبل الاستهانة بها وإهمالها أبدًا، بل لابدّ من اتخاذ موقف تأريخي جريء وإيجاد حل عاجل وواقعي لها. وبدون إيجاد ذلك الحل أرى بأن الصرخات والبكاء والنداءات والبيانات، والمطالب، والزيارات، والمقترحات والمؤتمرات التي قام بها الإيزيديون، مع فتوى سماحة البابا شيخ نفسه... الخ تتحول جميعها إلى ظاهرة صوتية وبالونات هوائية تتناثر في الفضاء وتذهب إلى ذاكرة النسيان إذا لم يرافقه وضع مشروع حضاري فعلي من قبل المجتمع الإيزيدي متمثلاً بقيادته الدينية والدنيوية ووجهائه ورجال دينه ومثقفيه لمعالجة وحل قضية أكثر من 3000 ناجية إيزيدية من قبضة (داعش). هذا المشروع المقترح يتمثل في: (مشروع زواج الناجيات) ولا

بأس أن يطلق عليها (مشروع الزواج المقدس) كي نثبت للعالم أن الديانة الإيزيدية ديانة حيّة ليس بإمكان حاملي فايروسات التخلف والجهل والظلامية من أتباع (الدواعش) القضاء على الإيزيدية. ولتصبح تحقيق هذا المشروع مهمة دينية. ومن أجل تحقيق هذا المشروع أقترح ما يلي:

1. تشكيل لجنة أو هيئة رفيعة المستوى تتألف من (25-31) شخصًا ومن كلا الجنسين، يكون عضو واحد على الأقل من بيت الإمارة والبقية من الشيوخ والأبيار والمريدين والوجهاء والمثقفين ومن إيزيدية العراق، تركيا، سوريا، أرمينيا، جورجيا، روسيا، والمهجر.

2. تكون مهمة هذه الهيئة توعية الشباب وغير الشباب من إيزيدية جميع البلدان بالزواج من الناجيات المتواجدات في المهجر أو في العراق، كون ذلك مهمة دينية وعمل إنساني للحفاظ على التوازن الاجتماعي الذي أحدثته إبادة سنجار.

3. فتح رقم حساب (صندوق) تحت إشراف اللجنة/ أو الهيئة المشار إليها أعلاه في ألمانيا أو أية دولة توافق عليها اللجنة.

4. تدفع كل عائلة إيزيدية (3) يورو وما يعادله شهرًا يساوي (35) خمسة وثلاثون يورو سنويًا أو ما يعادله، إضافة إلى تبرعات الإيزيديين وأصدقائهم والمنظمات الخيرية.

5. يكون رقم هذا الحساب باسم ثلاثة أشخاص من اللجنة ولا يجوز سحب أي مبلغ إلا بتوقيع إثنين.

6. تصرف جميع تكاليف الزواج من الصندوق، إضافة إلى منحة مالية يتفق عليها للعروسين كتشجيع لعملية الزواج.

7. تشجيع الزواج بأكثر من واحدة في الوقت الحاضر، ليس من باب إهانة المرأة أو التقليل من قيمتها، وإنما لحل قضية اجتماعية خطيرة تواجه المجتمع الإيزيدي في محاولة للتقليل من آثارها والخروج منها بأقل قدر ممكن من الخسائر.

8. كما يخصص مبلغ من المال شهريًا أو سنويًا لكل مولود وذلك تشجيعًا لعملية الانجاب ولسد نقص الأطفال الذين ماتوا أو أخذهم داعش وهم بالآلاف.

9. يخصص قسم من مبلغ الصندوق لأيتام إبادة سنجار.

وتتعاظم أهمية ما سبق عند العلم أن هناك (9) تسع ناجيات فقط قد تزوجن من مجموع 3000 ناجية. ستكون مهمة الهيئة المقترحة، مهمة طويلة الأمد لن تنتهي حتى بعد زواج جميع الناجيات. إنها مهمة إنسانية، وواجب ديني، ونبل وشرف، وسابقة فريدة يضيفه الإيزيديون إلى صفحات التاريخ، وقيمة أخلاقية سوف تضيفها الديانة الإيزيدية إلى قائمة قيم وأخلاقيات الأديان، وتعطيهم درسًا في المحبة والصدق والتعايش المشترك وحب الحياة. وإن موقف الإيزيديين من ناجياتهم سبايا داعش، سيكون معيار مصداقيتهم ويرسم صورة مستقبلهم القادم!! أمام هذا المشروع الإنساني، وأنا الإنسان الذي بلغ من العمر عتيًا، كنت أتمنى أن أكون أبأ وجدًا لأولاد ذكور بقدر عدد الناجيات الإيزيديات لأزوجهن جميعًا في كرنفال جماعي مهيب، رافعًا شعار: (شنكال لن تموت، الإيزيدية تتعدى الظلام!) حتى أنال براءة وشرف "مشروع الزواج المقدس".

حول الهوية الإيزيدية [٩]

طلب مني الأخ بركات العيسى (موقع إيزيدي جورنال) معرفة رأيي حول الجدل الذي يدور حاليًا بصدد (الهوية الإيزيدية)، وماهي مطاليب بعض الإيزيديين بخصوص تثبيت القومية الإيزيدية، هل تعتبر بحث عن هوية جديدة أم أن قوميتهم في الأصل إيزيدية؟ السؤال الآخر: لماذا هذا الحراك وفي هذا الوقت بالذات، ويصب في مصلحة من؟ وهل للمجلس الروحاني دخل بهذا الخصوص؟ إذا كان نعم، فلماذا كل هذا السكوت؟

أسئلة، أراها مهمة وحساسة، أسئلة بنت الزمن الكارثي الذي يمر به الإيزيديون! وأن بيان الرأي بشأنهم لا يخلو من إثارة. أشدِّد على (بيان الرأي) الذي يعبِّر عن رؤيتي الشخصية بناءً على قراءتي لمفردات الواقع الذي تمر بها البلدان العربية الإسلامية من المحيط إلى الخليج بشكل عام بعد ما أطلق عليه جزافًا (ثورات الربيع العربي)، والعراق بشكل خاص بعد سقوط النظام الشمولي في نيسان 2003 وظهور عصابات (داعش) الإرهابية الظلامية. والرأي يحتمل الصواب والخطأ، أو يجمع الاحتمالين وإن بدرجات متفاوتة، كما أن الرأي قابل للنقاش والحوار العلمي والمنطقي.

- السرديات الإيزيدية حول الهوية:

حالياً هنالك ست سرديات بين الإيزيدية حول هويتهم، وهي:

أولاً/ السردية الكردية: برز بشكل واضح وقوي بعد انتفاضة عام 1991 وتأسيس حكومة إقليم كردستان العراق، وظهور مصطلح "الكرد الإيزيديين".

(٩) بغداد في ١٢/ ١٢/ ٢٠١٦.

ثانياً/ السردية العربية: ظهرت بعد استلام حزب البعث الحكم في العراق 1963 و1968 ودام الى حين سقوط ذلك النظام عام 2003، علماً بعض من أفراد عائلة الإمارة يعلون علناً انتمائهم للعروبة.

ثالثاً/ سردية الخصوصية الدينية.

رابعاً/السردية الزرادشتية: ظهر من بعض الوطنيين الكرد، إلاّ أن وتيرته زاد مع ظهور حزب العمال الكردستاني بين إيزيدية تركيا.

خامساً/ السردية القومية: ظهرت بعد إبادة عام 2014. وهي امتداد للسردية العربية رقم (ثانياً)

سادساً/السردية الاثنودينية: (أعلنتها منظمة "يزدا" الدولية لأول مرة في بيانها الصادر في 5 كانون الأول 2016).

- تعريف الهوية:

ومن أجل أن نؤسس رؤيتنا على درجة من العلمية ينبغي علينا معرفة (تعريف الهوية) أولاً، ومن ثم إبداء الرأي حول الجدل والمناقشات الدائرة مؤخرا بين أوساط الإيزيدية.

للهوية تعاريف متعددة منها اللغوي كونها مصطلح مشتق من الضمير (هو) بمعنى صفات الإنسان وحقيقته. والتعريف الفلسفي الذي يهمنا وتعني حقيقة الشيء من حيث تميزه عن غيره من الأشياء، أو أحيانًا تسمى وحدة الذات (هو هو) الفلسفي الذي يشير إلى ثبات جوهر الشيء بالرغم مما يطرأ من تغييرات على أعراضه. فالهوية بهذا المعنى تميز وتفرد اجتماعي، قومي، ثقافي، إضافة إلى خلق وعي بالذات من خلال الهوية التي يحملها الفرد.

والهوية جزء لا يتجزأ من نشأة الأفراد منذ ولادتهم حتى مماتهم. وهي بالتالي تراكم مجموعة من السمات الخاصة التي تميز شيئًا عن غيره أو شخصًا عن غيره أو مجموعة عن غيرها، كل منها تحمل عدة عناصر تنمي خصوصية الشعور الذاتي بحيث تعكس في المحصلة النهائية ثقافة الفرد ولغته، وعقيدته وحضارته وتاريخه. الخ يتمكن الفرد من خلالها بناء جسور التواصل بينه وبين أفراد المجتمع الواحد أو مع المجتمعات المختلفة.

الهوية الدينية مفهوم أشمل وقديم قدم ظهور المعتقدات الدينية ولها علاقة بالجانب الروحي لدى الفرد، مقارنة مع مفهوم الهوية القومية الحديثة العهد التي تعود حسب رأي الكثير من المؤرخين إلى عهد الثورات الأوربية، وانتهى دورها (الدولة القومية، الشعارات القومية) مع ظهور عصر العولمة والانفوميديا. والقومية هي بالأساس حركة سياسية وفكرية متعصبة تصل أحيانًا درجة الشوفينية والفاشية. وهذا لا يعني أن بعض الأديان لا تحمل شحنات التعصب والإرهاب وإلغاء الآخر المخالف.

بناءً على التعاريف أعلاه، فإن الهوية الإيزيدية هي التي تشتمل على الإيمان بعقيدة الإيزيدية، والاعتزاز بالانتماء إليها واحترام قيمها الثقافية، وإبراز شعائرها وطقوسها، مع الشعور بالتميز والاستقلالية الفردية والجماعية. الدين بالنسبة للهوية بمثابة الروح للجسد، ولا هوية بدون دين.

لا خلاف أن أتباع الديانة الإيزيدية يتحدثون باللغة الكردية (ما عدا أهالي بعشيقة وبحزاني)، ونصوصهم الدينية وطقوسهم تتلى باللغة الكردية، ولهم جغرافية مشتركة وإلى حد ما تاريخ مشترك مع الكرد المسلمين، إلا أن السؤال: هل أن الثقافة الدينية التي يحملها الإيزيدي هي نفس الثقافة التي يحملها الكردي المسلم ناهيك عن الشعور بالانتماء؟

الجواب هو بالنفي طبعًا، الكرد ما داموا قد اتخذوا من الإسلام دينًا لهم وآمنوا به، فإن هويتهم شاءوا أم أبوا، تحولت إلى هوية إسلامية وتأثرت بالثقافة العربية ما دام الإسلام هو جوهر القومية العربية التي نبعت في بدايتها من أعماق الجزيرة العربية، ولهذا نلاحظ طغيان الهوية الإسلامية على غالبية الكرد المسلمين على حساب قوميتهم الكردية. والمجتمع الكردي أو الكردستاني لا توجد فيه عقيدة واحدة تجمعه. الكردي المسلم يفضل أخيه المسلم العربي والتركي والفارسي والشيشاني وغيره على الإيزيدي والمسيحي والكاكائي والصابئي-المندائي الذي يشاركه اللغة والجغرافيا والتاريخ!

بالتالي إن الانتماء للدين أو للقومية هي مسألة شخصية وليست جماعية، حيث ان اختزال الفرد ضمن الجماعة هو ذوبان للشخصية الفردية

ضمن القطيع البشري، وقمع للحرية الفردية، وشلّ للتفكير وتحجيم لدور العقل! لذا فأن الدعوة إلى الاستفتاء على الهوية الإيزيدية القومية من أية جهة جاءت، ومن أية شخصية مهما علت شأنها صدرت، ومن أية مرجعية أفتيت، هي بالنتيجة استهانة بمشاعر الإيزيديين، وشق لصفوفهم، وخلق للصراعات بينهم، وتغطية للجرائم والإبادة التي تعرضوا لها في 3/ آب/ 2014.

أعتقد في زمن الثورة المعلوماتية والعولمة العابرة للقارات والأوطان تغيرت الكثير من المفاهيم التقليدية التي اعتاد الناس عليها واعتبروها كمسلمات مقدسة مثل الوطن والسيادة الوطنية، الشعارات القومية والدولة القومية، فلم يبق لتلك المفاهيم ذاك الرواج والحماس، بل بدأت تخلي المكان لمتطلبات المجتمع والناس اليومية من توفير الأمن والاستقرار، توفير العمل والخبز للجميع، المساواة بين الجميع بغض النظر عن اللون والجنس والقومية والدين والمذهب، فرض سلطان القانون واحترام حقوق الإنسان في المساوات والمواطنة الحقة، حرية التعبير والفكر والعقيدة إلى غير ذلك من القيم الحضارية الجديدة. هذه هي مطاليب الإيزيديين، وغيرهم من المكونات الدينية والإثنية في بلدان الشرق الأوسط الإسلامية في آسيا وشمال أفريقيا، خاصة بعد إبادة الإيزيديين في سنجار وبعشيقة وبحزاني. الإيزيديون بعد تحطيم العمود الفقري لمجتمعهم في سنجار لن يثقوا بأية شعارات قومية طنانة رنانة جوفاء من أية جهة رفعت، فلم يبق لديهم ما يخافون عليه بعد أن انتهكت أعراضهم وسبيت نسائهم وقتل شبابهم وشيوخهم، ودمر موطنهم بيد وحوش العصر ومن والاهم ومهد لهم الطريق.

أنظر بقدر كبير من التشاؤم إلى مستقبل المكونات الدينية والإثنية، وخاصة الإيزيديين، في بلدان الشرق الأوسط الإسلامية نتيجة تصاعد موجات التعصب الديني وظهور منظمات وجبهات إسلامية مثل القاعدة، داعش، أحرار الشام، جبهة النصرة، الجيش النقشبندي، أنصار الإسلام، تلك المنظمات التي تموَّل من قبل دول إقليمية وأطراف محلية. حتى إذا افترضنا تم القضاء على القوة العسكرية لعصابات داعش الإرهابية وتم تحرير محافظة نينوى العراقية والرقة السورية كإحدى القلاع الرئيسية لها، فان أفكار هذه العصابات الظلامية التدميرية التي

زرعوها بين قطاع واسع من المجتمع، ستبقى آثارها لأجيال عديدة وتحتاج إلى جهود وطنية ودولية جبارة لالتئام الجروح العميقة لضحايا هذه العصابات، وإعمار ما خربته حروب داعش، وإعادة ما يمكن من الثقة المفقودة بين شرائح المجتمع، وبالتالي الحاجة إلى جهود كبيرة لبناء السلم الاجتماعي. ولا يمكن تحقيق ذلك إلاّ في ظل نظام علماني مدني ديمقراطي يتم فيه فصل الدين عن السياسة وعن الدولة. هذا يحتاج، باعتقادي، إلى عقود. وخلال هذه العقود فان المكونات الدينية والإثنية كالمسيحيين والصابئة والشبك والكاكائيين بشكل عام والإيزيديين بشكل خاص، بحاجة إلى ضمانات دولية بعدم تكرار الإبادات ضدهم، وبحاجة إلى إيجاد صيغة قانونية دولية تحت اشراف الأمم المتحدة لحماية الأقليات الدينية والإثنية. الصيغة المثلى لذلك، رغم صعوبتها من الناحية العملية، أن تنشأ إدارة حكم محلي، أو ما يشبه الحكم الذاتي لهذه المكونات في أماكن تواجدهم في سهل نينوى ومنطقة سنجار من خلال استحداث محافظتين أو تحت أي عنوان أخر، تقوم قوات حفظ السلام الدولية بحمايتهم خلال فترة خمس سنوات إلى حين تشكيل قوات أمنية من شرطة وغيرها خاصة بتلك المكونات لحماية وإدارة مناطقها، يهيًا بعد خمس سنوات إلى إجراء استفتاء مع من تكون هذه الإدارات المحلية/ أو المحافظات المستحدثة، مع المركز أم مع الإقليم.

ولا ننسى هنا من سيناريو تشكيل إقليم سني من المناطق ذات الاكثرية السنية، ماذا يكون حينها مصير هذه المكونات، وسيذهب بنا إلى المزيد من التعقيد باعتقادي؟!

كما يطالب الإيزيديون باعتبار ما حدث لهم في الثالث من آب 2014 جينوسايد والدعوة إلى تقديم الجناة إلى محكمة الجنايات الدولية. أما عن بقية المطاليب الإيزيدية فهي معروفة ومتفق عليها تقريبًا من قبل غالبية الفعاليات الإيزيدية وطرحت في أكثر من محفل دولي، ولا أرى ضرورة لتكرارها هنا.

أما بخصوص السؤال عن مطالب بعض الإيزيديين بخصوص تثبيت القومية الإيزيدية/ هل تعتبر بحث عن هوية جديدة أم أن قوميتهم في الأصل هي الإيزيدية؟

كما أشرت إليه في أعلاه أن الهوية هي تراكم هائل من القيم والعادات والمشاعر والعقائد الروحية عبر آلاف السنين تنشأ مع الإنسان الفرد منذ ولادته إلى حين مماته. لذا فإن دعوة البعض في تثبيت القومية الإيزيدية أو البحث عن هوية جديدة، تعكس بنظري سطحية وسذاجة حاملي هذا التفكير، بل أقولها تثير لدي نوع من الاشمئزاز، لأن الإيزيدية ليست بحاجة إلى البحث عن هوية قومية لها، إنها على طول تاريخها التي تعرضت فيها إلى إبادات كالتي رأيناها في آب/ 2014، لم تتعرض لها بسبب هويتها القومية، بل بسبب هويتها الدينية العقائدية، بدليل أن بعض (أبطال وقادة) وجيوش حملات إبادة الإيزيديين في القرن التاسع عشر وقبلها كانوا أمراء كورد، والذين أصدوا الفتاوى كانوا من مشايخ الكورد! فضلا في أحيان أخرى كان هؤلاء أدوات تنفيذية بيد أخوتهم في الدين من الترك والعرب والفرس لإبادة أتباع الديانات الاخرى من إيزيديين ومسيحيين و(أرمن...).

يجب أن نشير أيضًا إلى أن التاريخ لم يدلنا، لا من قريب ولا من بعيد، على وجود قومية باسم "الإيزيدية". الإيزيدية هي ديانة مغلقة لمجموعة من القبائل والعشائر التي تتحدث باللغة الكرمانجية الشمالية (ما عدا أهالي قصبتي بعشيقة وبحزاني اللتان يتحدثان لهجة قريبة من لهجة أهل الشام)، ولم يتم لحد الآن البحث عن أصول انتماء هذه العشائر بشكل علمي دقيق.

ولكن هنالك حقيقة، نستطيع ان نطلق عليها، حقيقة تاريخية اجتماعية وشعورية في إن الأقليات الدينية والإثنية وبسبب انغلاقها وضعفها ومحاربتها من قبل الأديان والقوميات السائدة، تتداخل فيها الاتجاهين الديني والقومي بحيث يغلب الاتجاه الديني على القومي كما هو الحال لدى اليهود. تغليب الجانب القومي للأقلية الدينية هو الذوبان في مشروع القومية السائدة، بينما تغليب الجانب الديني العقائدي هو صراع من أجل بقائه!

ينبغي ألا نستغرب مما يجري من حراك بشأن الهوية الإيزيدية، بغض النظر عن أهداف كل طرف يقف وراء تحريكها وإثارتها، فإن هذا الحراك هو وليد الهزّة الاجتماعية السياسية الفكرية الذي أصاب المجتمع

الإيزيدي جراء حملة الإبادة الذي تعرض له مؤخرًا، ووليد فشل سياسة الطرف أو الأطراف الكردية التي نصبت نفسها حامية الإيزيديين وتركتهم في وضح النهار فريسة بين أنياب الوحوش الداعشية! وليد فشل التفكير القاصر لشريحة من الإيزيديين المنتفعين الذين كانوا يطبلون ويزمرون وينادون بعروبة الإيزيديين تنفيذًا لمشروع أسيادهم البعثيين وقتذاك لكنهم فشلوا، وهم أنفسهم الذين غيروا بسرعة البرق موقعهم (النضالي) ورفعوا شعار البائس والمهين (الكرد الإيزيديين)، بحيث وصلت الحالة الإيزيدية إلى ما وصلت إليه وكان نصيبها الإبادة وتقديم أنهار من دماء أبنائها وبناتها وأطفالها وشيوخها، إضافة إلى تحطيم أسس مجتمعها!! ربّ قائل يقول: أن مجيء داعش كان مباغتًا وأكبر من طاقة "حماة" سنجار من قوى البيشمركة والأمن والشرطة المقدرة أعدادها أكثر من خمسة آلاف مسلح حسب تصريحات الكثير من المسؤولين والمتابعين آنذاك. السؤال لماذا لم تقاتل هذه القوات ليوم واحد فقط وانسحبت انسحابًا "تكتيكيًا"!، بينما تمكنت ناحية صغيرة مثل (آمرلي) بعددها وعدتها البسيطة من الأسلحة في مقاومة عصابات داعش لأكثر من ثلاثة أشهر ولم يستسلموا لها!!

السؤال الأكبر والأخير: هل بإمكان دعاة الاستفتاء والبحث عن هوية قومية أن يعيدوا الثقة للمجتمع الإيزيدي، وهل يعطوا ضمانات بعدم تكرار ذلك في المستقبل؟ ومن المسؤول عن دماء آلاف الأبرياء؟!

أخيرًا وبشأن السؤال الثالث، استبعد أن يكون للمجلس الروحاني أي دخل بالقضية المثارة.

الظروف تتحكم في الهوية. كمثل أحد أنصار حزب يقود حركة مسلحة في كردستان العراق ضد نظام صدام حسين، دفع مرضه نهاية عام 1981 وبداية عام 1982 قيادة حزبه أن يرسلوه للعلاج من كردستان إلى إحدى الدول الأوروبية عبر تركيا وسوريا، فاضطروا أن يزوده بجواز سفر يمني تحت اسم (علي جبار عبده) مواليد 1951. بمعنى حمل اسمًا غير اسمه، وعيد ميلاد غير عيد ميلاده، وهوية بلد لم يُولد فيها. بقي وتحرك في ظل تلك الهوية الجديدة المفروضة عليه إلى حين سقوط النظام في العراق عام 2003، وكان يشارك في المؤتمرات والفعاليات الدولية تحت

ذلك الاسم، وينشر المقالات تحت اسم ليس اسمه!

* إذن الهوية هي الدفاع عن الذات، وهي بنت الولادة، لكنها في النهاية إبداع صاحبها، لا وراثة ماض. (من قصيدة "طباق إلى ادوارد سعيد" لمحمود درويش).

* كرامة الانسان جزء هام، بل جزء أساسي، من هوية الإنسان الدنيوية، لا يجوز انتهاكها من أي طرف كان، بما فيه إغراءات الدين الوهمية (فرض عقيدة دينية بالقوة، أو تبعية عمياء لإله غامض وعادات غريبة!)

*وعليه، إذا تم إلصاق القومية بالدين، فإن تلك الهوية ستتجه نحو التعصب والتكفير لا محالة.

المجلس الروحاني الأعلى للإيزيدية [١٠]

لا يعتبر "المجلس الروحاني الإيزيدي الأعلى" الذي نلاحظه اليوم، من صُلب الديانة الإيزيدية، وإنما هو حديث العهد يعود تاريخ تشكيله حسب وثائق رسميه إلى 1/ تموز/ 1928، بمعنى أن عمره يقل عن (78) عامًا! وكان وراء تشكيل هذا المجلس أسبابه الداخلية والخارجية؛ من ناحية الأسباب الخارجية كان هدف الحكومة الملكية العراقية الحديثة العهد (خمس سنوات) من وراء تشكيل المجلس حسب الوثائق الصادرة هو التالي:

أ- وجود صراع دائر آنذاك على الإمارة بين جناحين من بيت الإمارة كانا يسميان حينها جناح "البلشفيك" يمثله (حسين بك)، وجناح "المنشفيك" يمثله (سعيد بك). وتشير تلك الوثائق أيضًا إلى الصراع الدائر أيضًا بين رؤساء عشائر منطقة شنكال/ سنجار وبيت الإمارة، إضافة إلى وثائق تبدي فيها الحكومة تخوفها من إيزيدية شنكال وحول إمكانية استمالتهم إلى جانب الحكومة الفرنسية (المنتدبة لسوريا آنذاك) عن طريق قطع الوعود لهم وإنشاء كيان خاص بهم. ولهذا يدعو مجلس الوزراء العراقي في أحد وثائقه السّرية إلى الاهتمام بالإيزيديين وقطع الطريق على الدول الأجنبية.

ب- أن تظهر للملأ بسن القوانين وتشكيل مجلس النواب والبرلمان والسماح للأقليات الدينية بتشكيل مجالسها الروحانية للنظر في أمورها الدينية البحتة وبحدود معينة، مع ابقاء تلك الأقليات ضمن نظام وقوانين (دعاوى العشائر)؛ أي أنه كان من الجانب الحكومي خطوة لإحياء بعض الكيانات القديمة، وتأطير سياسي- إعلامي ومركزة الحكم.

(١٠) كوتنكن في ٦/ ٦/ ٢٠٠٦.

أما من جانب الأمير آنذاك (الأسباب الداخلية) فكان يهدف من ورائه:

أ- حسم الصراع المحتدم على السلطة الأميرية بين جناح حسين بك المدعوم بشكل أكبر من عامة الإيزيدية -استنادًا للوثائق الموجودة- وبين جناح سعيد بك المدعوم من أقلية إيزيدية ومن الحكومة أيضًا. (وقد لعبت الأميرة ميان خاتون جدة الأمير سعيد بك دورًا بارزًا لحسم ذلك الصراع لصالح حفيدها)

ب- كما أراد الأمير أن يشكل هيكلاً فضفاضًا يصبغ عليه صبغة دينية ودنيوية يقف هو على قمة هرمه ويطلق العنان لحكمه المطلق، وهذا ما نجح فيه. أما الأعضاء الآخرين في المجلس فلن يكونوا (وما زالوا) غير واجهات وأرقام وأسماء لا حول لهم ولا قوة!

ج- أن يستحوذ على جميع الخيرات الواردة من الإيزيديين إلى أماكنهم ورموزهم المقدسة لصالحه فقط، دون أن تستفيد منها الإيزيدية بأي شكل من الأشكال!

لن أكون مخطئًا لو قلت إن الكثيرين من الأعضاء الثلاثة عشرة الذين وقعوا على عريضة 1/ 7/ 1928 لتشكيل المجلس الروحاني، كانوا ذوي نيّات حسنة وينون من ورائها الحصول على شرعية ودعم حكومي وإيزيدي لتمشية وتنظيم بعض أمورهم التشريعية، وهذا ما نستشفه من مضمون العريضة التي تقول: "نطلب من الحكومة المحترمة أن تعيرنا قليل من الأهمية والعناية التي أعارتها إلى الكثير من الملل العراقية وذلك للطفها علينا بتشكيل مجلس روحاني... لينظر في القضايا الشرعية التي تحدث بين أفراد الملّة... ونحافظ على حقوق ديانتنا والشريعة التي سنوها لنا رؤسائنا وأجدادنا من قديم الزمان". إلاّ أن الأمير كانت له حساباته الخاصة كما نهنا إليه في الفقرتين (أ-ب-ت) أعلاه. ومن جملة الفوائد التي كان يريدها، حسبما ورد في كتاب سرّي (وثيقة) مؤرخة بتاريخ 3/ تموز/ 1928 مرسلة من وكيل قائممقام قضاء الشيخان إلى متصرف لواء الموصل، كثيرة لا حاجة لذكرهم لأن الوثيقة منشورة في مجلة روز Roj.

كما تمت الإشارة إليه، فأنه بعد انهيار الإمبراطورية العثمانية وتقاسم ممتلكات "الرجل المريض" بين الدول المنتصرة حسب معاهدة

سيفر1920، لم تبق أية إمارة من الإمارات الكردية (أنا لا أتحدث عن بعض الإمارات في شبه الجزيرة العربية التي أصبحت دول فيما بعد)، بل تشكلت دول ضمن حدود وأسماء جديدة. هذا من جهة، ومن جهة أخرى كما رأينا ومعروف للجميع، فان وظيفة الأمير هي وظيفة إدارية بحتة لتمشية أمور الإمارة وقيادة جيشها وصك النقود-ان وجدت- والتعامل مع الأصدقاء والأعداء في وقت السلم والحرب... الخ. لم تكن وظيفة الأمير وظيفة دينية، رغم أن الكثير من رؤساء الإمارات الإيزيدية السابقة كانوا ينتمون لعوائل الشيوخ والبيرة. كانت في كل إمارة كوردية مسلمة إلى جانب الأمير رجل دين بدرجة ملا أو مفتي يتم مشاورته في أمور الشريعة والفتاوى التي تخص عمل الإمارة. حتى أن نظام الإمارات الباقية في وقتنا الحاضر في شبه الجزيرة العربية، كما هو الحال في الكويت والإمارات العربية وغيرها، فأن الأمير لا يعتبر المرجع الديني. نظام الإمارة لدى الإيزيدية – رغم أسباب بقائه وشرعيته – يشبه إلى حد كبير النظام الثيوقراطي الديني في المملكة السعودية.

لو فرضنا جدلاً أن وظيفة الأمير هي دينية، يفترض به، بل يجب عليه أن يرتدي مثل ال (بيشيمام- بابا شيخ- بابا كافان- القوالين- الكواجك- الفقراء وبقية رجال الدين) الملابس الدينية من العمامة والجبّة وينزل معهم في المناسبات الدينية لأداء مراسيم ال (سه ما) الدينية! وكما قرأتم فإن الدولة العثمانية قد جردت الأمير (علي بك) عام 1899م من جميع صلاحياته الإدارية وسمحوا له أن يمارس فقط الأمور الدينية! ذكرنا في مكان آخر أن الإمارة الإيزيدية قد دفنت عام 1832 بعد حملة إبادة أمير رواندوز على الإيزيدية نتيجة لخطيئة أميرهم! وجاء الموقف العثماني الأخير بتجريد الأمير الإيزيدي من صلاحياته الإدارية (1899م) بمثابة قراء الفاتحة على روح أحد توابعها (إمارة الشيخان) قبل أن يقرأ دول الحلفاء الفاتحة على روح "الرجل المريض" وتوزيع ميراثها بعد الحرب العالمية الأولى!!

وكما بيّنت فإن ما يُسمى "المجلس الروحاني الإيزيدي الأعلى" مجلس حديث التشكيل، لا يتجاوز عمره الثامنة والسبعين عامًا. يعتبر مجلسًا اجتماعيًا أكثر من كونه دينيًا صرفًا.

المجلس الديني الحقيقي يتجلى من خلال مراسيم ال (سه ما) الفردية وليس الزوجية، وعددهم سبعة- ربما بقدر الكواكب والأيام والملائكة السبعة- ويأتي تسلسلهم بالشكل التالي: (سادن مزار لالش الذي يلبس التاج والحل/ الجبّة والذي يمثل الشيخ آدي في المقدمة- بيشيمام مركه- مير حج- شيخ الوزير- أحد شيوخ الشيخ إسماعيل أو عبدالقادر- بير ايسيبيان- أحد الكواجك)، ولا نجد فيه شيخًا يمثل شيوخ (محمد الباطني) الذي ينتمي إليه بيت الأمراء الحاليين، بل يمثلهم شيوخ من القاتانية (الشيخ إسماعيل العنزلي والشيخ عبدالقادر) وتسلسلهم هو الرابع، ولا نجد حتى ال (بابا شيخ) في هذا الطقس الديني الفردي. ومن باب (المجاملة) فأن من يمثل الأمير اليوم هو (المير حج)، علمًا كان هذا الأخير ينتمي هو الآخر لعائلة الشيخ حسن وفي أوقات لاحقة سادن (عين كانيا سبي= العين البيضاء).

إذن حسب الأصول الدينية الصحيحة لا يعتبر الأمير رئيسًا للمجلس الروحاني، ولا يعتبر البابا شيخ هو الآخر رئيسًا للمجلس الروحاني كما يفهم خطًا، ومن يمثل العائلة الشمسانية هو شيخ الوزير في مراسيم ال "سه ما". أما رقصة ال "سه ما" الزوجية التي يقوم بأدائها أربعة عشرة شخصًا، تدخل أيضًا في باب المجاملة وترضية كل الأطراف غير المشاركة في المراسيم الفردية! وإذا كان الأمير لا ينتمي بالأصل إلى "المجلس الروحاني" فكيف يكون رئيسهم؟!

حينما كانت هنالك عدد من الإمارات الإيزيدية موجودة على أرض الواقع، فكانت كل واحدة منها تحكم باسمها وليست لديها سلطة على الإمارات الإيزيدية الأخرى، وعندما بقيت إمارة أخرى ضمن الدولة العثمانية، كان يقال لها (إمارة الشيخان) وأمير يسمى بـ (أمير الشيخان) ولم يعتبر أميرًا لشنكال ومنطقة الدنانية غرب دهوك وجنوب زاخو، وكذلك الجزيرة وحلب وإيزيدية تركيا... الخ. مع الأسف هنالك من يحسب نفسه على جبهة المثقفين والكتبة، يبدو أنه لم يقرأ التاريخ، وان قرأ بعض الصفحات، فانه لم يفهمه بشكل جيد، يلجأ إلى اسلوب التملق واستخدام عناوين في غير محلها، كأن يقول: أمير الإيزيدية في العراق والعالم! فان لم تكن منطقة الدنانية (زمن نمرآغا) وشنكال تحت نفوذ

إمارته، كيف يكون أميرًا لإيزيدية العراق؟!... ابحثوا أولاً عن خدماته (هم) الجليلة وما قدمه لإيزيدية العراق، وبعد ذلك حملوه ما تشتهون يا مثقفينا من ألقاب مثل (أميرإيزيدية العالم)!! العبرة والوجاهة وكسب الاحترام في الأفعال وليس في الألقاب يا سادتي الكرام.

ذكر الكثير من الكُتَّاب الذين توقفوا عند تاريخ الإيزيدية، أن الأمير محمد الكردي الأربيلي- الذي يعتقد في كونه من أجداد بيت الإمارة الحالية- عندما خسر إمارتي أربيل وسوران وقدم إلى الشيخان، لم تكن لديه أو لإمارته القديمة (أربيل وسوران) علم وراية خاصة (طاؤوس أو سنجق)، وقام بالسيطرة على إمارة الشيخان بعد أن قتل حوالي 80 شخصًا من العائلة الآدانية. إن صحت نظرية كون المومأ إليه من أجداد بيت الإمارة الحالية، ولم تكن لإمارته القديمة، كيف يحق له ولورثته السيطرة على رايات (سناجق) الإمارات الإيزيدية المندثرة ويستخدمونها في استغلال الإيزيدية لمنافعهم الذاتية؟

بعد كل هذه التوضيحات نتساءل: إذا كانت الإمارة والمجلس الروحاني لا يملكان تلك الشرعية، فكيف يكون القرار الصادر منهما شرعيًا؟! هذا يقودنا المطالبة ِ بعملية الإصلاحات أولاً ابتداءً من القمة إلى بقية مفاصل المجتمع الإيزيدي المنهمك، وبعدها يطلب من نفر هنا وهنالك أن ينادي بالحديث عن المرجعات (رغم أن كلمة المرجعية أصبحت غير محبذة)!

قلت في مقال آخر، وفي مقابلة معي من قبل إحدى المجلات التي تهتم بالشأن الإيزيدي: "أن مفهوم الأمير هو بنت عقبة من الزمن تخطاه التاريخ، وأن هذا الاسم/ الوظيفة يرتبط بوجود إمارة، أي كيان له شبه استقلالية على الأرض، وله قوة عسكرية تدافع عنه، وحتى علم ونقود وصكوك خاصة به. وكم من أسماء إمارات لامعة في تاريخ الشعب الكردي تلاشت واندثرت ولم تبق لها غير الاسم في بطون الكتب وبعض بقايا القلاع والقصور على الأرض! وهذا كان مصير الإمارات الإيزيدية نفسها التي اندثرت هي الأخرى مع شقيقاتها. أين إمارة حلب، شنكال، زوزان، العمادية، حرير، الشيخان، أربيل وروانـدوز، كلس وعزاز، الهكارية، المحمودي، الدنبلي؟!"

وأضفت: "وإنْ يصرّ كل من لم يدرك التاريخ ولن يستوعب التغييرات، على بقاء منصب الأمير بدون وجود كيان الإمارة نفسها، عليهم أن يقبلوا باحياء منصب أمراء من نسل الأمراء الذين انقرضت إماراتهم، ويكون لنا من سلالة الأمير شيخ مند، الشيخ شرف الدين، الشيخ سجادين، الشيخ آمادين، الشيخ ناصردين، الأمير حسن ممان، والأمير بير محمد رشان، ومحمد الكردي القاتاني (أمير أربيل وروواندوز) الذي ينتسب اليه، حسب بعض المصادر، عائلة أمراء الإيزيديين الحاليين؟! ليكون من هؤلاء جميعًا (مجلسًا إداريًا لشؤون الإيزيدية)".

موقفي واضح وصريح كون منصب الأمير يرتبط بالإمارة/ الأرض، وما دامت الثانية (الإمارة) في خبر كان، فلا معنى لوجود الأول (الأمير). وفي الجانب الآخر فإني على يقين أنه من شبه المستحيل استرجاع وإحياء الإمارات الإيزيدية السابقة، لذا استخدمت حرف الشرط والتوكيد (إنْ) الذي يجزم الفعل ويؤكد على الجملة الاسمية. وهذا يعني إذا لم يقوم بأحياء الإمارات السابقة (وهو أمر مستحيل)، فلا داعي لوجود هيكل الإمارة المفتعل الحالي!

بالنتيجة لست من دُعاة العودة إلى النظام القديم الذي كان معمولاً به منذ مئات السنين، كما يريد أحد الأخوة أن يفهمه ويقرأه بمنظاره الخاص، ويدّعي أن فكرتي (دون أن يذكرني بالاسم طبعًا) لم تنل التأييد من أي طرف أو جهة أو مجموعة. ويعزي عدم التأييد هذا إلى أن هذا "النظام موغل في القدم عفا عليه الزمن. ولا يمكن إحياؤه (....) إننا لا نتحمل أميرًا واحدًا، فكيف بالسبعة!". طبعًا هذا الأخ هو من أحد أعضاء "الهيئة الاستشارية" الجديدة والداعين لها والمدافعين عنها بقوة "يتحمل أميرًا عصريًا وديمقراطيًا واحدًا غير موغل في القدم!".

يبدو أن الإيزيديين، بمن فيهم غالبية المحسوبين على جبهة المثقفين ولأسباب مختلفة، يشبهون السنّة في موالاتهم ووقوفهم إلى جانب الشرعية المتمثلة بالأمراء "الحاكمين" عليهم ولا يستطيعون العيش دونه. ويبدو أيضًا- وهذا ما كنا ربما نغفله- أن طبخة "الهيئة الاستشارية للمجلس الروحاني الأعلى، كانت منذ فترة طويلة تطبخ في مطابخ الأمير؛ وقودها وزيتها من بعض المثقفين والمتعلمين، ومهّد أحد الأخوة الطريق

قبل فترة طويلة في مقال نشره في صفحة بحزاني وقنديل الإلكترونيان تحت عنوان: "المرجعية الدينية، والجيل الثاني من الحركة الثقافية الإيزيدية، بداية وآفاق مفتوحة" أراد الأخ الكاتب أن يحمّل رواد الجيل الأول المتشبعين بالأيديولوجية اليسارية سبب إخفاقات الوضع الإيزيدي المتردي والموقف المتشنج من الأمير. كتب بالضبط: "ثم أن مهمة المثقف كانت أصعب، لأن الجيل الأول من الحركة الثقافية الإيزيدية، كان متأثرًا بحركات التحرر اليسارية الموجودة في العالم، ولهذا فإن نظرته وحلوله لمأساة الإيزيدية كانت معظمها لإيجاد بدائل وفق تلك الأيديولوجية بما فيها التعاطي مع الشأن الداخلي وإعادة بناء البيت الإيزيدي، بعقيدة ثورية وكأنهم أمام حرب بين (طبقة العامة والإقطاع) ومن هنا بدأ الخلاف مع المرجعية الدينية، وبشكل خاص مع بيت الأمير، الأمر الذي مهد لنوع من الفتور وأزمة الثقة بين الطرفين. فرواد الجيل الأول كانوا يعتبرون حلولهم في الشأن الإيزيدي الداخلي هي بداية للواقع، والأمير كان ينظر إلى ذلك تهديدًا لوجوده على الهرم الروحاني-الدنيوي".

وبعد أن رمى تبعات تناقضات المجتمع الإيزيدي وتأزيمها على رواد الجيل الأول المتأثر "بحركات التحرر اليسارية الموجودة في العالم" (أي الماركسيين والشيوعيين ذوي الأفكار المستوردة) أتى الأخ الكاتب بعدها ليعطي تفسيرًا لبعض جوانب تطور المجتمع الإيزيدي لتكون رسالة ترضية وتعهد إلى "المرجعية الدينية/ الأمير" لتصفية الأجواء وإزالة "الفتور وأزمة الثقة ونظرة التوجس والشّك" الذي كان يحمله الأمير نحو المثقفين من الجيل الأول. ولم يقف كاتبنا العزيز عند هذا الحد وحسب، بل أعطى الصلاحية لنفسه أن يتكلم باسم الجيل الأول ويرسل بإشارة ثانية للطرف المتوجس من الجيل الأول ويطمئنه أن أولئك تم ترويضهم و"حاولوا بدورهم أيضًا التأقلم وفق أيديولوجية الجيل الثاني."!

الكاتب على حق تمامًا، في أن قسم من الجيل الأول المتأثر "بحركات التحرر اليسارية الموجودة في العالم تأقلم بدوره وفق أيديولوجية الجيل الثاني"، ليس هذا فحسب، بل أن علمانيين وماركسيين إيزيديين ناضلوا

لعقود من الزمن وقسم منهم مازال ماضيًا على نفس الدرب تأقلم هو الآخر وفق أيديولوجية الجيل الثاني، وحصلوا على أعلى نسبة ضمن قائمة "الهيئة الاستشارية" للمجلس الروحاني الإيزيدي!"

إذا كانت (العقيدة الثورية/ الأيديولوجية اليسارية) أثبت فشلها في ترتيب "البيت الإيزيدي" فما هي (أيديولوجية الجيل الثاني) التي تساعد على ترميم ذلك البيت؟ علمًا أن الأيديولوجية ينظر إليها في كل الأحوال كعقيدة شبه جامدة ومتطرفة! هنالك حقيقة لا تدحض تقريبًا، وهي إذا كثر رجال دين أو النطقين باسم الدين فقط بين قوم (أو في دولة)، معناه/ معناها أصابه الضعف والهوان وتراجع القوة والمستوى العلمي لصالح التعصب الأعمى. هذا ما سنحاول قرأته ومناقشته مع ال "قرار رقم 16 الصادر من المجلس الروحاني الإيزيدي الأعلى بتاريخ 22/ 4/ 2006"

- مكونات القرار وأطراف الصراع:

كتب الكثير على شكل مقالات وتعليقات ومداخلات ومذكرات وبيانات من مراكز ثقافية اجتماعية، ومناقشات في غرف البالتولك والمجالس الأخرى، وكان لكل واحد/ واحدة نظرته/ ها وتقييمه/ ها للقرار من حيث خلفياتها، توقيتها، اسلوب تعيين الأعضاء، اسمها. الخ. من جانبي قمت بكتابة مقالين، الأول تحت عنوان: تصالح الحزبان الكردستانيان ولم يتصالح الإيزيديون المنتمين لكلا الحزبين؟ والثاني: الاعتراف بالخطأ فضيلة والتبرير لا يبدي نفعًا!! هذا إضافة إلى محاضرة قدمتها في "غرفة إيزيدية كوردستان" ومناقشة دامت حوالي ست ساعات ونصف يوم السبت المصادف27/ 5/ 2006. هذا إضافة إلى إعداد مذكرة استنكار للقرار 16 والمطالبة بإلغائه وتوزيعه على الصحف الإلكترونية لجمع التواقيع.

من الطبيعي أن تعبِّر المقالات إضافة إلى المحاضرة والاجابة على أسئلة المشاركين، عن قراءتي ورؤيتي للقرار وقناعتي التامة بما كتبته وقلته.

مما لا شكّ فيه لم يُولد القرار من فراغ، هذا مفهوم لكل متابع، ولا أتفق

مع التحليلات والتبريرات القائلة كون القرار جاء بسبب ضغط الشارع الإيزيدي. الرأي الإيزيدي لن يؤخذ به، ولن يحترم على الأقل ليومنا هذا. ولو كان الأمر كذلك وكان هنالك اصغاء من قبل (القيادة) وعلى رأسهم الأمير لصرخات الإيزيديين، ولو كان بالفعل متوجسًا أو خائفًا من (تململ) الشارع الإيزيدي، لأقدم الأمير منذ عام 2004 و2005 وقبل الانتخابين الجاريين في العراق التحرك لإصدار قرار استثنائي يحمل ما قبل الرقم 16 لتدارك الوضع الإيزيدي والانسجام مع الوضع العراقي والكردستاني المتغير، ولكان القرار رقم 16 الذي يضف عليه صفة الشجاع والإيجابي وربما التاريخي من قبل البعض، يحمل رقمًا آخر بعد رقم الخمسين لكثرة المستجدات على الساحة العراقية! إذن لماذا جاءت ولادة القرار رقم 16 بعد ثلاثة سنوات وبضعة أيام من سقوط صنم بغداد؟ وماهي أطراف الصراع والهدف الذي جمعهم؟

يمكن فرز الاتجاهات والمجموعات المكونة للقرار إلى ثلاث:

1. الأمير وصراعه مع الكثير من الفُرقاء وفي مقدمتهم "اللجنة الاستشارية لشؤون الإيزيديين" في أربيل، وشعوره بأن تلك اللجنة هي حجرة عثرة في طريقة لا يستطيع تحقيق مآربه بالشكل المطلق الذي يريده والاستحواذ على جميع المغانم والمكاسب بدون منازع. أما بالنسبة إلى "اللجنة الاستشارية لشؤون الإيزيديين" في السليمانية، فهي لا تعكر صفوه، لأنها لا تشكل تهديدًا لمصالحه لحد اليوم. وإن نجح الأمير في خطته هذه، فإنها بالنتيجة تمثل ضربة للمراكز والجمعيات والحركات السياسية الناشئة، وجميع أنواع الفعاليات الثقافية المدنية الديمقراطية الإيزيدية، وتمزيق للجبهة الثقافية الليبرالية الإيزيدية بواسطة استمالة وكسب مجموعة من المثقفين، خاصة الماركسيين منهم.

2. مجموعة من كوادر منتمية إلى حزب كردستاني كان البعض منهم يحتل مراكز قيادية وحكومية (وزير سابق وعضو برلمان ومستشار سابق لرئيس جمهورية العراق) إضافة إلى مستشار حالي لرئيس جمهورية العراق وعضو سابق في برلمان كوردستان وكادر قيادي، فإذا لم يتمكن هؤلاء الأخوة من تقديم خدمات للإيزيديين وتحقيق مطالبهم، أو على الأقل الدفاع عنها، من خلال مراكزهم المرموقة عبر حزبهم، أو من

خلال مركزهم (مستشار رئيس جمهورية العراق لشؤون الإيزيدية)، فكيف يستطيعون من تقديم شيء ما من خلال تواجدهم في هيئة استشارية شكلية؟ أليس انتماء هؤلاء الأخوة للدعاية والمزايدات، ومن أجل أهداف حزبية وشخصية ضيقة على "جثة" الإيزيدية المسكينة؟!

3. بعض الأخوة الذين قبلوا بالمشروع ويدافعون عنه أكثر من غيرهم بشكل يلفت النظر، يدخل إما في خانة ردّة فعل من أشخاص وجهات أخرى، أو قناعة متولدة لدى البعض أنهم يستطيعون التأثير على الأمير وهو في أواخر حياته ويقومون بأجراء إصلاحات في القيادة الإيزيدية، وبالنسبة لآخرين هو الضياع في زخم المتغيرات، يريدوا أن يقولوا: نحن ها هنا موجودين!

4. القسم الرابع والأخير، مجموعة من البعثيين بدرجات حزبية متفاوتة (رفيق، عضو فرع...الخ) لم يتمكنوا من تبوء مركز من خلال الأحزاب، فيعتقدون أن العمل ضمن "الهيئة الاستشارية" يدفعهم إلى مركز الصدارة ويعوضون عما فات من أيام زمان!

– مخاطر القرار:

رغم قناعتي من أن ما سُمي بالقرار رقم 16 حول تشكيل الهيئة الاستشارية للمجلس الروحاني ولد ميتًا من بطن أمه، إلاّ أنه يعتبر أخطر قرار يتخذ في الوقت الحاضر، وجاء إعلانه يحمل نتائج لا يحمد عقباه على الإيزيديين بشكل خاص وقضية الشعب الكردستاني الاستراتيجية وأمنه القومي بشكل عام. فمن الجانب الإيزيدي تتمثل المخاطر في:

أ- أدى إلى خلق المزيد من الجبهات وإلى تباعد وتشرذم الإيزيديين وخلق روح الشّك والريبة بين الأخوة والأخوات أبناء البيت الواحد؛

ب- ضرب جبهة المثقفين والليبراليين والعلمانيين الإيزيديين بواسطة المثقفين وذلك باستمالة مجموعة منهم ووقوعهم في فخّ ربما لم يكن في حسبانهم؛

ج- ضرب وعرقلة العملية الإصلاحية وإجراء تغييرات في الكيان الإيزيدي؛

د- قطع الطريق أمام نشاطات المراكز والجمعيات الثقافية والفعاليات

السياسية والمدينة الأخرى ومحاولة اختزالها في بودقة "الهيئة الاستشارية" وتحت رقابتها.

هـ- في حال نجاح القرار رقم 16 - لا سامح الله - فإنه يجر الإيزيدية إلى التشدد والتطرف والتعصب الديني شئنا أم أبينا، وسيخلق "حركة وهابية" إيزيدية وعشرات من "الزرقاويين" الإيزيديين (وهذا ما نلاحظ آثاره بادية في العديد من المقالات والتعليقات والطروحات التي تطرح في بعض النشريات الإيزيدية هنا وهنالك وخاصة الموقف المتشنج من القومية والأحزاب الكردية).

أما من جانب الشعب الكردستاني والقضية الكردية، تكمن الخطورة في:

أ- إذا استمر التثقيف فقط بالجانب الديني وخصوصيته، وإظهار الغبن وتضخيم النواقص واهمال الجانب القومي، فان ذلك يحدث خللاً في التوازن بين الجانب الديني والقومي لصالح الأولى ضد الثانية، بحيث يزيد من نسبة المتطرفين خاصة منطقة شنكال، وسيشكلون خطرًا على مسألة الاستفتاء المزمع اجرائه نهاية عام 2007 في غير صالح الفيدرالية الكردستانية.

ب- تحت يافطة "الإيزيدياتي" والدفاع عن مطالبهم من قبل البعض، وإذا نجحت خطة الأمير" الاستشارية" ربما ينقسم مناطق الإيزيدية إلى قسمين، يطالب أغلبية أهل شنكال وبدفع من جهات متعددة، العيش مع إخوانهم العرب والبقاء ضمن الإقليم العربي السنّي المركزي، أما بقية مناطق الإيزيدية شرق نهر دجلة سوف تضم إلى إقليم كوردستان! وحينذاك تكمن مصيبة ومأساة الإيزيديين، وبهذا تكون الهيئة الاستشارية المعينة وأميرهم مسؤولين في تعرض مصير ما يزيد من 300مائة ألف إيزيدي من شنكال للخطر. يفترض، بل يجب على الكوادر والمسؤولين الحزبيين في هذه "الهيئة الاستشارية" أن تنظر نظرة استراتيجية لمستقبل إقليم كوردستان ومستقبل الإيزيديين، قبل أن يتحركوا ضمن حسابات حزبية وشخصية ضيقة!

ج- يبدو لي أن قيادة المجلس الروحاني وغالبية أعضاء "الهيئة الاستشارية "المعينين من قبله، يحنون ويميلون إلى بغداد أكثر من حُبهم وميلهم إلى أربيل! مصير الإيزيديين ومناطقهم مرتبط بأربيل وليس ببغداد!

د- تعتبر منطقة شنكال بالذات منطقة استراتيجية لإقليم كردستان وتدخل ضمن نطاق أمنه القومي على المديين القريب والبعيد.

من خلال هذه الرؤية الاستراتيجية أنظر لمستقبل "الهيئة الاستشارية" ونتائج عملها، لا أنظر إليها نظرة عاطفية، ودعوات للاستهلاك والكسب المؤقت، لكي يقولوا إنه يدافع عن مصالح الإيزيديين!!

- الرابح والخاسر في العملية:

الرابح الأول والأخير من القرار رقم 16 هو الأمير قائد المجلس الروحاني وقلة من الهيئة الاستشارية التابعة له، والخاسران الوحيدان من المنظور الاستراتيجي هما عامة الإيزيديين، لأنهم لن يحصلوا شيئًا ماديًا من ورائها، والشعب الكردستاني لأنه ربما يخسر جزء من أرضه وقسم من شعبه (منطقة شنكال بأرضها وأهلها).

يرى الأمير حدود وصلاحيات "الهيئة الاستشارية" فقط في: كتابة وتحضير "مشروع قانون الأحوال الشخصية للإيزيدية" حيث تقوم لجان وحقوقيين إيزيديين لتهيئة المشروع. أن ذلك لا تؤثر على مصالحه، فهو مسموح به! أو أن تقوم لجان بجمع التراث الديني وجمعه في كتاب. (علمًا أن أكثر من 90% من ذلك التراث قد جمع وتم نشره في كتب أو في نشريات أخرى) ليس هنالك مانع لدى الأمير! فليكتبوا ويحرروا له وباسمه رسائل إلى الحكومة وجهات دولية، لا مانع لديه أيضًا لأنه لا يعرف الكتابة بلغات أجنبية! ولكن تعيين إيزيدي في منصب حكومي أو مكسب مالي، فالأقربون أولى بالمعروف! أما الحديث أو التقرب من تأمين خيرات الإيزيدية لصالح الإيزيدية، فتلك جريمة لا تغتفر، لا يجوز لأي عضو في الهيئة الاستشارية التطاول وطرح هكذا قضايا حساسة ومحرمة!

- تبريرات واهية، وحجج لا تقنع:

عدد من أعضاء "الهيئة الاستشارية" ومن خلال مقالاتهم أو أحاديثهم في غرف البالتولك، أو عبر بياناتهم، ومن "منطلق الحرص على مصلحة

الإيزيديين" ومسميات "العقلانية والحلول المتدرجة والواقعية والسبل الممكنة، وعدم ترك الحبل على الغارب... الخ.) يريدون أن يضعوا الإيزيديين أمام خيارين لا ثالث لهما: إما القبول بالقرار 16 في احياء المؤسسة الأميرية "وإدخال الحداثة والتطور إلى القيادة الحالية وتحويلها بشكل تدريجي إلى قيادة فاعلة، ويكون لأهل الرأي والتدبير والمثقفين الدور الأساسي فيها، وبالتعاون الجاد مع الأمير والمجلس الروحاني...." وكونه هو الحل الأفضل، أو أن الذين لا يتفقون مع القرار ويرفضونه، فانهم غير واقعيين وأن "الفرصة غير متاحة كليًا إلى أي شكل من أشكال الحلول (الثورية الانقلابية) والتي ترمي للإتيان بقيادة جديدة فتية تعالج الوضع بطرقة مثلى". وتشّك (مجموعة الخارج الخمسة) في رسالتها بقدرة أية مجاميع أخرى أن تتمكن من أخذ زمام المبادرة... الخ".

إن سوق كل هذه الحجج يذكرني بإحدى العادات الصينية حيث كانوا يجبرون الفتاة أن تضع رجلها (كف القدم) في قالب حديدي، لتخرج بالتالي جميع القياسات واحدة لا بديل لها!

لن يكتف هؤلاء الأخوة في وضع أرجلنا نحن الذكور في قالب حديدي إيزيدي، وليس صيني هذه المرة، بل محاولتهم وضع رؤوسنا أيضًا في ذلك القالب، ولجم فمنا وعقد لساننا، ونعتنا بجماعة (الثورية الانقلابية)! ليس هذا فحسب، بل وتحت شعار (الواقعية) أيضًا يأخذون علينا مطلبنا نحن (الثورجية) الداعي لبقاء منصب الأمير رمزيًا مثل الكثير من بلدان أوربا، لا يتدخل الأمير في الشؤون السياسية والدينية، يدير أملاكه ويأخذ راتبه من مكان ما ويجلس في داره معززًا مكرمًا. لكن – وحسب اعتقادنا- بعض هؤلاء الأخوة من مروجي القرار 16، يحلمون أحلامًا وردية عندما يتصورون أن دخولهم هذه اللعبة سيمكنهم من تحويل الأمير بالتدريج التنازل عن صلاحياته للمجلس أو الهيئة لاحقًا ويبقى هو كرمز.

ومن أجل تسويق قبولهم عضوية "الهيئة الاستشارية" المشكلة حسب القرار16، وإقناعنا بـ"واقعيتهم وموضعيتهم" يطرح أحد الأخوة في مداخلة له على محاضرتي يوم 27/ 5/ 2006 في غرفة البالتولك

مجموعة من الأسئلة والاستفسارات معظمها تبدأ بـ (هل) أذكر البعض منها:

- تحسين بك يعرف أنه لا يستطيع الاستمرار في حكم الإمارة. (يفهم منه أن الأخوة متفائلين كون الأمير يسلمها لهم على طبق من ذهب، وتدخل الحداثة والتطوير إلى القيادة الحالية وتتحول بشكل تدريجي إلى قيادة فاعلة!)
- الهيئة الاستشارية لمدة سنتين وبعدها يعقد المؤتمر. (يريدون موت القضية تمامًا!)
- هل نستطيع عمل انقلاب سلمي؟
- هل المراكز الإيزيدية مؤهلة لتسليم القيادة؟
- هل نستطيع عقد مؤتمر في كردستان؟
- هل نسلم أمرنا إلى اللجان الاستشارية الإيزيدية، أم هل نسلمها إلى المير...؟

الأخ المداخل سأل وجاوب على سؤاله الأخير قائلاً: أخطر شيء أن نسلم أمرنا (يقصد أمر الإيزيديين) إلى الأحزاب الكردية! طبعًا أتى بحجج حول خطورة أن يقع مصير الإيزيديين بيد الأحزاب الكردية. رأيه يحترم لأنه يعبر عن قناعته، لكن سؤالي لنفس الأخ وكل من يفكر مثله: إذا كان أميرك (م) قد سلّم أمره للأحزاب (إذا كان التسليم من جانب المنظور القومي فلا عيب فيه-الكاتب)، فعن أي تسليم تتحدث أيها العزيز؟! ألسيت الأحزاب الوطنية أكثر تطورًا ومدنيةً وديموقراطية من مؤسسة الإمارة؟

وإذا كانت جميع ال (هل) ضمن الأسئلة المطروحة غير ممكنة التحقيق، سؤالي أيضًا بهل: هل تسليم أمر الإيزيديين إلى الأمير هو البديل؟ وهل يعتبر الأمير حمامة سلام يمكن مناقشته والحصول منه على تنازلات وتحقيق مطاليب الإيزيديين من خلاله، أهذه هي الواقعية والموضوعية يا أخوتنا مثقفو الإيزيدية؟ وهل هذه هي الإمكانيات التي تتحدثون عنها، وتعتبرون ما يصدر من رأي مخالف لكم، يدخل في باب النظريات؟! أي من الطرفين يحلم أحلامًا وردية: "الهيئة الاستشارية" للمجلس الروحاني المعينة بموجب القرار16، أم الرافضين للقرار؟

بمنظور التطور التاريخي، من يكتب له النجاح والاستمرارية: القديم الذي لا يفيد معه حتى عمليات الزرع، أم الجديد الصاعد؟ أقولها بكل ألم: متى كان الأمير صديقًا ودودًا للماركسيين وقريبًا منهم، أم أنه مع الدنيا تتغير كل الأشياء؟!

أنقل لكم بأمانة موقف الكاتب صديق الدملوجي عام 1949، عن عائلة الأمير، وأنا أعتبر ما ورد في كتابه تنبؤ ينم عن ذكاء حاد، يقول: "أما مكانتهم الآن فليست بالدرجة التي يحسدون عليها. فكلما خطى الشعب (كذا) اليزيدي خطوة نحو التمدن واتسعت مداركه وعرف حقوقه وواجباته، فقد الأمراء ما بقي لهم من مكانة وربما لم يبق لهم إلا عنوانهم التاريخي أو فقدوا هذا العنوان أيضًا عندما يتحقق التطور الذي ينتظرهم".

نعم هذا رأي كاتب غير إيزيدي قبل 57 عامًا خلت، لم يكن لديه صراع على السلطة، ولا صراع مصالح مع تلك العائلة، يتأمل في تمدن الإيزيديين وتوسع مداركهم ومعرفتهم لحقوقهم وواجباتهم، الخروج من الحالة التي هم فيها بسبب قيادتهم. انها مصادفة غريبة لم يعوّل الدملوجي في تنبؤه على (المثقفين والمتعلمين والعلمانيين) الإيزيديين، بل عوّل على (الشعب اليزيدي-كذا وارد) في أخذ زمام المبادرة وتغيير (قيادات) ه التقليدية القديمة وتسيير أموره بشكل حضاري.

هل نعيد النظر في بعض المفاهيم الفلسفية كون أن هنالك نوعان من التطور وليس نوع واحد: تطور وطفرات إلى الأمام (تطور تقدمي/ إيجابي)، وتطور إلى الخلف (رجعي/ سلبي)! ويبدو لي-أتمنى أن أكون مخطًا وغير دقيقًا في تحليلي- أن تطور الشريحة المثقفة الإيزيدية هي طفرة إلى الوراء! لا يمكن الاعتماد عليها في قيادة وتغيير المجتمع، وعليه يجب البحث عن بديل/ أو بدائل أخرى. أما أسباب ذلك يعزو إلى بنية المجتمع الإيزيدي وتطوره، وتفاعل قيم عديدة فيه، مثل القيم البطريركية الأبوية، الدينية، العشائرية، آثار قيم الترحال (البداوة)، بحيث تبقي آثار جميع تلك القيم في العقل الباطن/ اللاوعي حتى بالنسبة للكثير من المثقفين والعلمانيين لا يستطيعون الفكاك منها، بحيث يبقى غالبيتهم غير واثقين من أنفسهم، متملقين، منافقين يحملون أكثر من وجه؛ بمعنى يؤمنون في داخلهم بشيء وفي الظاهر يقولون ويعملون

شيء آخر! وهنا من الصعب جدًا أن نعيش بين الحضارة وقيم (البداوة) المتأصلة فينا، ونعيش بشخصيتين، ونكون كالشعراء مادحين ومبالغين لا نقرأ الواقع بشكل صحيح، وننبسط لكلمات الفخر والحماس والتغني بالأمجاد والأصالة، كل ذلك لا يحل المشكلة. مع الأسف الشديد الكثير من المثقفين الإيزيديين يتخبطون بين التاريخ وبين النفاق، فيسيئون إلى شرف الكلمة ويساهمون في نهاية المطاف في عرقلة تطور المجتمع. لذا أرى نحتاج نحن الإيزيديون بين الحين والآخر إلى هزّات وما يشبه الرجات كهربائية لتحريك عقولنا! وأتمنى أن يكون مقالي رجّة من تلك الرجات الكهربائية!

قبل صدور القرار رقم16 وبالذات في مقالين، أحدهما تحت عنوان: "ما العمل؟ نظرة سريعة للمرحلة التي تمر بها الإيزيدية-كوردستان العراق انموذجًا- بتاريخ 26/ 6/ 2005) والأخرى تحت عنوان: دعوة مخلصة لسمو الأمير تحسين بك عند نهاية عام 2005، بتاريخ 8/ 12/ 2005) طرحت فيهما رؤيتي حول بعض البدائل للخروج من الأزمة التي تعيش فيها الإيزيدية، وكان في المقال دعوة إلى عقد مؤتمر عام بشرط أن يعلن الأمير فيه تنحيه عن منصب الأمير وانتخاب آخر مكانه مع انتخاب "هيئة أو مجلس إداري" لا علاقة له بالأمور الدينية، كامل الصلاحية يكون شخص الأمير المنتخب أحد أعضائها... الخ. كما كتب الكثيرون غيري البحث عن بدائل، وكان أكثرية الأصوات تدعو إلى أهمية عقد مؤتمر إيزيدي عام. إلاّ أن كل الدعوات والمناشدات وأصوات الاستغاثة أهملت ولم يعر لها أي اهتمام، وتحرك الأمير هذه المرة أيضًا بشكل انفرادي مع فارق بسيط في جرّه لمجموعة من المثقفين لتمرير مشروعه "إصدار قرار رقم16" باسم المجلس الروحاني كي يصبغ عليه الشرعية. بعد هذا القرار، وبهذا الشكل، فلن يبق لدعوة عقد مؤتمر عام أو غيره، أية أهمية، ولن يبق في الأفق بصيص أمل ولو ضئيلة لقبول الأمير بأي نوع من الإصلاح، وأخذ الصراع بين غالبية الإيزيدية و "الهيئة الاستشارية" للمجلس الروحاني بقيادة الأمير منحى آخر، وبرز على ما أعتقد إلى سطح المواجهة. والبدائل المطرحة في الوقت الحاضر لا يدور عن عقد مؤتمر، فان ذلك لن يبد نفعًا والحديث عنه صار عقيمًا. وكما تقول أحد الأمثال الكردية "ئاسن بئاسنى دهيته ليدان، يان

دهيته زه نين." بما معناه: "لا يفل الحديد إلاّ الحديد!". وحديدنا نحن المعارضين ليس في استخدام القوة وتحريك الدبابات وإعدام وسحل الذين لا نتفق معهم، بل هو قلمنا ولساننا وحجتنا ودليلنا التي نضعها أمام الآخرين. لقد بات شبه واضح أن حديدنا وقاعدتنا ليس مجموعة من المثقفين والليبراليين والعلمانيين الإيزيديين، بل جميع الإيزيديين (كما شخَّصها صديق الدملوجي قبلنا) المتضررين من كل هذه العملية/ اللعبة. وبديلنا في الوقت الراهن -حسب رؤيتي- يجب أن يتركز على النقاط والمحاور التالية:

- رغم أن القرار16 هو في عداد القرارات الميتة، لكن علينا العمل بكل الوسائل من أجل إلغاءها وبدون لفّ ودوران. أما القول إنهم يريدونها أن تتحول إلى "لجنة تحضيرية!" لعقد مؤتمر بعد سنتين! لا يقنع أحدًا. الإلغاء أولاً، ومن ثم لكل حادث حديث.

- تكثيف التوعية الفكرية، السياسية، الثقافية والاجتماعية بين الإيزيديين بشكل عام والجيل الصاعد بشكل خاص، من خلال الكتابة والندوات، وغرف البالتولك (الإنترنت)... الخ.

- العمل بكل الوسائل وبنفس طويل من أجل تنظيم لقاءات بين جميع الكتاب والمراكز والجمعيات والنشاطات الثقافية والسياسية الإيزيدية ان وجدت، من أجل تبادل الآراء والوصول إلى نقاط عمل مشتركة تهم مصلحة الإيزيديين ضمن مصلحة شعبهم الكردستاني.

- العمل بجد من أجل تنظيم لقاء بين الكوادر والمسؤولين الإيزيديين ومؤازريهم ضمن الأحزاب الكردستانية المناضلة وخاصة الديمقراطي الكردستاني والاتحاد الوطني، يكون لقاء مصارحة، وأن يصلوا إلى قناعة أن عملهم المشترك واتفاقهم على خطوط عمل مشتركة وعلى بعض القضايا الهامة، هي التي تخدم المجتمع الإيزيدي أولاً والمجتمع الكردستاني وتخفف العبء والانتقادات للقيادة الكردستانية ثانيًا.

- دعوة ومناشدة جميع الأخوة الأربعة والعشرين في "الهيئة الاستشارية" للمجلس الروحاني أن يعيدوا النظر جليًا في هذا القرار، وفي موقفهم تجاهها، وأن ينظروا بشكل أبعد واستراتيجي لمستقبل الإيزيديين فيما إذا انقسم العراق إلى عدة فيدراليات- وهو المتوقع جدًا- وتطورت الأوضاع

الدولية بانفصال إقليم كوردستان عن العراق، هنا يجب أن يدرك الجميع أن مصيرنا نحن الإيزيديون مرتبط بمصير شعبنا الكردي، وهم عمقنا الاستراتيجي ضمان تحقيق مطالبنا ورفع الغبن عنّا وليس العرب (مع احترامي للشعب العربي). وأن يصر الأخوة في "الهيئة الاستشارية" على دفاعهم المستميت عن القرار لأسباب خاصة لكل واحد، فأنه ينطبق عليهم المثل الكردي "ئاكر به ردا مالا خو، دا ئه وطر بـ كيسى كيجا نه مينت!" ما معناه "أشعل النار في داره، كي يأخذ الحيف من البراغيث!".

- ربما يطرح أخوة وأخوات بدائل عمل أخرى للمستقبل القريب مكان هذا القرار الارتجالي، ويصبح بذلك برنامجًا للمناقشة والعمل.

- ملاحظة أخيرة: يفترض ألا ينظر إلى المرء بقدر طوله ووزنه، أو ماله، أو انتمائه أو مكانته ووضعه الاجتماعي، وإنما بحجم مواقفه فيما إذا كانت صائبة أم خاطئة، نفعية ذاتية أم تدخل في المصلحة العامة، لإلهام العواطف والكسب الوقتي أم مبدئية ذات بُعد استراتيجي، ويجب هنا على المرء الذي يكتب ويتحدث باسم الآخرين، أن يقول الذي عليه ويثبت موقفًا متقدمًا حتى إذا عرف أن الناس لا يؤيدونه اليوم. الانتماء إلى الوطني القومي اليوم يسبق الانتماء الطائفي الديني، لأن الانتماء الأول يحمل بذور الحضارة والتقدم، والثاني يحمل بذور التعصب والتخلف شئنا أم أبينا! كما أن الدين كفكر وعقيدة هو جزء من الكل الوطني القومي. بالفكر الديني يستطيع المرء أن يتعامل مع السماء، أما عن طريق الثانية فيتمكن من العيش والبقاء على الأرض!

القسم الثاني

تشويه التاريخ و معاداة الرموز

إثبات عراقة الديانة لا تتحقق بالأمنيات
بل بالمنطق والأدوات العلمية [١١]

نقرأ بين الحين والآخر على مواقع التواصل الاجتماعي مقالات عن الديانة الإيزيدية ذو مضامين عجيبة غريبة، فبدل أن يضيف الكاتب معلومات ومعارف جديدة للقارئات الكريمات والقراء الكرام، يشوش عليهم أفكارهم ويخلق لديهم وعيًا يتصف بالمغالطات والتطرف، ويهز من قناعاتهم إزاء الدين كله!!.. ليس المهم في وقتنا الحالي أن يثبت كتّابنا عراقة الدين الإيزيدي، بل الأهم هو كيف يتمكنوا من خلق وعي بالمحافظة على الإنسان الذي هو ركيزة الدين والمجتمع، وكيف بإمكانهم حماية ذلك الإنسان من الأفكار التكفيرية والإبادة من الطرف المخالف؟!

من بين إحدى المقالات التي طالعتنا في العشرين من شهر أيلول 2019 كانت عن قصة/ أسطورة أطلق عليها كاتبها (ثورة) (مير مح –ماه- سلطان أو أمير الخلود)، وخلطها بـ (البايزوك) وربطها بالنظرية النسبية لألبرت أينشتاين فيما يخص الزمان (البعد الرابع)!! إن ما ذهب إليه الأخ الكاتب في الربط بين النظرية النسبية وبين قصة/ أسطورة (مير مح) بعيد بعد السماء عن الأرض!!

من الطبيعي أن أقدم شكري للكاتب المحترم؛ أولاً على جرأته لكتابة هكذا موضوع، وثانيًا على "استفزازه" لعقلي وتشجيعي على التوقف عند قصة (مير مح) لدى الإيزيدية، وسرد (عقدة الموت والخلود) عند بعض الحضارات والأديان من الناحية التاريخية. وأبين من هو (مير مح) وكيف احتض الأدب الديني الإيزيدي الكثير من (أبياته/ قصائده الشعرية) باللغة الكردية، وكذلك (بايزوك) التي هي الأخرى دخيلة،

(١١) مانيلا في ١/ تشرين الأول/٢٠١٩.

باعتقادي، على الأدب الديني الإيزيدي، سوف أتطرق لذلك في نهاية هذه الدراسة.

إن فكرة الخلود والموت والحياة الأخرى موجودة عند جميع، الشعوب والأديان منذ قديم الزمان وإلى وقتنا الحالي، وكل واحدة منها عبرت عن تلك الفكرة حسب ثقافتها وبيئتها، وأقدم الشواهد تتمثل في الزقورات في وادي الرافدين، والأهرامات في مصر، والمعابد الزرادشتية في بلاد إيران.

جدير بالذكر أنه في كتابي (به رن ز ئه ده بى دينى ئيزديان= صفحات من الأدب الديني الإيزيدي، الصادر عن دار سبيريز/ دهوك، بطبعتيه الأولى 2004، والثانية 2013) خصصت الفصل الرابع بالكامل إلى (فلسفة الموت والحياة عند الإيزيدية/ ملحمة و"به يتا" مير محى، الصفحات663-631)، إلاّ أنه في هذه الدراسة السريعة سوف لن أتطرق إلى ما جاء فيه، وإنما أتناول فلسفة/ عقدة الموت والخلود عند حضارات وأديان الشرق القديمة تاريخيًا وبشئ من التحليل القريب إلى المنطق. وأعتقد جازمًا أن جذور عقيدة الخلود لدى جميع الأديان تعود إلى (ملحمة كلكامش)، وبها أبدأ جولتي.

- البحث عن الخلود / في الملاحم والأساطير وعند الأديان:

أولاً : ملحمة كلكامش

حسب رواية المؤرخين تعتبر من أقدم قصة/ أسطورة كتبها الإنسان على وجه الأرض، وهي أهم وأكمل عمل إبداعي أسطوري شعري، كتبت منذ العهد السومري في المرحلة الواقعة بين (2750 و2350) قبل الميلاد عن الملك كلكامش الذي عاش في مدينة أوروك "الوركاء" في وادي الرافدين. وتسرد الأسطورة حول كلكامش مجموعة من الحكايات الأسطورية والبطولية وأعماله الخارقة وسعيه المستميت إلى معرفة سرّ الحياة الخالدة. كانت والدة كلكامش إلهًا خالدًا ووالده بشرًا فانيًا ولهذا قيل بأن ثُلثيه إله والثُلث الباقي بشر، وبسبب الجزء الفاني منه يبدأ بإدراك حقيقة أنه لن يكون خالدًا. كان كلكامش ملكًا ظالمًا فابتهل سكان

أورك للآلهة بأن تجد لهم مخرجًا من ظلمه، فاستجابت الآلهة وقامت إحدى الإلهات واسمها (أرورو) بخلق رجل من الطين اسمه (أنكيدو) يعيش في البرية مع الحيوانات، شخصية نقيضة تمامًا من شخصية كلكامش. أنكيدو يقرر أن يصارع كلكامش. يتصارع الإثنان بشراسة فهما متقاربان في القوة، ولكن الغلبة في النهاية تكون لكلكامش، حيث يعترف أنكيدو بقوة كلكامش وبعد هذه الحادثة يصبح الاثنان صديقين حميمين. يبدأ كلكامش وأنكيدو رحلتهما نحو غابات أشجار الأرز بعد حصولهما على مباركة (شمش) إله الشمس وإله الحكمة عند البابليين والسومريين. يقوم الصديقان كلكامش وأنكيدو بقطع أشجار الأرز مما يثير غضب (خومبابا) حامي غابات الأرز. ويبدأ الصراع العنيف بين ثلاثتهم والذي ينتصر فيه الصديقان ويقومان بقتل (خومبابا) مما تثير حفيظة آلهة الماء أنليل والتي كانت تركت الغابة في مسؤولية خومبابا. بعد هذه الحادثة يصبح كلكامش مشهورًا مما يجعل الآلهة عشتار تقوم بطلب الزواج منه، لكنه يرفض مما يجعلها تثير سخطها عليه، وتطلب من والدها (آنو) إله السماء أن ينتقم لها، الذي يقوم بإرسال (ثور مقدس) لقتل كلكامش، إلا أن أنكيدو يستطيع الإمساك بقرني الثور ويقوم كلكامش بقتله، وتصبح هذه الحادثة هي حديث ومثار غضب الآلهة وذلك لقتل كلكامش لهذا الثور المقدس، ولكنهم لا يستطيعون قتله لان دماء الآلهة تسري في عروقه فيقررون معاقبة وقتل أنكيدو لأنه اشترك في هذه الفعلة، فيصيبونه بمرض قاتل يموت على أثره أنكيدو.

يحزن كلكامش حزنًا عميقًا على وفاة صديقه أنكيدو، ويرفض دفنه إلاّ بعدما تبدأ جثته في التحلل فيقوم بدفنه، وينطلق شاردًا في البرية باحثًا عن الخلود بعد أن يدرك حقيقة الموت. يبدأ كلكامش بالبحث عن "أوتنابشتم" لأنه الوحيد الذي يملك هذا السرّ، وفي الطريق يقابل الآلهة (سيدروي) التي تحاول أن تثنيه عن رغبته وتقنعه بأن يعيش الحياة ويترك البحث عن الخلود، إلا أنه يرفض فترسله إلى الطواف "أورشني" والذي سوف يساعده في عبور (بحر الأموات) ليصل إلى الشخص المطلوب. حتى يجد كلكامش "أوتنابشتم" هو وزوجته فيخبرهم عما يبحث عنه، فيسرد "اوتنابشتم" قصة الطوفان العظيم الذي حدث بأمر الآلهة له، وكيف قضى الطوفان على جميع أهلهم ولم ينج أحد منهم

سوى هو وزوجته لذلك قرر الآلهة أن يمنحوهم الخلود. كل ذلك لم يقنع كلكامش ويبقي مصّرًا في سعيه نحو الخلود، يخبره "أوتنابشتم" أن عليه أن يظل منتبهًا بدون نوم لمدة 6 أيام و7 ليالي بعدها سوف يصبح خالدًا، وهو ما يفشل كلكامش في القيام به. ويظل يلحّ على "اوتنابشتم" وزوجته في إيجاد طريقة أخرى له لكي يحصل على الخلود. تشعر زوجة أوتنابشتم بالشفقة عليه فتدله على (العشب السحري) الموجود في قاع البحر بإمكانه إعادة الشباب اليه. يغوص كلكامش في أعماق البحر ويتمكن من اقتلاع العشب السحري.

بعد أن يحصل كلكامش على العشب السحري يقرر أن يأخذه إلى مدينة اوروك ليجربه هناك على رجل مسن قبل أن يقوم هو بتناوله، لكن في طريق العودة وعندما كان يغتسل في النهر، تأتي إحدى الأفاعي وتسرق العشب وتتناوله، وبهذا يعود كلكامش خالي اليدين ويشاهد السور العظيم الذي بناه هو حول مدينته أوروك، فيفكر أن عملاً ضخمًا كهذا السور يعد أفضل طريقة لتخليد اسمه.

سردت أسطورة كلكامش الأولى المكتوبة في تاريخ البشرية بشيء من الإطالة كونها الأساس الفكري والعقائدي لجميع أديان الشرق القديمة في إيجاد (بديل رمزي للخلود) من خلال ربط خلود الروح بمفهوم وجود (الجنّة). البديل الرمزي الثاني لخلود الروح هو (تناسخ الأرواح). علمًا أن الأديان طورت وأبدعت في إعمال الخيال وربطت (الجنّة) بالسماء و(الجحيم) بأعماق الأرض، وخلقوا قصص الإسراء والمعراج للأنبياء إلى السماء حيث عرش الخالق.

من الأهمية بمكان أن نشير إلى أن عناصر الخلود في القصص والأساطير المعروفة والمتداولة عند الأديان تختلف أسمائها من شعب إلى آخر، ومن ديانة إلى أخرى، ومن راوي إلى آخر، أبرزها الآتي: (العشب السحري) كما في أسطورة كلكامش. (التفاح) كما في قصة (مير مح) عند الإيزيدية. (القمح أو الحنطة) كما في قصة آدم وحواء في الجنّة. (الماء- ئافا هيوانى) كما في قصة النبي خدر والياس مع إسكندر المقدوني. النقطة الأخرى الجديرة بالملاحظة هي أن البحث عن الخلود في أسطورة (كلكامش) و(مير مح) و(خدر إلياس والإسكندر) تجري أحداثها على الأرض، أما

عند بعض الأديان مثل الزرادشتية والمسيحية والإسلامية وفي (رسالة الغفران) لأبي العلاء المعري وملحمة (الكوميديا الالهية) للشاعر الايطالي دانتي، تدور أحداث البحث عن الخلود في السماء.

ثانيًا : الخلود عند الديانات الفرعونية

التأكيد على وجود الحياة الأخرى هي من معالم الحضارة المصرية القديمة حيث تتم محاكمة الإنسان في العالم الآخر. بطله هو الإله أوزيريس، إله الخصب وفي نفس الوقت هو إله مملكة المات أعيد للحياة بواسطة زوجته إيزيس.

ثالثًا : الخلود في الديانة الهندوسية

تتضمنها كتابهم المقدس (الفيدا) وأهم النصوص فيه هي الأوبانيشاد (500-800 ق.م) التي تشرح عقيدة (الكارما) و(التناسخ)، والوحدة والمساواة بين (اتمان) الذات الفردية (النفس)، وبين (براهما) ماهية العالم وأصل كل الموجودات. وأن الذات (اتمان) يجب أن تمر في (طريق الكارما) التي هي سلسلة من عمليات التناسخ كي ترتقي إلى مرحلة الوعي الكلي للبراهما الذي هو الغاية الأخيرة لكل إنسان عن طريق الزهد وزيادة المعرفة (السيطرة على الذات والتركيز) لحين وصولها إلى المعرفة الكاملة/ الخلود. (يوحنا بيداويد، الخلود في الديانات القديمة والفكر الإغريقي، الحوار المتمدن، العدد 2645 في 13/ 5/ 2009).

رابعًا : الخلود في الديانة البوذية

المعروفة باسم مؤسسها الفيلسوف غوتاما بوذا (480-563 ق.م)، فرغم عدم وجود مفهوم الحياة الأخرى، وعدم وجود مفهوم الإله العادل الذي يدين الإنسان لأعماله في الآخرة، لكن يوجد مبدأ (النرفانا) الذي هو نهاية مطاف لسلسلة طويلة من عمليات الموت والولادة للإنسان لحين وصوله إلى درجة الكمال وفيها يعي الإنسان ذاته لصعوده سلم الرقي عن طريق ممارسة الزهد والتنسك.

خامسًا : الخلود في فكر الإغريق

وتبدأ بشكل واضح وجلي عند الفيلسوف أفلاطون (348-428 ق.م) في نظريته الشهيرة (المُثل) حول فكرة وجود النفس (الروح) التي هي أبدية والجسد الذي هو زائل. بمعنى هنالك عالمان، عالم المُثل الذي لا يتغير ومستقر أبدي، وعالم الواقع الزائف المتعرض للتغير والزوال. أن الجسد هو من عالم الواقع فهو زائل، وأن الروح هي من عالم المُثل فهي أبدية. لذلك تتصارع الروح في هذا العالم مع الجسد (القبر) كي تتحرر منه وتعود إلى أبديتها. (يوحنا بيداويد، الخلود في الديانات القديمة والفكر الإغريقي، مصدر سابق).

سادسًا : الإسكندر المقدوني (ت 323ق.م) والنبيين خدر والياس:

مضمون الأسطورة هي بالشكل التالي: حينما يصل الشاب إسكندر المقدوني إلى أوج مجده ويصبح إمبراطورًا للعالم القديم بعد أن يهزّم الملك الفارسي الأخميني (داريوش) سنة 333 ق.م.، ويدخل مصر من دون قتال سنة 332 ق.م.، وتفتح بابل، التي كانت تحت سيطرة الإمبراطورية الأخمينية لمدة قرنين من الزمان، أبوابها لجيش الإسكندر من دون قتال. يبحث عن الخلود فيرسل شخصين (خدر وإلياس) حسب القصة المتداولة بين الإيزيدية، فيذهب الاثنان آخر نقطة على الأرض الوقت فيه ظلام دائم، أحد الكهنة يدلهما على نبع ماء يسمى (ئافا هيوانى=ماء الهيوان) الذي يشربه يبقى خالدًا. يشرب كل من (خدر والياس/ ايليا) من ذلك الماء فيصبحان خالدان حسب ميثولوجيا الكثير من شعوب الشرق مثل: الإيزيدية، المسيحيين، الشبك، الكاكائية وحتى الإسلام. يجلبان معهما قُربًا من الماء إلى الإسكندر المقدوني الجالس على عرش بابل آنذاك. في طريق عودتهما يصيب الاثنان بالتعب والهلاك، فيجلسان تحت ظل شجرة ليأخذا قسطًا من الراحة، ويعلقان القُربة على غصن الشجرة، فيأتي طير لينقر القُربة ويسكب مائها على جذع الشجرة لتروي منه وتبقى هي الأخرى خالدة ودائمة الاخضرار في جميع فصول السنة، هذه هي شجرة الزيتون حسب الميثولوجيا الإيزيدية، وهي شبه مقدسة وتستخدم زيتها لإشعال قناديل المعابد والمزارات الإيزيدية. أما (خدر

وإلياس) يعودان خال اليدين ويموت الإسكندر المقدوني سنة 323 قبل الميلاد، وترسل جثته، حسب القصة الإيزيدية، إلى أمه في مقدونا الإغريقية/ يونان الحالية. أما بعض المصادر التاريخية تقوم بأن جثمانه دفن في مصر.

سابعًا : معراج النبي زرادشت (آردا فيراز ناماك)

جاء ذكر قصة معراج النبي زرادشت في كتاب للديانة الزرادشتية باسم (آردا فيراف) أو (آردا فيراز) معناها رحلة إلى الجنّة والنار -Vis it to Heaven &Hell)، وهو واحد من بين عشرات الكتب للديانة الزرادشتية إضافة إلى آفيستا المقدس. تقول القصة أن زرادشت صعد إلى السماء وإلتقى بآهورامزدا (الله الديانات الإبراهيمية) وشاهد الجنّة والنار (الجحيم) والصراط وغيرها من التفاصيل. بإجراء مقارنة بسيطة بين معراج النبي زرادشت حوالي 700 سنة قبل الميلاد، وإسراء النبي محمد (نهاية القرن السادس الميلادي) نلاحظ التشابه، بل التطابق في الكثير من التفاصيل. حيث يتحدث نص في الجزء السادس من الكتاب عن (مكان يقع بين الجنّة والنار) يكون فيه الإنسان الذي تتساوى حسناته مع سيئاته، وهو ما يسمى في الإسلام (الأعراف).

يقول زرادشت جئت إلى مام وجدت فيه أرواح العديد من الناس وكلهم على نفس الهيئة، فسألت (سروش) و(آدار) (سروش وآدار ملائكة وكائنات نورانية في الديانة الزرادشتية): من هؤلاء؟ ولماذا هم هنا؟ فقالا لي: هذا المكان يسمى (هامستاجان/ أو المكان الوسيط)، وفيه تبقى أرواح الأشخاص الذين تساوت حسناتهم مع سيئاتهم. أما الجزء السابع من الكتاب يتحدث عن (الصراط) وهو الجسر الذي تعبره أرواح جميع الناس بعد الموت. وهنا يتشابه مع فكرة (الصراط المستقيم في الإسلام). وفي الجزء الرابع والعشرين يرى النبي زرادشت امرأة معلقة في أثدائها وتتعذب في النار! فسأل الملائكة: من هذه المرأة، وماذا فعلت لتعذب بهذه الطريقة؟! فأجابت الملائكة: هذه روح المرأة الخاطئة التي تركت زوجها وذهبت إلى رجل آخر ومارست معه الزنا! إلى غير ذلك من التفاصيل التي تطول ذكرها. إن دل هذا على شيء فإنما تدل

أن الأديان تأخذ عقائدها وأفكارها مما سبقتها مع إضافة أفكار وعقائد جديدة من الثقافة والبيئة التي نشأ فيه الدين الجديد. (عن كتاب "فيراز الصالح" يمكن مراجعة الترجمة العربية للدكتور خليل عبد الرحمن).

وتذكر مصادر أخرى، عندما سيطر إسكندر المقدوني إيران سنة 333 ق.م.، تمر الديانة الزرادشتية بوضع صعب، فيجتمع حينها أعضاء المجمع الكهنوتي الزرادشتي الأعلى لكي يجددوا إيمانهم بديانة الأجداد ويعيدوا بناء وحدة البلد الروحية. يقررون في ذلك الاجتماع انتخاب كاهنًا واحدًا من بينهم بحيث يكون الأكثر صدقًا وصلاحًا وأمانةً، ليرسلوه إلى العالم الروحي الأخروي، إلى الآلهة السماوية لأجل التفسيرات الحقيقة لنهج دينهم. يقع الاختيار على كاهن اسمه (فيراز Viraz) الذي يتعرض لاختبار الصدق قبل رحلته إلى العالم الآخر، حيث يغرزون الرمح في جسده ثلاث مرات دون أن يصيب بأية أذى، ومن ثم يقوم فيراز بطقوس الطهارة والصلوات المفروضة ويشرب الهاوما، وبعدها يغط في نوم عميق. أثناء النوم تفارق روح فيراز جسده حيث تقوم برحلة في العالم الآخر، فتزور الجنة والجهنم بمرافقة سرواش (ملاك الطاعة) وآدور (إله النار)، وأثناء جولة روح فيراز تقوم اخواته وزوجته وباقي الكهنة بحراسة جسده بالصلوات والرقى المقدسة لطرد الأرواح الشريرة عنه. تعود روحه في اليوم السابع من رحلتها على الأرض، ومن ثم تدخل الجسد، فيستيقظ فيراز من نومه ويحكى في بين الجنة والجحيم. اجتماع جديد للكهنة عمّا رآه في رحلته تلك. وفي القرن التاسع- العاشر الميلادي ألف كتاب عن (فيراز الصالح)، ترجم من البهلوية إلى الروسية آرثور أمبار تسوميان وينقله من الروسية إلى العربية الدكتور خليل عبد الرحمن. يتضمن الكتاب تفاصيل رحلة (آردا فيراز ناماك) إلى السماء وانتقاله إلى الأرض. [١٢]

ثامنًا : الإسراء والمعراج عند الإسلام

قصة الإسراء والمعراج عند الإسلام معروفة، حول كيفية أسراء ومعراج نبي الإسلام إلى السماء وعودته إلى الأرض على حيوان باسم البراق. وهي

(١٢) راجع: آفيستا/ الكتاب المقدس للديانة الزرادشتية، إعداد د. خليل عبد الرحمن، مطبعة دار الحياة- دمشق، الطبعة الأولى ٢٠٠٧، ص ٩٤٨.

قصة متداولة أعتقد لا حاجة لنا بها إلى ذكر تفاصيلها. كما أن مفهوم (الجنّة والجحيم) يأخذان حيزًا كبيرًا من الفكر والعقيدة الإسلامية، والنقطة الأكثر إثارة هو أن الشخص الذي يدخل الجنّة تنتظره عشرات الحوريات والغلمان وأنهارًا من اللبن والعسل، وما طاب من المأكولات!

تاسعًا: رسالة الغفران للشاعر والفيلسوف أبو علاء المعري (973-1057م)

عمل أدبي خالد، ويُعد من أعظم كتب التراث العربي النقدي للشاعر والفيلسوف أبي علاء المعري، ويعتبر أجمل ما كتبه الشاعر وهو عجائبي عبر تسلسل الأحداث التي يراها الشاعر هناك. وهذه الرسالة قسمان، الأول: رواية الغفران، والثاني: الرد على ابن القارح. وقد قسمت رواية الغفران على ستة فصول: الفصل الأول/ في الجنة، الفصل الثاني/ موقف الحشر، الفصل الثالث/ عودة إلى ذكر الجنة، الفصل الرابع/ جنّة العفاريت، الفصل الخامس/ الجحيم، الفصل السادس/ العودة إلى الجنة. رسالة الغفران ذات طابع روائي وقد كتبها في الأصل ردًا على رسالة ابن القارح وجعل المعري من ابن القارح بطلاً لرحلة خيالية أدبية عجيبة يحاور فيها الأدباء والشعراء واللغويين في العالم الآخر. الغرض الأساسي من رسالة الغفران كما يفهم منه هو:

التعبير عن نظرة للدين والأدب والحياة بأسلوب أدبي مع التركيز على الجانب العقائدي من خلال ربط الرسالة بالعقيدة التي يؤمن بها أبو العلاء نفسه.

عاشرًا : دانتي أليغيري في ملحمته الشعرية (الكوميديا الإلهية)

ملحمة شعرية للشاعر الإيطالي الكبير دانتي أليغيري (1265-1321م)، وتعتبر ملحمة (الكوميديا الإلهية) التي تتألف من (14233) بيتًا شعريًا، من أبرز الأعمال العظيمة على الإطلاق، ومن الأعمال الأدبية الخالدة تحتوي على نظرة خيالية حول الآخرة بحسب فكرة الديانة المسيحية، وهي انعكاس لفلسفة القرون الوسطى التي سادت على الكنيسة آنذاك.

تنقسم الكوميديا الإلهية إلى ثلاثة أقسام (الجحيم والمطهر والجنّة)،

والأقسام الثلاثة للقصيدة مقسمة إلى أجزاء داخلية. يضم كل من قسمي المطهر والجنّة 33 جزءً، أما قسم الجحيم لوحده 34 جزءً. ويعد قسم الجحيم الأشهر، وهي رحلة خيالية يقوم بها دانتي في الممالك التي يسميها (الجحيم)، والمطهر والجنّة في الآخرة، وتستغرق رحلته أسبوع فقط؛ يومان في الجحيم، وأربعة في المطهر، ويوم في الجنّة. (الكوميديا الإلهية، دانتي أليغيري، ترجمة حسن عثمان، دار المعارف، الطبعة الرابعة لسنة 1955).

حادي عشر: ملحمة ميرمح (1641-1563م)

هل هناك فعلاً شخص باسم (مير مح- مير محى) بحيث نسب إليه هذه الملحمة؟، أو أن (مير مح) هو اختصار لاسم الشاعر (فقى طيران/ فه قى ته يران) الذي كان سمه الحقيقي (محمد) والذي غدا اللقب الشعري له. إذا كان هذا هو الرأي الصحيح، حينها نواجه السؤال التالي: كيف وجدت هذه الملحمة وهذه القصة (الأسطورة) مكانتها البارزة بين النصوص الدينية الإيزيدية؟!

إذا راجعنا كتب الأدب الكردي وكذلك ديوان (فه قى ته يران) نجد (به يتا دنى) من إحدى قصائده الشعرية ومنشورة ضمن ديوانه، يقول في البيت (63) الأخير مخاطبًا نفسه:

مير محو هه ره فه له ك جو / يا مير مح فات الفلك ومضى
بحيجه تا ده وران كه له ك جو / وهكذا مضت دهورًا عديدة
سال هه زار وجل ويه ك جو / ومضى سنة ألف وأربعمائة وواحد
وه ره زور هاته دياره / ولد في ورزور
بحيجه تا بلبل وزاره. / على أنغام البلابل.

(راجع ديوان فقى طيران، الجزء الأول، سعيد ديره شى ويزانى آليخان، مطبعة الحوادث، بغداد 1989، ص 207 و135-107. وكذلك يراجع كتابي: صفحات في الأدب الديني الإيزيدي، الطبعة الثانية، دار سبيريز/ دهو 2013، ص 782).

مما لا شك فيه أن (مير مح) هو نفسه (مير محمد المكسي الهكاري) الملقب بـ (فقيه طيران) واحدًا من كبار الشعراء والكتاب الكلاسيكيين

الكرد القدامى. وقد اختلف الكتاب في سنة ولادته، فمن قال في سنة 1590م وآخرون قالوا سنة 1563، أما وفاته، فمن قال سنة 1660 وآخرون قالوا 1663. أما عن ألقابه الشعرية، فسمي بـ (مكسي) نسبة إلى مكان ولادته (مكس) بمنطقة هكاري. وسمي بـ (م.ح) أي مختصر (محمد). وقيل عنه أنه كان يفهم لغة الطيور، يستمع إلى محاوراتها وزقزقتها فينقل ذلك إلى أصحابه، وقد نسجت حوله أساطير حول ذلك ودونت في الكتب. (رشيد فندي، من ينابيع الشعر الكلاسيكي الكوردي- الجزء الأول لسنة 2004.)

اشتهرت أشعار فقي طيران بالدفاع عن الفقراء والمظلومين، ولم يكتب في مدح الملوك والأمراء، وأبى كرامته أن يدخل قصورهم ويحضر مجالسهم. وامتازت لغة أشعاره بالبساطة وسهولة الحفظ لذلك كان يفهمها الجميع وانتشرت بين عامة طبقات المجتمع. وفي قصائده كان منفتحًا على الشعوب، وكان ينادي بالمساواة والأخوة بين الشعوب، هذا إضافة إلى أن شعر (فقي طيران) ينتمي بمجمله إلى شعر التصوف والحب الإلهي، ولهذا السبب وجدت العديد من أشعاره (أبيات وقصائد) طريقها بين النصوص الدينية الإيزيدية، نذكر منهم:

- به يتا دنى / "بيتا" الدنيا
- به يتا دلو رابه / "بيتا" انهض أيها القلب!
- حقًا تو به دشايى / حقًا أنت الإله!
- به يتا نه سيحه تا / "بيتا" النصائح والارشادات
- جيروك وبه يتا شيخ سه نعان / قصة و"بيتا" الشيخ صنعان
- جيروكا زه مبيل فروش / قصة بائع السلال.
- ملحمة دمدم / داستانا كه لا دمدمى

اعتقد أن قصة النبي سليمان وبلقيز ومحاورة الطيور، هي من تأليف فقي طيران.

القليل من الدلائل التي أشرنا إليها حول الشاعر الكبير مير محمد المكسي الهكاري (فقي طيران) سواء من ناحية غزارة علمه واطلاعه وانفتاحه على عالم ذلك الوقت، وتناوله من كأس التصوف والعرفان، تقودنا

إلى الاعتقاد الذي يصل حد الجزم تقريبًا، أن قصة الخلود (مير مح-مير محى) المتداولة إيزيديًا، هي من روائع الشاعر (فقي طيران)، الذي تأثر حتمًا بما سبقوه كأن تكون برسالة الغفران للشاعر والفيلسوف أبو العلاء المعري، أو (الكوميديا الالهية) للشاعر والفيلسوف الايطالي المتداولة في أوساط الكنائس المسيحية. أو لا يستبعد اطلاعه على الأدب والثقافة الفارسية وكذلك على فلسفة الديانة الزرادشتية... مما دفع عقله المتقد وخياله الواسع إلى ينسج هو الآخر كأقرانه من الشعراء والفلاسفة الكبار قصة الخلود والممات والحياة الأخرى وخلدت باسمه (داستانا مير مح)!!

أما عن ال "بايزوك payizok" باختصار، هي الأخرى دخيلة على الأدب الديني الإيزيدي. ال "بايزوك" ضرب من ضروب الأدب الغنائي الكردي الرفيع تتميز بها منطقة بهدينان على وجه الخصوص، ومن شعراء بهدينان البارزين لنظم وغناء هذا النوع كان الشاعر الغنائي (حه مه كور) أو (حمكى توفيا Hamke Toviya) [١٣].

ملاحظات سريعة:

* فكرة الخلود والموت ووجود الحياة الأخرى، قضية جوهرية تقلق الإنسان منذ أقدم العصور وإلى الوقت الحاضر. فما الزقورات في وادي الرافدين والأهرامات في مصر والمعابد في الهند وبلدان جنوب شرقي آسيا، إلا شواهد حيّة لما كان يفكر فيه الإنسان. علمًا أن فكرة الخلود والموت والحياة الأخرى تختلف بين الشعوب حسب دياناتهم وثقافاتهم وبيئتهم.

* تعد ملحمة كلكامش الأساس الفكري والعقائدي لجميع أديان الشرق القديمة، خاصة الإبراهيمية، في إيجاد (بديل رمزي للخلود) من خلال ربط خلود الروح بمفهوم وجود (الجنّة)، أو بـ (تناسخ الأرواح).

* الأفكار الدينية أولا وأخيرًا ترتبط بالماورائيات والغيبيات وتلعب

(١٣) ينظر: أنور مائي، الأكراد في بهدينان، طبعة دهوك لسنة ١٩٩٩، ص ٢٥. وينظر كتابنا: صفحات من الأدب الإيزيدي، مصدر سابق، الطبعة الثانية ٢٠١٣، ص ١٠٩٦.

الأسطورة دورها البارز، لذا تكون الأحكام نسبية، ونسبية إلى حد كبير! وأنها تدور في باب الاجتهادات والتخمينات. ومن الخطأ الكبير إعطاء الأحكام القاطعة بشأنها.

* يمكن تفسير فكرة الخلود من خلال العرض المقدم بمفاهيم مختلفة بين الشعوب والأديان منها، أولاً: أن الخلود هو من نصيب الله والملائكة والكائنات النورانية، والموت للبشر. ثانيًا: أما الديانات التي تؤمن بوحدة الوجود وتناسخ الأرواح (كالهندوسية والبوذية والإيزيدية إلى حد ما) فإن كل إنسان يتمكن من نيل الخلود ويتحد مع المطلق عن طريق الزهد والتنسك وترك ملذات الدنيا. ثالثًا: عدم استسلام الإنسان للموت كونها العدم والفناء، واعتبار الخلود (الجنّة) محطة يلتقي فيه مع أحبائه الذين فقدهم في هذه الدنيا!

الشيخ آدي مُجدِّد الديانة وليس مؤسسها والإيزيدية ليست بطائفة إسلامية [١٤]

جاء في مجلة الإنترنت-أوراق كردية- www.amude.com في عددها الأول، المؤرخ في 1/ 8/ 2002 عدة مواضيع مثيرة للانتباه والجدل. إحدى تلك المقالات جاءت تحت عنوان "الشيخ عدي والملك طاووس" للسيد نزار آغري.

اليوم هو السادس والعشرون من شهر آب وأنا في صراع مع نفسي حول الأسلوب المناسب والأمثل للتعقيب على المقال أعلاه. أخيرًا رأيت من الأفضل أن يكون تعقيبي هادئًا وعلميًا قدر المستطاع، أقدم ما يمكن تقديمه من أدلة وبراهين كسبًا للفائدة لنا وللقراء الكرام، ومتمنيًا أن تسهم ملاحظاتي في إقناع السيد نزار أن يتمهل مستقبلاً قليلاً في نشر آرائه وتصوراته المسبقة والمتمردة على مواضيع حساسة كهذه لا يملك أرضية صلدة يقف عليها. كما أتمنى أن تسهم توضيحاتي أيضًا في دغدغة بعض مواطن اللاشعور لديه وأن يحن إلى أيام الصبا وإلى تسامح وبراءة دين آبائه، وان لا يحمّل أبناء الإيزيدية من الويلات والمآسي أكثر مما تحملوه!

عودًا على بدء، لو صدرت المقالة بهذا التشويش وتلك المغالطة من إنسان غريب: (سوداني، يمني، مغربي...) لقلنا إنه يجهل تمامًا الديانة الإيزيدية، ولو صدر المقال من صحفي (انظر جريدة أكتوبر المصرية، العدد 1295 في 19/ آب/ 2001) لقلنا إن الصحفي والصحيفة يريدان الإثارة وجلب الانتباه وكسب الشهرة. ولو صدر المقال من كاتب ينتمي إلى دين غير الإيزيدية، لقلنا إنها النظرة الضيقة والتعصب الديني... لكن أن تصدر المقالة من مثقف كان ينتمي إلى وقت قريب للدين الإيزيدي،

(١٤) حُرِّر في كوتنكن بتاريخ ٣١/ آب /٢٠٠٢. وهو تعقيب على مقال نزار آغري.

ففيه أكثر من علامة استفهام.

تتكون المقالة من ثماني صفحات من الحجم الكبير A4 وبضمنها المصادر. وفي مقاربته، يحاول السيد نزار طرح أسئلة واستكشاف زوايا- كما يسميها- ويؤسس مقالته على ثلاث محاور وعلى ما يقوله الآخرون في الإيزيدية أو على ما يقوله غلاة اليزيديين الآن- حسب تعبيره- عن دينهم. وهذه المحاور هي:

- الدين اليزيدي دين قديم يتصل بالزرادشتية، وهو لذلك سابق للديانات السماوية الثلاث.

- الدين اليزيدي دين كردي خالص.

- الدين اليزيدي توحيدي، أي يؤكد على وحدانية الله.

حقيقة، لو أردنا الدخول في التفاصيل والتعقيب على كل فكرة والاستنتاجات الخاطئة التي توصل إليها السيد نزار سنحتاج إلى المزيد من الوقت وعدد غير محدود من الصفحات. لو أن محرر المقال قد راعى الأسلوب العلمي في ربط الحقائق وليس اللجوء إلى الأسلوب الانتقائي لدعم آرائه المسبقة، لكانت درجة تعليقي وتوضيحاتي تأخذ منحى آخر. ولو كان السيد نزار على دين غير الإيزيدية، لكنا ناقشناه بطريقة مغايرة، فان نشر مقال بهذا الشكل على صفحات الإنترنت لا يدخل إلاّ تحت مفهوم "انتحار أو جلد الذات وحرق الآخرين" أو كما يقول المثل الدارج: "يا رب عليّ وعلى أعدائي!". وهنا باعتقادي تكمن خطورة خلفية المقال.

بعد القراءة المتأنية للمقال والمحاور التي أختارها السيد نزار آغري (عيد كوري من قرية كندورا بسوريا) لمناقشته، دفعني أن أصل إلى الاستنتاجات التالية والتي أتركها مدخلاً لمناقشاتي مع طروحاته:

1. أن الأرضية التي ينطلق منها السيد نزار، أرضية رخوة ومعرفته بعقيدة الإيزيديين وفلسفتهم وطقوسهم وتقاليدهم ونصوصهم الدينية، ضئيلة جدًا إن لم نقل معدومة. انه يجهل حركة التاريخ، وتاريخ الشيخ آدي الذي يتكلم عنه. يجهل الحالة الاجتماعية وطبقات وعشائر الإيزيدية وكأنه لم يعش يومًا بينهم. وليس بإمكانه نسج أفكاره بشكل واقعي.

2. يبدو أن لديه موقف مسبق لتشويه الدين الإيزيدي والإساءة إليه، أو أن مقالته هي ترضية للأصوليين الكرد الذين يكنّون الحقد لكل ما هو غير إسلامي. يقوم السيد نزار بدور الدليل الذكي في تشخيص بعض مواطن الضعف لدى الإيزيدية- حسب تصوره- على أنها إسلامية، هادفًا من ورائها القول: أن الإيزيدية فرقة إسلامية!

3. هذه المحاولة وغيرها التي تظهر في كراريس السيدين حمدي عبد المجيد وتحسين إبراهيم الدوسكي [١٥]، أو في الصحف وعلى شبكات الإنترنت وفي الندوات من قبل بعض "المثقفين" الكرد، التي تشكك في الدين الإيزيدي وأصوله القومية، ويدّعون أن ما يقوم به المثقفون الإيزيديون ومراكزهم، هو تبشير للدين الإيزيدي، رغم أنه ليس بدين تبشيري [١٦]. كما سمعت بنفسي من مثقف كردي سوري آخر (حليم يوسف) في نفس الندوة "لا يمكن اعتبار الأدب الديني الإيزيدي ضمن الأدب الكردي!". إن دلّت هذه المواقف على شيء فإنما تدل على ضيق الأفق، وتدخل، شئنا أم أبينا، ضمن خانة تصعيد النبرة الأصولية وألحاق الضرر بالقضية القومية الكردية.

4. وتأكيد على ما ذهبت إليه في النقطة الثالثة، فأن أغلب مقالات السيد آغري، سواء المنشورة في جريدة المؤتمر أم غيرها من الجرائد العربية والكردية التي أطلعت على قسم منها، تعكس روحية الإساءة إلى رموز الأدب الكردي ورموز الدين الإيزيدي مع التفسير الكيفي لبعض العادات والطقوس، أذكر بعضًا من تلك المقالات: التعرض إلى شخصية الشاعر والفيلسوف الكردي أحمد خاني _ التعرض إلى الشاعر الشعبي والوطني جكرخوين، في جريدة المؤتمر التي تصدر في لندن، مع الأسف لم أتذكر عنوانهما الكاملان وعدد وتاريخ الجريدة. مقال تحت عنوان: "خندق الحروف... صياغة الأبجدية الكردية [١٧]. هجوم وتشكيك بمواقف جلادت بدرخان لاستخدامه الحروف اللاتينية في مقال تحت

(١٥) حمدي عبد المجيد وتحسين إبراهيم الدوستكي، اعتقاد أهل السّنة والجماعة، مكتبة الغرباء الأثرية/ السعودية ١٩٩٨.

(١٦) جان دوست في الندوة العلمية للأدب الكردي، برلين ٢٨-٢٩ / ٤ /٢٠٠١.

(١٧) جريدة المؤتمر، العدد ٣٠٠، في ٢٠-٢٦/ ٤ /٢٠٠٢.

عنوان: "الخلطة الأيديولوجية؛ هل يتحول الشعر إلى شتيمة" [١٨] فيه تهجَّم على الشاعر الوطني المعروف بمواقفه المبدئية عبد الله به شيو. ومقال آخر تحت عنوان: "تحريم زواجها من غير طبقتها يقودها إلى العنوسة. مهر الفتاة اليزيدية يلاحق شبان الطائفة في مهاجرهم" [١٩]. وقد تم الرد على المغالطات الواردة في ذلك المقال من قِبل الكاتب عيدو بابا شيخ [٢٠]. وأخيرًا ما تم نشره في مجلة الإنترنت: "الشيخ عدي والملك طاووس". يلاحظ أن القاسم المشترك بين جميع تلك المقالات ليس تقديم الجانب العلمي الإبداعي، بل الإساءة للرموز القومية الكردية والدينية الإيزيدية.

المتتبع لمجموعة مقالات السيد آغري (عيد كوري) تأخذه الحيرة ولا يدري إلى أي موقف فكري يستند أو أية قومية وعقيدة دينية أو مدرسة دينية ينتمي! على أي مبدأ يستكين!.. هل هو قومي، أممي، علماني، متدين أم ملحد؟... شخصيًا لم أفهم منه غير براعته في صياغة الجمل والعبارات، تشويش وعدم رؤية في الأفكار، ونبرة عالية في التحدي ولذة في التهجم وعدم تقبل الآخر.

يستهل السيد نزار مقالته "الشيخ عدي والملك طاووس" بالفقرة التالية: "مع انبثاق موضة الأصوليات الدينية (وغير الدينية) والرغبة في الانكفاء إلى الوراء وتمجيد الأوابد والتنقيب في التراث عن أشياء مفقودة، انصرف عدد من المثقفين الكرد إلى محاولة استخراج الدين اليزيدي من كهف العزلة ونفض الغبار عنه وتقويم أضلاعه بحيث يصير قادرًا على الوقوف وقوفًا يؤهله لاحتلال موقع تحت شمس الأديان الكبيرة" ص1.

يمضي ويقول في نهاية الفقرة الثالثة: "ولهذا فقد طفق المؤلفون يحشرون في السطور كل شيء تصله أيديهم وشرعوا يزينون الدين اليزيدي بزخارف من كل صنف ويرجعون اليزيدية إلى أصول هي من القدم في التاريخ بحيث يظهر وكأنه أول دين صنعته البشرية لنفسها". ص1.

(١٨) جريدة المؤتمر، العدد ٣٠٧، في ١٥/ ٦/ ٢٠٠٢.

(١٩) جريدة الحياة، العدد ١٤٠٥، في ٤/ ١١/ ٢٠٠١.

(٢٠) مجلة روز، العدد ١١&١٢، أيار/ ٢٠٠٢.

بالرغم من أن جميع الأديان، في إحدى جوانبها، تقوم على المشاعر والوجدان وتنظر إلى ما وراء الطبيعة، أي العالم المقدس، ولديها رؤيتها الميتافيزيقية لكثير من جوانب الكون والخليقة... هذا صحيح وليس اعتراض عليه، إلاّ أن حشر الإيزيدية في خانة الأصولية- بمعناه الضيق- باعتقادي فيه إجحاف وليس دقيقًا. الأصولية الدينية التي نعيشها اليوم بمفاهيمها وطروحاتها في العديد من بقاع العالم، ليس فقط تمجيد الأسلاف والحنين إلى الماضي والالتزام الأعمى بالنص، بل يتجاوزها إلى نفي الآخر وعدم تقبل الرأي المقابل وفرض مفاهيمها ومعتقداتها عن طريق العنف... الخ. فهل الإيزيدية، الديانة غير التبشيرية أصلاً، تحمل هذه البذور؟! وإذا كانت الإيزيدية تتعلق بماضيها ورموزها، ليس إلا محاولة منها في الحفاظ على ديمومتها وتماسكها وللتصدي للأصولية المنفلت من عقالها. كما أنه ليس من الحكمة والإنصاف أن نقارن أديانا تعد بالمليار من البشر مع دين، أو أقلية دينية، لا تصل عدد معتنقيها المليون نسمة.

من هذا المنطلق يمكن تقييم مواقف الدين الإيزيدي والنظر إلى تاريخه، وطقوسه، وتراثه الأدبي والروحي. وإذا كان الإيزيديون قد قاوموا، أو لنقل تحملوا، العشرات من حملات التنكيل والإبادة المنظمة على مرّ العصور من الأديان المتسلطة، ألا يعتبر السيد نزار تلك المقاومة والتحمل وقوفًا ولم يفقد الإيزيديون موقعهم تحت الشمس!.. ولو كانت الإيزيدية حقًا فرقة إسلامية، فلماذا قامت ضدهم كل فروض التأديب تلك!.. صحيح فقط أن الإيزيدية لم تنضو تحت شمس الأديان الكبيرة ولم تذوب فيهم!

وهل يعتقد السيد نزار ان المثقفون الإيزيديون والمؤلفون الآخرون "يحشرون في السطور كل شيء تصله أيديهم ويشرعون بتزيين الدين الإيزيدي بزخارف من كل صنف..." أم ان معلوماته الشحيحة أوصلته إلى هذا الاستنتاج وكأن المثقفين الإيزيديين يبغون تأسيس دين على مرامهم!!

ندعو السيد نزار وكل من يشك بكينونة الدين الإيزيدي أو بعراقته، أن يتحلى بقليل من الصبر ويتابع معنا هذه العقيدة من خلال بعض طقوسها وأدبها الديني، ألا سيجده بالفعل مرآة تعكس من خلالها عادات

وطقوس ورموز وعبادات متنوعة للديانات الشرقية، على سبيل المثال لا الحصر: قصة التكوين والخليقة لدى الإيزيديين ومن خلال نصوصها الدينية (قول زه بوونى مه كسور، قول شيخو به كر، قولى ئافه رينا دنى، قولى شيخ وئاقوب، قولى قه نديلا، قه ولى ئيمانى، قه ولى عه ردو عه زمان، قه ولى هه زارو ئيك ناف...) تذكرنا بقصة الخليقة السومرية والبابلية ولدى اليهود. وأسماء الملائكة (عزرائيل، جبرائيل، ميكائيل...) لدى الديانات اليهودية، المسيحية، الإسلامية والإيزيدية هي واحدة، إلاّ انه إلى جانب ذلك فان عالم الملائكة ورؤسائهم، وملائكة الخير والشّر، تعود بأفكارنا إلى بلاد فارس وإيران. أما رمز الثور في النصوص الدينية الإيزيدية يذكرنا بثيران آشور وميثرا. كما أن رمز السمكة عند الإيزيدية يذكرنا هو الآخر بقصة النبي يونان. أرباب (خودان) الإيزيدية المتمثل في 40 سلسلة من عائلات الشيوخ و40 سلسلة من عائلات الأبيار (جمع بير)، يذكرنا أيضًا بأرباب المدن السومرية والبابلية والآشورية وكذلك تقديس الأجداد عند الشامانيين. تقديس الإيزيدية للشمس والقمر والنار والنور ليست بعيدة عن تقديس تلك العناصر عند الديانة الزرادشتية والميثرائية والهندوسية وعند الكثير من الشعوب الشرقية. ومعلوم أن أسماء مثل (زمزم، عرفات، مكّة، القدس والخليل، إبراهيم الخليل وابنه إسماعيل، فرعون، النبي زكريا، والأنبياء موسى، عيسى ومحمد... الخ) ترد أيضًا في النصوص الدينية باعتبار أن الإيزيدية لا تكره رموز الأديان الأخرى.

إضافة إلى ذلك فإن هنالك طقوس مشتركة بين الإيزيدية وغيرها من الأديان كاليهودية والمسيحية: كالتعميد والختان وتحريم بعض الأكلات، إلاّ ان الذي يميز الإيزيدية عن غيرها، بل تعتبر من خصوصياتها، هو أكثر بكثير مما تجمعها مع المعتقدات الأخرى. ولضيق الوقت سأحاول حصرها في العناوين الرئيسية التالية:

1. الإيزيدية ديانة توحيدية وليست ثنائية كما يشاع عنها خطًا، وتعتقد ان قوة الخير والشّر مصدرهما واحد؛ أي إن الإيزيديين يؤمنون بالإله الواحد الأحد حسبما يؤكده أدبهم الديني؛ إلاّ أنهم إلى جانب ذلك يؤمنون أشد الإيمان بـ "طاؤوس ملك" ويعتبرونه رئيسًا للملائكة ونور الله ورمزًا للخير ومسؤولاً عن الكون.

2. الإيزيدية ديانة غير تبشيرية؛ بمعنى يولد الإنسان الإيزيدي من أبوين إيزيديين، ولا تقبل في صفوفها من كان على دين آخر، ويصبح مطرودًا- رجلاً كان أم امرأة- من تزوج من أتباع ديانة غير إيزيدية، حتى إن الإيزيديين أنفسهم لا يتزاوجون جميعهم فيما بينهم، بل توجد ست مجموعات زواج متباين.

3. تعتقد الإيزيدية بوحدة الوجود وأن المادة والروح متلازمان منذ الأزل، ولا يثار لديهم سؤال: أيهما الأولى، الروح أم المادة؟! لأن كلمة (خودى- خودايى) تعني الذي خلق نفسه بنفسه. وكلمة (إيزيدي- أزدايى) تعني عباد الله.

4. الديانة الإيزيدية ديانة غنوصية؛ حيث يتم التعّرف إلى الله والتقرب منه عن طريق القلب" المشاعر" والعقل، بمعنى أن العرفانية والصوفية تلعبان دورًا مهمًا ولذلك لا تحتاج الإيزيدية إلى نبي أو رسول يدلهم على خالقهم.

5. تقول الإيزيدية أن لله (1001) ألف اسم واسم، وأحيانًا (3003) ثلاثة آلاف وثلاثة أسماء؛ أي أنه يتجلى بأشكال وصفات عديدة.

6. تعتقد الإيزيدية بتناسخ الأرواح، وأن الروح خالدة لا تموت. وبسبب اعتقادها هذا فأنها إلى جانب احترامها لرموزها وشخصياتها الدينية، تحترم بعض رموز وشخصيات الأديان الأخرى.

7. تعتقد الإيزيدية بوجود عالمين: عالم مرئي وهو الفاني، وآخر غير مرئي وهو طاهر وباقي.

8. تنظر الإيزيدية لحد اليوم بعين التقديس والاحترام إلى الشمس والقمر وبعض مظاهر الطبيعة الأخرى.

9. تعتبر الإيزيدية (الماء- الهواء- التراب والنار) العناصر الأربعة المكونة للكون والخليقة.

10. بعض أركان الديانة الإيزيدية: التعميد- الصوم- الختان- الزواج المغلق.

11. فرائض الديانة الإيزيدية هي خمس: أن يكون لكل إيزيدي: شيخ- بير- مربي- أستاذ وأخ أو (أخت) الآخرة.

12. تمتاز الإيزيدية بوجود نظام تراتبي وهرمي ديني.
13. تلخص أهم محرمات الديانة الإيزيدية بثلاث:
أ- شرعت: أي عدم الزواج من بقية الأديان.
ب- طريقت: عدم زواج الإيزيدي من عائلة شيخه أو بيره أو مربيه.
ج- دربا خه رقه ى: عدم المساس بقدسية "الخرقة"، وعدم ضرب وإهانة من يلبسها.
14. الممنوعات: تشمل عدم أكل بعض اللحوم أو النباتات أو ممارسة بعض العادات مثل حلق الشوارب أو التبول وقوفًا أو البصاق على الأرض أو لبس اللون الأزرق. (٢١)

هل يعقل من الناحية النظرية والعملية أن تأتي شخصية ما، مهما كانت عبقرية وملمة بأديان العالم، مثل الشيخ آدي "أبو الديانة اليزيدية ونبيها الأوحد"- حسب رأي السيد نزار ص-2 وينتقي القضايا التي أشرت إلى قسم يسير منها، ويؤسس دينًا خاصًا ومتميزًا؟!

الشرط الوحيد لمثل هذه الحالة وبالمواصفات التي ذكرتها، لا بدّ من وجود مجموعة بشرية، كأن تكون مجموعة قبائل وعشائر، أو قومية، أو سميها ما شئت، تحمل تلك المعتقدات. ومن الطبيعي أيضًا أن تتأثر تلك المجموعات البشرية بمعتقدات بعضها البعض إذا كانت في علاقة الجيرة، أو في حال الحروب وإخضاع المجموعات الضعيفة عدديًا للأقوى منها. وفي حالات كثيرة فإن الظروف البيئية والمناخية المتشابهة، وإن كانت متباعدة، تخلق عبادات وطقوس متشابهة؛ مثلاً تقديس الشمس كانت منتشرة في إيران، وادي الرافدين، مصر القديمة ودولة سبأ عندما كان سد مأرب مصدرًا لإرواء الأراضي الزراعية.

إن إصرار آغري ربط تأسيس الديانة الإيزيدية بالشيخ آدي (-1078 1161م) وإرجاعه للعائلة الأموية وكونه نبي الإيزيديين، نابع من عدم إلمامه بهذه الديانة كما أشرت إليه في مكان سابق، ثانيًا: إظهار الإيزيدية كفرقة إسلامية ضالة لا ترجع تاريخها إلاّ إلى القرن الثاني عشر!

(٢١) مقال لي تحت عنوان: «المعتقد الأيزيدي كدين شرقي قديم، والصراع الثقافي في المهجر». ألقي كسمينار في منظمة زوزك ببرلين ٢٠٠٢/٦/٢٣.

الشيخ آدي بن مسافر ليس بنبي ولا بمؤسس الديانة الإيزيدية، بل مجددها، ولولا الضوابط والتعاليم التي رسمها لهم في تلك الحقبة من صراع الأديان والمذاهب، ولولا تقبله ولو شكليًا لبعض العقائد الإسلامية من باب التقية، لذابت الإيزيدية فعلاً في الإسلام ولم نكن نلمس عنهم من أثر اليوم! فالشيخ آدي هو الذي رص صفوف الإيزيديين وأعاد تنظيمهم روحيًا واجتماعيًا بفضل علمه الغزير ومعرفته الواسعة وكراماته وقوة تأثيره، ووصلهم إلى برّ الأمان ليومنا هذا وعليه احتل مكانته العظيمة بين الإيزيديين ونظروا إليه بعين التبجيل وأصبحت العديد من الطقوس والرموز باسمه، مثل: (طاووسا شيخادى، قه واليت شيخادى، مالا شيخادى" لالش"، جلى شيخادى...)

ولم يكن هذا الشيخ الكبير، رغم ولادته في بيت فار- شوف الأكراد- بعلبك، غريبًا عن أهله وجذوره وانتمائه القومي وجبله الشامخ (هكار)، (راجع بهذا الشأن: الشيخ آدي بن مسافر... بين سندان الحقيقة ومطرقة الكتّاب، بقلم صقر شنكالي، مجلة لالش/ دهوك، العدد17، كانون الثاني/ 2002). حتى أن اسم والد الشيخ آدي (مسافر) يوحي أنه ليس اسمًا، بل صفة، أي (المهاجر)، لكن من أين؟ بالطبع لقبه (الهكاري) يجيب عن السؤال. فإن الاحتمال الكبير والمنطقي يدور حول سفر أو هجرة أجداد الشيخ آدي في زمن يعتقد أنه ليس بالبعيد، من منطقة (هكار) إلى الشام والاستقرار في منطقة بعلبك حيث ولادة الشيخ آدي والذي يعرف ليومنا هذا بـ "شوف الأكراد". وليس صدفة أن يردد الكرد ليومنا هذا في إحدى أمثالهم الشعبية: (شام شه كره، وه لات شيرينتره= ما معناه: بلاد الشام حلوة أما الوطن فأحلى!) أليس هذا حنين إلى الوطن وأرض الأجداد؟... إلاّ أن السؤال: متى ولماذا تمت هذه الهجرة ولماذا من هكار إلى الشام؟ فهذا ما يحتاج إلى المزيد من البحث والتنقيب. وأن آراء بعض الكتّاب الذين يقولون إن (أحمد) كان اسم والد الشيخ عدي وكان من الأكراد التيراهية، رأي ليس نابع من فراغ وينبغي ألا يهمل عند دراسة حياة وظاهرة الشيخ آدي.

ولو كان الشيخ آدي مسلمًا ومتصوفًا عربيًا- حسب رأي السيد نزار وغيره من الكتّاب- وقدم إلى معبد لالش هربًا من ملاحقة العباسيين

لآل البيت الأموي واحياء خلافتهم (تم أول مبايعة أبو العباس السفاح عام 132هجرية، فأبو جعفر المنصور عام 137 هجرية)، أي أن هنالك حوالي 200 سنة بين استلام العباسيين للخلافة ومجيء الشيخ آدي إلى لالش. إذن نظرية هروب الشيخ آدي من العباسيين وإحياء الخلافة الأموية بعد مائتي عام، نظرية مشكوك فيها، غرضها الإساءة لمكانة الشيخ آدي.

وإذا كان الشيخ آدي يبحث لنفسه عن المجد الشخصي ويتنكر لدين آبائه، لماذا "يسير ذكره في الآفاق ويتبعه خلق كثير ويتجاوز اعتقادهم فيه الحد الذي جعلوه قبلتهم التي يصلون إليها وذخرهم في الآخرة التي يعولون عليها (...) وينقطع إلى جبل الهكارية من أعمال الموصل، وتبني له هناك زاوية، ويميل إليه أهل تلك النواحي كلها ميلاً لم يسمع لأرباب الزوايا مثله" (ابن خلكان: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، المجلد3، ص415)

نقول إذا كان "مسلمًا ومتصوفًا عربيًا "كيف يحتل بهذه السهولة مكانته وشهرته بين أهل تلك النواحي كلها- حسب شهادة ابن خلكان- وكيف يقبلون تعاليمه دون ردّ فعل يذكر، إذا لم يكن هنالك نسيجًا روحيًا يربط تعاليم الشيخ آدي مع عقيدة أهل المنطقة التي عاد اليها. وبشأن مكانة الشيخ آدي في نص ديني في غاية الأهمية، يمكن مراجعة كتابي: "نحو معرفة حقيقة الديانة الإيزيدية، طبعة السويد، رابوون 1998، ص265".

ظاهرة التصوف ظهرت قبل الإسلام، وهي تتصل بشكل قوي بالأديان الهندوسية والزرادشتية والمانوية والبوذية وكذلك الإيزيدية، وأن الإسلام الأصولي يحارب ظاهرة التصوف ويعتبره هرطقة وكفر وإلحاد. ودخلت هذه الظاهرة إلى الإسلام من خلال الشعوب الهندو إيرانية التي انضوت تحت لواء الإسلام في فترة الغزوات وفتح البلدان بقوة السيف وإجبار معتنقي الأديان الأخرى الدخول في الدين الجديد. وما أن ملأت بيوت مال المسلمين وخزائن الخلفاء والولاة والأمراء من أموال ومجوهرات بلاد فارس وسمرقند وبخارى والهند والصين شرقًا إلى إسبانيا غربًا وبلاد الروم شمالاً، وهدأت صهيل الخيول وصليل السيوف في عهد الخليفة

الأموي عمر بن عبد العزيز (720-681م)، الذي دعا إلى الإصلاحات الإدارية والمالية والدينية وترتيب البيت الإسلامي، برزت بين الشعوب والقوميات غير العربية شخصيات ورموز تحن إلى معتقدات وطقوس أجدادها التي تحمل البراءة وتعشق الطبيعة وتشّد الفرد إلى السّماء من دون وسيط ولا نبي يدلهم إلى خالقهم؛ ما دام الخالق قد أهداهم، أو ترك عندهم وكيله المسمى" العقل" بحيث يتمكنون بواسطته البحث عن الحقيقة الإلهية وحقيقة الوجود والعدالة وتمييز الخير والشّر عن بعضهما... الخ.

نعم بين القوميات غير العربية ظهرت رموز كبار المتصوفين أمثال: الحسين بن منصور الحلاج (922-828م) من عشيرة حلاجيان بكردستان إيران، الشيخ عبد القادر الكيلاني (ت 561هجرية/ 1166م)، إبراهيم بن أدهم" براهيمى ئاده ما- مير براهيم" في الأدب الديني الإيزيدي (ت 161هجرية/ 778م) أصله من مدينة بلخ، شهاب الدين السهروردي (ت 587هجرية/ 1191م) اتّهم بالإلحاد وقتل في حلب. الشيخ بايزيد البسطامي، جلال الدين الرومي (1273-1207م)، فريد الدين مسعود (1265-1175) ولي صوفي هندي جشتيّ، يؤمه المسلمون والهندوس والسيخ. الشيخ أدي بن مسافر (1161-1078م) هكاري الأصل. فريد الدين العطّار (ت 1230م)، شمس الدين التبريزي، قضيب البان الموصلي (ولد بالموصل عام 1078م) وهو كردي من قرية تربه سبي/ القوش.

وكان لأولئك المتصوفة الكبار رؤاهم حول الخالق والكون، ومفهوم الخير والشّر، والأخلاق والنصوص الدينية والعديد من المظاهر الاجتماعية، التي ربما لا تتفق مع مفهوم الشريعة، لذا وصفت أفكارهم بالكفر والإلحاد. وتعتبر حركة التصّوف من جانب آخر حركة اجتماعية ضد الواقع الفاسد، ومن أجل العدالة والقضاء على الفقر والجشع لدى المتنفذين.

حينما يأتي كاتب أو باحث ما، ويضع مسبقًا منهجًا خاطئًا أمامه، أو يضع تصورًا غرضه الإساءة في مخيلته، فأنه يحاول وبكل السبل لوي الحقائق واجتثاث ما يشتهيه من العبارات الواردة في النصوص لدعم

منهجه، دون دراسة الظاهرة من جميع جوانبها. وهذا ما فعله صاحبنا آغري، حيث يقول وبكل بساطة وبدون عناء بحث، في الفقرة الأخيرة من ص3 ما يلي: "ليس هنالك ما يدحض مقولة انبثاق اليزيدية من بطن مذهب صوفي إسلامي أذاعه ورسخه الشيخ عدي بن مسافر" يأتي بعدها ليدلل على "استنتاجه الذي لا يدحض" ويستشهد ببعض المقولات والكلمات المتشابهة بين النصوص الإيزيدية والإسلامية، مثلاً: "دعاء شهادة الدين، دعاء الفجر، دعاء الصبح"...

إن دلّ هذا على شيء، فإنما يدلّ أن الكاتب لا يرى في التاريخ والجغرافيا والفكر غير قطع جامدة، لا تؤثر ولا تتأثر بما حولها. أو أن كل اللغات، الأديان، الثقافات، القوميات، الحضارات، هي مفاهيم صافية مائة بالمائة. ألم يتأثر الدين اليهودي ومعه المسيحي، بما سبقه من أديان سواء من الشرق أو من الغرب؟... ألم يتأثر بأديان وادي الرافدين وإيران ومصر القديمة؟!.. ألم يتأثر الدين الإسلامي بالدين اليهودي والمسيحي والزرادشتي وأديان شبه الجزيرة قبل ظهور الإسلام؟ راجع القرآن، وعشرات بل المئات من كتب التفسير وأبحاث أساتذة مرموقين، مثل: د. سيد القمني، فراس السواح، خليل عبد الكريم، د. ميخائيل مسعود، د. فاضل عبد الواحد، رسائل أخوان الصفاء، الخ، ستجدها حبلى بثقافات جيرانها! وآلا تعتبر اللغة العربية نفسها من أصل آرامي!

ويتساءل آغري مستغربًا: ولا يعقل أن تكون هذه الآلهة قائمة قبل الإسلام" (الفقرة الأخيرة من ص4)، إذا كان قصده أسماء الآلهة السبعة: (عزرائيل، ميخائيل، جبرائيل...) فأنها أسماء عبرية، وتقول بعض المصادر أنها بالأصل إيرانية (إيل- ئيل)، أما إذا كان قصده أولياء الإيزيدية الصالحين ك" الشيخ حسن، الشيخ فخر الدين، الشيخ شمس، البير حسن ممان، البير جروان، بير إيسبيان... الخ) فإن الإيزيديين يطلقون عليهم لقب "خودان- أي الأرباب" ما يقابلهم عند اليهود "الأنبياء" من كلمة نبأ- يتنبأ، مثل (يونان ويونس وأيوب وسليمان...) وعند المسيحيين "القديسين" وعند المسلمين الشيعة "الأئمة "المعصومين من الخطأ وعلى رأسهم اثنا عشر إمامًا.

وبما إن الإيزيديين يؤمنون بوحدة الوجود وخلود الروح وبمبدأ تناسخ الأرواح، فأنهم يؤمنون بأن جزءًا من السّر الإلهي ينتقل عبر جميع الأزمان وفي أماكن مختلفة إلى أناس صالحين، وعليه فإن للسّر والكرامات عندهم قوتان مصدرها في السماء وظلها على الأرض... فإذا كان الإسلام يؤمن بهذه الفلسفة ويحمل تلك الأفكار، حينها يمكن المناقشة والبحث عن المصدر: أيهما الأصل وأيهما التابع. لكن حسب معرفتي المتواضعة، الإسلام لا يؤمن بتناسخ الأرواح ولا بخلود الروح، بل بموت المرء ترجع الروح إلى باريها وتبقى إلى يوم القيامة!

وكون مقال السيد آغري مليء- مع الأسف- بالمغالطات والتفسير الانتقائي للأحداث والظواهر، ومحاولة الحط من قيمة هذه الديانة والإساءة إليها، سأحاول ترتيبها على شكل رؤوس نقاط مع إبداء بعض التعليقات والتوضيحات السريعة:

يقول في الفقرة1، من ص5 "ولبثت اليزيدية ديانة عشيرة أو بضعة عشائر كردية رعوية فبقيت بدائية وامتلأت بالخرافات وتسربت إليها طقوس وقناعة غريبة وطريفة" ويضيف: "اليزيدية بقيت محصورة في بقعة محددة من الجبال الكردية الواقعة في كردستان العراق.ص7" و"لا تشمل اليزيدية سوى جماعة معينة من الأكراد وهي التي انحدرت من العشيرة الهكارية التي لجأ إليها الشيخ عدي (...) ولا يوجد يزيديون من خارج هذه الجماعة (يقصد العشيرة الهكارية) ولو كانت اليزيدية دينًا كرديًا قديمًا لتحتم وجود يزيديين في صفوف السوران أو الهورامان أو الزازا أو اللور. ص7" .

في الفقرة الثانية من ص5 يقول: "وإذا استثنينا الشيخ عدي لا يتبقى من الدين اليزيدي أي محطة مهمة ولا يعرف المرء شيء عن شيوخ (آلهة اليزيديين) الذين ترد أسماؤهم في نصوصهم الدينية."

ألم يبتدأ النبي محمد بن عبد الله "دعوته بأقرب الناس إليه، ممن تجمعه بهم صلة شخصية كان يقدر بسببها عدم المخاطرة واحتمال التأييد. فعرض على خديجة زوجته ثم على ابن عمه عليّ وربيبه فخادمه زيد بن حارثة ثم صديقه الحميم أبو بكر. وكان هؤلاء الناس أول الناس

إسلاما [٢٢]. أي أنه بدأ دعوته بين قبيلة قريش أولًا ومن بعدها انتشرت بين قبائل الجزيرة العربية. ألم يخرج النبي عيسى بن مريم من رحم الدين اليهودي، يدعو إلى إصلاحه وتقويمه؟ ألم تبدأ الديانة الزرادشتية بشخص النبي زرادشت الذي نشر دعوته هو الآخر في محيط منطقته أورميه أولاً لينتشر بعدها إلى دول أسيا المجاورة؟... وهذا هو الحال مع معظم الأديان التي تبدأ بشخص وتنتشر ضمن نفر قليل فالعشيرة إلى أن تتخطى حدود تلك العشيرة إلى العشائر والقبائل الأخرى، أو ما نطلق عليه اليوم اسم "القومية" إلى أن تكبر الدعوة وتتجاوز الحدود القومية الواحدة إلى القوميات الأخرى؛ بمعنى تتحول الدعوة" الدين" حينها من دين محلي إلى "انترناشيونال" ان صح التعبير.

ليس فقط العشيرة الهكارية تدين بالديانة الإيزيدية- كما يتصورها آغري- بل هنالك المئات من العشائر الإيزيدية بضمنها العشيرة المروانية- الشرقية التي ينتمي إليها آغري نفسه. (بشأن العشائر الإيزيدية يمكن مراجعة كتابي: نحو معرفة حقيقة الديانة الإيزيدية، الصفحات 223 - 241، وكذلك كتاب صديق الدملوجي: اليزيدية، بغداد 1949، ص 224 - 260) خلافًا لقول السيد نزار، يعيش الإيزيديون ليس فقط في كردستان العراق وإنما يعيشون في كردستان تركيا وسوريا وكذلك في جمهورية أرمينيا وجورجيا ومجموعة قرى في كرمين بمنطقة كرمنشان/ إيران. وتعيش حاليًا جالية (مهاجرين ومهجرين) كبيرة في أوربا وأمريكا وكندا وأستراليا، ويقدر عددهم في ألمانيا فقط ما بين (50-45) ألف نسمة. ورغم عدم وجود إحصاء رسمي في الدول التي يعيشون فيها، إلاّ أن التقديرات تشير إلى وجود حوالي (نصف مليون) في العراق، يتوزعون على أقضية: الشيخان "عين سفني"، سنجار، تلكيف، زاخو سميل، و"الشيخان بكيون" في مناطق أربيل، حيث كانوا قبل أقل من 150 عامًا على الدين الإيزيدي [٢٣]. وربما (عشرون ألف) في سوريا، وأكثر من هذا العدد في تركيا سابقًا، ومن الصعب تحديد رقم لنفوسهم في كل من أرمينيا وجورجيا.

(٢٢) راجع هادي العلوي: فصول من تاريخ الإسلام السياسي، مركز الأبحاث والدراسات الاشتراكية في العالم العربي، نيقوسيا- قبرص ١٩٩٥، ص٢٣.

(٢٣) خدر سليمان وسعد الله شيخانى: شيخان وشيخان به كى، به غدا ١١٩٨.

لتصحيح المعلومات عن الخارطة الجغرافية لتوزيع الإيزيدية خارج "البقعة المحدودة من الجبال الكردية الواقعة في كردستان العراق" –حسب قناعة السيد نزار- أدعوه أن يجهد نفسه ويراجع المصادر التاريخية التالية ليدرك أن ما ذهب إليه لا يستند إلى حقائق علمية وواقعية:

• شرفخان البدليسي: في كتابه "شرفنامه" وفي بحثه عن إمارة "حصن كيفا" وعن عشيرة الجيلكي التي يقوم أنهم "العشيرة الجيلكية اليزيدية" إحدى الثلاث عشر عشيرة التي كانت تخضع لهذه الإمارة. وكذا الحال لعشائر بلكان وداسكان. وبحثه عن إمارة السليماني وإمارة المحمودي والدنبلي (نفس العشيرة التي ينتمي إليها الزازا على دين العلي إلهي) وكليس وأمراء الجزيرة وحلب وعن عشائر بيسان في إمارة قلب وباطمان وعن عشائر نيوتوكان، شورش، هيودل وكوركيك من إمارة عزيزان.

• محمد أمين زكي: خلاصة تاريخ الكرد وكردستان (ص424) عن عشيرة داسيكان، وشرقيان، ماسكي، دنا...

• صاحب السلوك لمعرفة دول الملوك في وقائع سنة 817هجرية عن العشيرة الصحبية اليزيدية.

• ابن بطوطة: في سياحته، عن عشيرة "كوتاهيه"- هكذا سماهم- في قره حصار، وقد أراد ابن بطوطة بهم "الكرميان" أو أولاد "قره مان" الذين أسسوا دولة على أنقاض دولة سلاجقة الروم عام 871هجرية دامت نحو 171 سنة ثم انقرضت على يد سلاطين آل عثمان بعد حروب ذكرها التاريخ (راجع بهذا الشأن: الدملوجي، صديق، مصدر سابق ص253)

• أوليا جلبي: سياحتنامه؛ عن عشائر البابرية والشقاقية (شكاك) والميران (الآن عشيرة مسلمة). والعشيرة البابرية كانت تسكن مناطق شهرزور، والشكاك يسكنون الآن غربي بحيرة أورميه وملازكرد وموش. وكانت تسكن قسم منها مناطق سنجار وأخرى في ناحية فنك قرب جزيرة ابن عمر.

• كتاب غرائب الأثر في حوادث سنة 1214 هجرية عن عشيرة

السيفانية أو السليفانية في مناطق زاخو (الآن عشيرة مسلمة) إضافة إلى "الصارلية" على نهر الخازر، وهم الآن على دين "أهل الحق أو العلي الإلهية" والذين يرجعون إلى العشيرة الدنانية.

• عشيرة الكيبارية في سنجار. وكذلك عشيرة سيبكاني التي تسكن في شمالي بحيرة وان.

• السر مارك سايكس: تراث الخلفاء الأخير، عن عشيرة مامه ره ش ونجينان في لواء سعرد (سرحد)

• اليزيدية في بلاد الصوران "سهران" وإربل: كانت إمارة السوران وأربيل بيد الأمير اليزيدي حسين بك الداسني زمن السلطان سليمان القانوني.

ألا يكفي هذا العدد من أسماء العشائر التي كانت تدين بالديانة الإيزيدية وأنهم أسسوا إمارات خارج نطاق كردستان العراق، وكانت العشيرة الهكارية واحدة من بين تلك العشائر، والشيخ آدي رمزًا ومجددًا لتلك الأمجاد. وألا تعتبر كل ذلك محطات مهمة من تاريخ الإيزيدية؟!

قبل أن يصل السيد آغري إلى ما يريد قوله، أي "بيت القصيد" ترتفع عنده "الغيرة" ويحاول أن يسقط عن الإيزيديين آخر أوراقهم ويتركهم كائنات بشرية بدائية لا علم لهم ولا ثقافة، حتى أنه يشّك كون الإيزيدية ديانة! فيقول في الفقرة 3 من ص5: "لم تقم على ضفاف الدين اليزيدي أي إنجازات على الأصعدة الفكرية، الأدبية والفنية والفلسفية. ويفتقر كتاب مصحف رش والجلوة إلى العناصر الفنية وتبدو، مقارنة مع النصوص الدينية في الديانات الأخرى، ساذجة ومليئة بالركاكة والأغلاط". يمضي ويقول في نفس الصفحة: "ويتألف الفضاء النصي الإيزيدي من أدعية فجّة تمتلئ بالخرافات وتفتقر إلى التماسك والرصانة، فهي مجموعة منطوقات شفهية رتقت معًا من منابت عديدة، إسلامية وغير إسلامية، من غير ناظم."

رغم أن السيد آغري لم يناقش كتابي الجلوة ومصحف رش: على أنهما الكتابان الأصليان أم أن النسخ التي ظهرت بجميع اللغات العربية، الكردية، الألمانية والإنكليزية، هي نصوص غير أصلية قام بإخراجها بهذه الصورة أناس لا ندري بالضبط ماذا كانوا يقصدون من ورائها؟

من المؤكد كان للإيزيديين كتابان بهذين الاسمين كما هو مذكور في المصادر التاريخية الموثقة، لكن السؤال: هل يعقل أن يقدم عالمًا كبيرًا مثل الشيخ أدي، الذي يقول عنه الشيخ عبد القادر الكيلاني: "لو كانت النبوة بالمجاهدة، لنالها الشيخ عدي". أو هل يقدم عالمًا مثل الشيخ حسن بن عدي الثاني أبي البركات بن صخر بن مسافر، الملقب بتاج العارفين شمس الدين شيخ الأكراد، والذي قال عنه ابن شاكر الكثبي، في كتابه: فوات الوفيات، ج1، ص158 ما يلي: "وكان شمس الدين من رجال العلم رأيًا ودهاءً، وله فضل وأدب وشعر، وتصانيف في التصّوف، وقد اختلى ست سنوات صنف فيها كتابه "الجلوة لأهل الخلوة" أودع فيها عقيدته... "فهل يعقل أن يقدم عالمًا كهذا ويختلي كل هذه السنوات ويخرج بكتاب من عدة صفحات وبهذه اللغة الضعيفة والمعلومات السطحية؟... طبعًا كلا. بل الكتابان الأصليان قد فقدا أثناء حملات التنكيل التي كانت تجري باستمرار. وأن مشكلة السيد آغري أنه اعتمد على النص "الساذج والمليء بالركاكة والأغلاط" كما يسميها، ليأتي بعدها ويؤسس عليهما تصوراته حول ماهية العقيدة الإيزيدية.

لنترك الكتابان جانبًا كونهما مفقودان ولا يمكن الحكم على شيء وتقييمه وهو ليس في متناول اليد، إلاّ انه بالإمكان الحديث وبلغة الأرقام عن الموروث الروحي والفلسفي والتاريخي والأدبي الإيزيدي، الذي تم نشر قسم لا بأس به في الصحف والمجلات الكردية وفي كتب خاصة لمؤلفين كرد وأجانب. وتم تدوين القسم الآخر من ذلك الأدب بخط اليد أو على أشرطة وكاسيتات فيديو، أي تم أرشفته. وما يخص مجال عملي، فقد انتهيت من إعداد كتاب باللغة الكردية/ الحروف اللاتينية، تحت عنوان: "به رن ز ئه ده بى دينى ئيزديان- أي أوراق من الأدب الديني الإيزيدي" (940) تسعمائة وأربعون صفحة، موزعة على 15خمسة عشرة فصلاً، يحتوي على (157) نصً ديني يبحث في فلسفة وعقيدة الديانة الإيزيدية حول الكون والخليقة، دور ومكانة إبراهيم الخليل، حول رموز الديانة الإيزيدية خاصة الشيخ آدي، نصوص تعالج قضايا السايكولوجيا والأخلاق، نصوص حول وحدة الوجود والبحث عن الحقيقة الإلهية، إضافة إلى العديد من القصص الدينية والنصائح والحث على الخير والعمل الصالح والكثير من الشؤون الحياتية الأخرى.

علمًا أن غالبية هذه النصوص (أكثر من 98%) مكتوبة باللغة الكردية، تتلى وتلقن وتفسّر باللغة الكردية.

أدعو الأخ (عيد كوري) مستقبلا، إذا كان فعلاً شغوفًا بالعلم ومعرفة خبايا الأديان ومنها الدين الإيزيدي، أن يقرأ هذا الكتاب، ويحاول أن يعيد تقييمه للديانة الإيزيدية على ضوء معطيات لم تكن في متناول يده. في الإعادة إفادة، والتراجع عن الخطأ صفاء للضمير وخطوة للارتقاء نحو الأفضل.

• ربما لا يدرك السيد آغري لحد الآن أن عيد الأضحى وبئر زمزم (ص4) يرتبط باسم النبي إسماعيل ابن إبراهيم الخليل، والذي يرجع قصة ظهورهما قبل 1800ق.م حسب بعض التقديرات. كما أن بعض ثقات المؤرخين العرب المسلمين يؤكدون أن النبي إسماعيل هو أب عرب الشمال، العرب "المستعربة". و"المستعرب" تعني من أصل غير عربي، دخلوا الجزيرة وتعلموا لغتها وبمرور الزمن أصبحوا محسوبين على القبائل العربية. فمن أين جاءت عشيرة إبراهيم (أو أبراهام أو به رهيم)؛ جاءت من أور كلدان جنوب العراق كما ترويها بعض المصادر، أم رحل من أور حرّان (اورفه- الرها) بكردستان تركيا كما ترويها مصادر أخرى. يحتاج هذا الموضوع إلى المزيد من البحث ولا أخوض فيه الآن!

• ويقول آغري دون عناء بحث بتطابق طقوس الإيزيدية مع الدين الإسلامي، كالصوم والحج (ص4). صوم الإيزيديين وحجهم إلى لالش المقدس ثابت على مدار السنة لا يتغير، ويصادف أيام الصوم الرئيسية دائمًا، وهي ثلاثة أيام، الأسبوع الأول من شهر كانون الأول الشرقي (تتقدم السنة الميلادية بـ 13 يومًا على السنة الشرقية حسب تقويم الإيزيدية).

- عيد خدر والياس النبيان، يصادف دائمًا أول خميس من شهر شباط الشرقي.

- صوم أربعانية الصيف (13/ حزيران الشرقي إلى 20/ تموز الشرقي المصادف 25/ حزيران الميلادي إلى 3/ أب منه)

- صوم أربعانية الشتاء (13/ ك1 الشرقي إلى 20ك2 الشرقي المصادف 26/ ك1 الميلادي إلى 4/ شباط منه).

- إضافة إلى وجود صوم وأعياد محلية خاصة ببعض عشائر الإيزيدية ومناطق سكناهم، كعيد "الباتزمية- ميلميلاف- بيلندا) لعشائر الجيلكان، بداية كانون الثاني.

*لا أدري من أين جاء السيد نزار بمعلومة" ويقدس اليزيديون معاوية بن أبي سفيان (...) حتى أن أحد أمراء اليزيديين سمى باسم معاوية (ص6). ومتى كان محمد رشان شيخًا؟

القائمة تطول ولا أريد الدخول في التفاصيل المملّة، بل أريد أن أشخص "بيت القصيد" من مقال السيد نزار آغري والذي يعلنها دون لبس ولا غموض، حينما يقول: "والآن ماذا عن الزعم في كون الدين اليزيدي دينًا توحيديًا أي يؤمن بوحدانية الله؟ لا يحتاج المرء إلى كثير بحث كي يتأكد من بطلان هذه المقولة." (ص7) ويضيف: "في سعي من المثقفين اليزيديين إلى إظهار دينهم بمظهر عصري فانهم يمدون أيديهم للبساتين كلها لقطف ما تيسر من الثمار وإلحاقها باليزيدية." (ص7)

ان هذا الموقف ليس غير علمي وحسب، بل تحريضي نابع من نفس مريضة حقا. لا يمت هذا الموقف بصلة إلى شخص يعيش في هذا القرن ويدعو إلى التحضر والثقافة. يشم من هذا الموقف رائحة العصور المظلمة! انه يتبنى نفس الحجة التي استند إليها بعض شيوخ الإسلام في إصدار فتاواهم للإبادة الإيزيديين... لنشير إلى بعض تلك الفتاوى وحيثياتها:

أولى الفتاوى، كانت فتوى الشيخ أحمد بن مصطفى أبو السعود العمادي، عندما تولى منصب الإفتاء عام 952هجرية ولمدة ثلاثين عامًا في عهد السلطان سليمان القانوني.

- فتوى الإمام فخر الدين الرازي (544-606هجرية)
- فتوتان للشيخ عبد الله بن الشيخ أحمد بن حسن بن أحمد الزيزي الربتكي المعروف بالمدرس (1060-1159هجرية) آخر فتوى له كانت عام 1137هجرية.
- فتوى محمد أمين بن خير الله الخطيب العمري (1150-1203هجرية)
- فتوى الشيخ عبد الرحمن الجلي (نسبة إلى الكيلاني) من علماء كويسنجق.

- فتوى محمد ذخري بن أحمد الخياط.
- فتوى الإمام أحمد (241-164هجرية).
- فتوى الإمام السمرقندي (ت 373هجرية)
- فتوى الشيخ حسن الشيفكي. [٢٤]

وأباح بموجب تلك الفتاوى: "قتال اليزيديين وسبي نسائهم وذراريهم، والتصرف في ابكارهم وزوجاتهم بعد استبراء بملك اليمين على ما عليه الفتوى. وأن قتلهم حلال وهم أشد كفرًا من الكفار الأصليين وأن قتلهم من الواجبات الدينية واعتبرهم من المرتدين عن الإسلام." وقد ذكر في حيثيات الفتاوى: "بغضهم للإمام علي بن طالب والإمامين الحسن والحسين واستحلال قتل العلماء والمشايخ ورؤساء الدين والاستهزاء بكتاب الله المجيد، وتأليههم يزيد والشيخ عدي... الخ" [٢٥].

قبل أن أضع ملاحظاتي على هذه النقطة الحساسة والجوهرية والملتهبة، التي استخلصها السيد نزار آغري من مقالته، أود التأكيد أني أؤمن بالعقل والعدالة والمساواة وتآخي الشعوب والأديان، وإزالة كل مظاهر الظلم والاستغلال والحروب، قبل أن أؤمن بشيء آخر. كما أني أقف مع الحرية بمعناها الواسع، وسيان عندي أن يكون الشخص متدينًا أم لا يؤمن بدين. أن يترك دينه ويعتنق دينًا آخر، فهو حرّ. أن يتبنى أيديولوجية ما أم لا. أن يكون قوميًا أم أمميًا، أن يؤمن بحزب أم يكون مستقلاً... كل ذلك يدخل في باب حقوق الفرد وحريته الشخصية المقدسة. وأن يجتهد شخص ما في مسألة فكرية وفلسفية ودينية من دون قصد واستفزاز، مسألة طبيعية، أما أن يأتي ذلك الشخص باسم حرية الفكر وبعيدًا عن المنهج العلمي، بتأويل النصوص والطقوس وتفسيرها حسب مرامه، والإساءة عن قصد إلى مشاعر مجموعة دينية مسالمة، تكفيها ما جرى لها، وتأليب الآخرين عليها، ففيها- باعتقادي- وجهة نظر تستدعي التبصير بها، وإشعار المسيء بإساءته، وبيان الحقائق للجمهور والعالم.

(٢٤) راجع الدملوجي، صديق: اليزيدية، مصدر سابق، ص ٤٢٨-٤٤٤. وكذلك زهير كاظم عبود: الإيزيدية: حقائق وأساطير وخفايا ص٨٨، كتاب معد للطبع، اعتمد بدوره على كتاب الدملوجي وسعيد الديوه جي

(٢٥) راجع الدملوجي وزهير والديوه جي.

ليس من حق دين ما أن يفرض مفاهيمه وأفكاره ومعتقداته بالقوة على الأديان الأخرى، ولا يحق له أن يمارس العنف ضد كل من يخالفه الرأي، ولا يعبد ما يعبده، ولا يفكر مثلما يفكر، ولا يرى الدنيا إلاّ بمنظاره... وليس من حق أي رجل دين مهما علا شأنه، ولا أية جهة دينية مهما أتت من قوة، أن تضع نفسها وليةً على الآخرين، ووسيطًا بين الناس وبين خالقهم! وإذا سمحوا لأنفسهم أن يمارسوا صلاحياتهم على أتباعهم، فلا يحق لهم فرضها على أتباع الديانات الأخرى. من وكلهم أن يوزعوا البراءة وصكوك الغفران على الناس ويحددوا مساكن الجنّة والنار على المؤمنين والكفار!

الإيزيدية بشهادة العلماء والباحثين غير الإيزيديين، ديانة قائمة بذاتها، وهي ليست فرعًا تابعًا للديانة الإسلامية أو أي دين آخر يتلقى أوامره من المركز. كما أن الإيزيدية ليست بسوق لترويج البضاعة الفكرية والعقائدية للديانات الأخرى!

وبشأن وحدانية الدين الإيزيدي، أود أن أنقل للسيد (نزار آغري) وكل من لا يريد أن يقرأ الحقيقة، شهادة مثقف عربي مسلم، وليس شهادة مثقف إيزيدي متدين، حيث يقول: (يتقرب الإيزيديون إلى الله مباشرة دون وسيط، وهم يعتقدون بأن الله موجود في كل شيء وأن الله عز وجلّ هو الخير ولا يمكن أن يخلق غير الخير والرحمة لأن الله هو الأساس والمخلوقات أجزاء من هذا الروح العليا، وأن الجزء تابع للكل، ولذلك فان تقديسهم للظواهر الكونية كالشمس والنور والقمر مبني على فكرة كون هذه الظواهر جزء من الذات والقدرة الإلهية التي يعجز عنها الشّر، وهي فكرة ذات اعتبار ومحل تقدير). [٢٦]

هل يمكن اتهام هذا الإيزيدي الذي يرى الله كما يصفه المثقف العربي المسلم، الذي عايش الإيزيديين زمنًا عن قرب، قام وقعد بينهم، وشارك في طقوسهم، مشركًا بالله! ألا تعتقدون معنا أن (الصلاة وصلّى) لغة تعني السجود لخالق وكائن أسمى وطلب الرحمة والمعونة منه (يمكن مراجعة المنجد في اللغة ص434)، فهل يجوز أن ندعو الله أن يصلي ويسلم على بشر! أليس الصلاة بحد ذاتها نوع من أنواع السجود. كيف

(٢٦) زهير كاظم عبود: الأيزيدية؛ حقائق وأساطير وخفايا، ص٥٤، كتاب معد للطبع.

إذن يصلي الله لأحد أو على أحد؟! وهل الإيزيديون يقولون إن لله ابنًا؟! كلا. أم أن ما يجوز للآخرين قوله وممارسته لا يجوز للأديان الأخرى فعله؟ أما إذا كان البعض ينوي استغلال فكرة التوحيد الدينية وتحويلها إلى مفهوم سياسي اجتماعي من أجل السيطرة والقمع وكم الأفواه وفرض الرأي وتفريخ العنف... فهنالك الملايين التي ترفضه.

يؤسس الإنسان الإيزيدي علاقته مع خالقه عن طريق العقل من دون وسيط ثالث. ويشعر أنه قريب منه كقرب الظل من الجسم. ولأنه يؤمن بوحدة الوجود وتناسخ الأرواح وانتقال جزء من السّر الإلهي إلى الأخيار في كل زمان ومكان، دون تمييز بين هذا الدين، أو ذاك، أو هذه القومية، أو تلك، وأن الخير والرحمة لا حدود لهما، وعليه لا ينظر الإيزيديون بعين الحقد والكراهية لمعتنقي الأديان الأخرى، ويتقبلون التعددية الفكرية- الدينية والرأي الآخر. وينشدون الخير لكل البشر والأديان دون تمييز، ويدعون للتسامح والمحبة والسلام.

أخيرًا، وليس آخرًا، وبعد هذا العرض السريع: هل حقًا "يسعى المثقفون اليزيديون إلى إظهار دينهم بمظهر عصري ويمدون أيديهم للبساتين كلها لقطف ما تيسر من الثمار (...) كي يصوروا اليزيدية في قالب ديني كوني نزل إلى البشرية بغية إرشادهم." (ص7)، أم أن بستانهم غني بثمار التنوع الفكري والتسامح والمحبة العلاقات الإنسانية الطيبة والسلام.

أدعو السيد (نزار آغري) وكل من يحمل شعورًا إنسانيًا بدل الحقد والكراهية، أدعوهم مراجعة ما كتبه علماء وأساتذة أفاضل، وليس مثقفون إيزيديون، عن الإيزيدية، أخص بالذكر من هؤلاء العلماء الأفاضل: (باسيلي نيكيتي: في مؤلفه: الكرد، ترجمة د. نوري طالباني، ص371-349) وكذلك البروفيسور مار (البروفيسور كراينبروك، فيليب:-Yezidism-Its Background، Observances and Tex-tual Tradition)، (البروفيسور ف.ف. مينورسكي، الأكراد؛ ملاحظات وانطباعات، ترجمة وتعليق: د. معروف خزندار، بغداد 1968، ص 56-52)، (الأستاذ توفيق وهبي:-The Yezidism are not Devil-Worshippers، London 1962)، (جورج حبيب: اليزيدية بقايا دين قديم، بغداد 1978)، (زهير كاظم عبود: اليزيدية، بغداد 1995 وكتاب

ثاني باسم: الإيزيدية؛ حقائق وأساطير وخفايا، معد للطبع)، (شاكر فتاح: اليزيديون والديانة الإيزيدية، ترجمة دخيل شمو الحكيم، بيروت 1997)، (أنور مايي: مزده ها روز، تأليف الشيخ حسن الداسني، ترجمة أنور مايي، دهوك2001).

حملة معاداة الشيخ آدي إلى أين؟!

صراع بين العلم والسياسة (ابن خلدون) وطموح الإنسان ليس له حدود...

- الشيخ آدي لم يكن له طائرات ولا صواريخ ولا دبابات، ولم يأتِ ويقطع بضع آلاف الكيلومترات من بيت فار/ بعلبك بلبنان إلى لالش من أجل نزهة سياحية، بل يفترض أن يكون مجيء الشيخ آدي من وجود أرضية وعلاقة مع جماعة بانتظاره (المسيرة والأقوال والسبقات التي تتحدث عن مجيئه: علي الهكاري، باقة الحنطة التي تحولت إلى باقة ريحان، محمدي ربن وغنمه "بير شرف".)

- لولا ظهور/ مجيء الشيخ آدي بين (الإيزيديين الحاليين) لما كنا نسمع اليوم بوجود ديانة تسمى الإيزيدية، وهنا احتمالين: الأول، إما أن الإيزيدية معتقد أو دين أو مذهب، سمها ما شئت، (صحبتية- عدوية) أوجدها الشيخ آدي وهو الذي –دافع عن العائلة الأموية ويزيد بن معاوية كما يدعي البعض بدون دليل وسند تاريخي بل يستندون إلى آراء الكتاب المسلمين. أو الاحتمال الثاني هو أن (الإيزيدية الحالية) كانت موجودة، ولكن باسم آخر، وأن ظهور الشيخ آدي بينهم جدد ديانتهم (لم يذكر اسم الإيزيدية قبل الشيخ آدي ماعدا مرة واحدة في تاريخ الانساب للسمعاني)

- داسن/ استخدام للاحتقار والمسبّة! هل رأيت إيزيدي يقول عن نفسه (داسني أو أنا داسني؟!)

- التعصب القومي وربط الدين بقومية محددة. العقيدة والدين فكرة عابرة للحدود، وعابرة لحدود القومية.

- وفي هذه الحالة يطلب من الذين يرفعون راية حملة معاداة الشيخ آدي عاليًا أن يناقشوا مسألة العقيدة والدين من المنطلقين التاليين،

الأول: التاريخي ويتحفوننا بأدلتهم ومصادرهم التاريخية التي تثبت انتماء الشيخ آدي وسلالته إلى القومية العربية والعائلة الأموية، بالمقابل أن يثبوا لنا كردية الطرف الذي يدافعون عنه (السلالة الشمسانية) [٢٧]. وإذا لم يحالفهم الحظ في المنطلق التاريخي، دعنا ننطلق من الجانب الإيماني و"التاريخ" الشفاهي والنصوص الدينية.

- البعض الذي يشوه التاريخ والعادات ويضع نفسه أب الآريين والميديين، وأن "جده" أقدم من الشيخ آدي، هذا البعض لا يعرف الاسم الثلاثي، لا بل الاسم الثنائي ل "جده" الأكبر (خودان)! وهذا البعض لا يدري أن (جده الأعلى) لا صلة له بالانتماء الكردي لا من قريب ولا من بعيد، لا بل أن تأريخه يعود لعام 1666ميلادية بالضبط! فكيف يكون هذا (الجد الأعلى- خودان) أقم من الشيخ آدي (-1071 1161م). [٢٨]

- لا أريد الدخول في مقومات القومية، فإذا كانت هذه العناصر فيما مضى من الزمان ثابتة، فإنه في الوقت الحالي قيد البحث والتحليل والمناقشة كونها متحركة ومتغيرة.

- دعنا نتماشى مع أماني هذا البعض ونحاول (التخلص) من إرث الشيخ آدي وبصماته على الديانة الإيزيدية ونبدأ ب:

* حذف جميع النصوص الدينية (الأقوال، الأبيات، القصائد، الأدعية...)

* رفع اسم الشيخ آدي من: (تاووسا شيخادى، قواليت شيخادي، تانج وحليت شيخادى، جلى شيخادى، براتا شيخادى، قوبيت شيخادى، زمزم وكانيا سبى ومغار، به رى شباكى، جه زن، نظام الحد والسد أي إصلاح نظام الزواج... الخ)

إذن ماذا تبقى في بنية الديانة الإيزيدية؟!

- يربط بعض الكتبة من دون دراية العديد من النصوص الدينية الأساسية باسم الشيخ فخر الدين، وهو ليس كذلك وإنما يرد أسماء

(٢٧) كتاب عبد الرحمن مزوري: الشيخ آدي هكاري وليس أمويًا.

(٢٨) أُحيل هذا البعض إلى كتاب جون س. غيست، تاريخ اليزيديين، ترجمة عماد جميل المزوري، الدار العربية للموسوعات، بيروت ٢٠٠٦، ص١٢١-١٣٣.

المنظمين مثل "بير رشى حيران" أو "كافانى زرزان" أو "درويش قاتاني" أو "درويش قوتك" أو "مسكين زار" في متن النصوص!

- الشمسانية لا تمت بصلة لاسم الشيخ شمس، وإنما هي صفة لجميع الذين يقدسون الشمس.

- ليلة القدر: يأخذها بعض قصارى النظر أن الشيخ حسن وبعده أحفاده "أراد أن يصلي بالإيزيدية ويهديهم مرة أخرى إلى الإسلام، فأخذت الشمسانية منه السجادة... "دعنا نجاري حملة معاداة الشيخ آدي وذريته بأن الشيخ الجليل كان "مسلمًا"، هذا يعني أن جميع شرائح وطبقات الإيزيدية الذين آمنوا بتعاليمه، ما زالو يدينون بالإسلام أكثر من تسعمائة عام! ولنقل جدلاً أن ما يدعوه صحيح بأن الشيخ حسن كان يصلي ليلة القدر على تلك (السجادة) التي تحولت فيما بعد للشيخ فخر الدين الشمساني، فهو لم يحاول التخلص منها أو رميها في البحر، وإنما ما زالت ذريته تيحتفظ بها، ويجلس عليها البابا شيخ طوال 364 يومًا مطروحًا منها فترة ليلة القدر فقط!!.. هل بإمكان هذا البعض أن يدعو أو يكتب أن الشيخ فخر الدين، ومن بعده ذريته، الذين يحتفظون بتلك السجادة، أنهم يئمون (من الإمامة) الإيزيدية لأسلمتهم؟!!

- إذا كان رغبة هذا البعض من خلع ردائه ورداء أجداده الإسلامي والعودة إلى دينه الزرادشتي أو المزدايسني أو أي دين آخر، كما يدعون، فهم أحرار لأن الإنسان لا يختار دينه بإرادته بل ينتسب إليه بالولادة، فحينما يكبر الإنسان ويصل سن البلوغ من حقه أن يختار ما يلائم فكره وميوله أو يرفضها...

- باعتقادي أن جميع السلالات (اوجاغ) الإيزيدية تنبع من أصل واحد، وأغصان شجرة واحدة، وهم أولاد عمومة. لاحظوا ماذا يقول النص الديني:

-2 بيرانى بنافى هه سن ممان جيكر/ سموا البيرانية باسم حسن ممان
فترو زه كات بيرا فريكر / أوكلوا لهم جمع الخيرات
بيرانى ز شيخاتيى جهيكر / وفرقوا البير من الشيخ (فرقوا البيرانية من المشيخة)

-8 شيخ ز دورينه / الشيوخ من الدرّة

بير ز سورينه / والبير من السرّ

فه قير جانداريت مه ولينه [٢٩] / والفقراء خلائق المولى

- إذا أراد البعض من استخدام المنهج العاطفي النفعي، ذلك هو شأنهم، أما أنا أريد تطبيق المنهج العقلي، كما أن مهمتي العلمية والاخلاقية هو كسر القيود والأغلال التي شوهت التفكير الإيزيدي، وأفسدت قرأتنا للحياة والكون والمستقبل، وفرضت علينا أن نرى الوجود والأشياء من منظور الأيديولوجية الدينية فقط.

مهمتي هو تحرير الفرد الإيزيدي من بعض الثوابت التي أوصلتنا إلى ما نحن عليه اليوم من تخلف، إنها محاولة لإضاءة الجوانب المعتمة في حياتنا ونزع ما أمكن من الغشاوة التي تحجب الرؤية وتشل حركة الفكر الحر وتحوله إلى إنسان سلبي، لا هم له إلاّ الدفاع عن القديم الذي ولى عصره.

(٢٩) من النص الديني (دعاء البيرانية = دوعا بيرانيى)، من كتاب د. خليل جندي، صفحات من الأدب الديني الإيزيدي، باللغة الكردية، دار سبيريز/دهوك، الطبعة الثانية ٢٠١٣، ص ١٠٤٠.

توضيح للسيد حاجي علو [٣٠]

أثناء تصفحي موقع بحزاني الموقر، وقع نظري على عنوان جلب انتباهي، ألا وهو "مفاتيح لفهم أوسع للديانة الئيزدية أم متاهات لتشويش أكبر في فهم الديانة الئيزدية". اعتقدت أن المقال سوف يغني القارئ الكريم بمعارف جديدة، أو بأسرار ينفض الغبار عن تاريخ الإيزيدية وينتشله من بعض حلقاته المفقودة. وعندما أدركت أن موضوع النقد يخص بحثًا سبق والقيته بهذا الاسم في كونفرانس علمي قبل حوالي سبع سنوات، ويحملني الأخ الكاتب مسبقًا ومن العنوان مباشرة حكمًا بالذنب و(متاهات لتشويش) الديانة الإيزيدية، شعرت بنوع من تأنيب الضمير وقلت في نفسي ربما هناك خطيئة ارتكبته في بحثي من دون دراية، فراجعت بعد دقائق بحثي فلم أجد نفسي إلا أمام مناقشة نظريات وفرضيات لمستشرقين مرموقين بشأن أصول الديانة الإيزيدية، ولم يكن اعتراضي لنظرياتهم إلاّ توافقًا مع آرائهم عن عراقة هذا الدين، وبهذا لم أرى ذنبًا قد ارتكبته بحق هذه الديانة، اللهم إذا كانت هناك ديانة إيزيدية أخرى مقاسة بقياسات الأخ الكاتب.

وحتى في حالة الافتراض أنا، أو أي باحث آخر، يناقش أفكارًا وأراءً مختلفة غير المتعارف عليها، أو غير التي يعتقد بها هذا الكاتب أو ذاك، لا يعني أن الكاتب والباحث، خصوصًا إذا كان إيزيديًا، يريد النيل من الإيزيدية وادخال ديانتهم في "متاهات التشويش"!! والأغرب من ذلك أن الأخ الكاتب يجزم ويقول إن من "الواضح فيه أن ما نشر مؤخرًا في الفيس بوك (رغم عدم علمي بذلك) أنه تعقيب وتعليق مبطن للكتاب المنتظر..." لا يترك الأخ الكاتب مجالاً للشكّ بأن المنشور ما هو إلاّ "تعقيب وتعليق مبطن على كتابه المنتظر"! ويحسم الأمر، ويغلق باب النقاش وقبول

(٣٠) كُتب في أوسلو بتاريخ ٢٠١١/٩/٢٥ . ويمكن مراجعة كتابي: الإيزيدية والامتحان الصعب، دار آراس/ أربيل، الطبعة الأولى، ص ٦٥.

الرأي الآخر، والاكتفاء بالرأي الذي يرّن فقط في ذهنه، بالقول إن المقال (يقصد مقالي) "لا يساعد الا على تشتيت الآراء وخلق المزيد من التأويل والمتاهات".

لست بصدد ما كتبه الأخ الكاتب وهو حُرّ فيما يحرره، إلاّ أن يقينه ووضوحه بأن ما نشر مؤخرًا هو "تعقيب وتعليق للكتاب المنتظر" ذكرني بحوار دار بين دريد لحام (المعروف فنيًا بغوار الطوشي) وبين رجال الأمن في مسرحية (كأسك يا وطن). ملخصها أن رجال الأمن كانوا يريدون انتزاع الاعترافات منه، ومن بينها توجيه التهمة إليه بأنه يقبض الدولارات من جهة أجنبية، فأقسم (غوار) بغليظ الإيمان أنه لا يعرف شخصًا باسم دولار، ولا يعرفه إذا لاقاه وجهًا لوجه في الشارع. ردّ عليه رجال الأمن بالضرب قائلين أن (دولار) ليس بشخص وإنما هي عملة استلمتها منهم ولا تتهرب من الموضوع وتتعقل علينا!.. الى آخر القصة.

للأمانة كنت قد سمعت بأنه قد صدر للأخ حاجي كتاب باسم "المنتظر" أو بعنوان آخر، لكنني لم أراه كما لم ير (غوار) الدولار. ولم أقرأه، فكيف أعطى الحق لنفسه وأجزم بأن ما نشر هو "تعقيب وتعليق مبطن" على كتابه "المنتظر"! ربما كان محقًا ويلومني ليقول: "إذن كيف بك وأنت الكاتب والمهتم بشؤون الديانة الإيزيدية ولم تحاول الحصول على كتاب صادر عن الديانة الإيزيدية"؟ في الحقيقة حاولت كثيرًا الحصول عليه وكان يشرفني أن أقرأه، إلاّ أن جهودي باءت بالفشل، لأن الكتاب حسب معلوماتي لم يصدر عن دار نشر كي أتصل به وأحصل على نسخة منه، كما أن صاحب الكتاب لم يكلف نفسه بإهداء نسخة منه اليّ، وهو العارف قبل غيره أي جهد أبذله لإعلاء شأن هذه الديانة، فضلاً أن كلانا كنا في ألمانيا آنذاك. وبعد أن ذهبت إلى بغداد عام 2008 تغيرت الظروف وصار الحصول على الكتاب أمرًا أصعب. لكنني من الآن فصاعدًا سأحاول جاهدًا للحصول على الكتاب علّه فيه معلومات جديدة يمكن الاستفادة منها.

هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن "مفاتيح لفهم أوسع للديانة الإيزيدية" كتبته شهر آب/ 2006 وقدمته كبحث في الكونفرانس العلمي الدولي حول الثقافة الكوردية في أربيل أيلول/ 2006 والذي شارك فيه كبار

أساتذة أوربا وأمريكا، وشاركنا فيها (البروفيسور كراينبروك فيليب وأنا) من امعة كوتنكن. وقد استخلصت أساس هذا البحث من دراسة أخرى بعنوان "الكوردولوجيا والإيزيدية" كتبته عام 2005 وألقيته محاضرة في المهرجان الثقافي لمركز لالش/ دهوك. مع ذلك كان يسعدني جدًا أن يكون الكتاب "المنتظر" آنذاك في متناول يدي لكي استشهد به كمصدر إذا كان يحمل في ثناياه آراءً وتحليلاتً جديدة ومنطقية تتلاءم والبحث المطروح.

أعتقد أن الأخ الكاتب لا ينكر أن لدينا أرضية معرفية لا بأس بها وبعض المعلومات المتواضعة حول الديانة الإيزيدية يمكننا الكتابة عنها دون أن نسرق جهود الآخرين، ولدينا من الجرأة أن نناقش ونحلل وننتقد جهارًا، إذا استوجب الأمر، وليس بشكل مبطن. كما ان الاستئناس بالرأي والإشارة إلى هذا المصدر أو ذاك لا يقلل من قيمة البحث، بل يغنيه ويزيد من مصداقية الكاتب وليس بالعكس. فلو كنت قد قرأت "الكتاب المنتظر" واستفدت منه، لأشرت إليه كأحد المصادر بدون تردد وخجل. لا أدري لماذا فار دم الأخ حاجي علو بسرعة وعدّ مقالنا/ بحثنا "متاهات لتشويش أكبر في فهم الديانة الئيزدية"؟! خاصة وقد اخترت لبحثي عنوان "مفاتيح لفهم أوسع للديانة الإيزيدية". وكلمة "مفاتيح" لها دلالات لغوية وإصلاحية معنوية كوسيلة وطريقة لمعرفة أشياء غير ملموسة ك (مفتاح العلم، مفتاح العقل...)، والمفتاح هنا مصطلح متحرك لا يقبل الجمود ولا يحتكر الحقيقة ولا يوصد أبواب النقاش بوجه أحد.

لست أنا الذي نشرت بحثي على (الفيس بوك) وليس لدي علم به، وليطمئن الأخ الكاتب بأن بحثي المشار إليه لم يكن "تعقيبًا وتعليقًا مبطنًا على كتابه المنتظر"، بل لا أخفي بأني قرأت له في فترات لاحقة مقالات قد نشرها على المواقع الإلكترونية وخاصة موقع بحزاني، وجمعت الكثير منها في أرشيفي، وسجلت ملاحظاتي على شكل رؤوس النقاط كردود واخترت له عنوانًا من حيث المبدأ: (الى أين تمضي الحملة على الشيخ آدي، ومن المستفيد "ما يحرره حاجي علو انموذجًا") فاكرًا، إذا اقتنعت أن هناك من فائدة، أن أعقّب على تلك المقالات بسبب

الانطباعات التي تولدت لديّ بأن القضايا المطروح في البعض منها أراها خطرة ومسمومة، كونها تحمل نفَسًا مذهبيًا صارخًا، من خلال الهجوم على الشيخ آدي (قدس سرّه)، وعلى عائلته الآدانية مقابل الدفاع عن العائلة الشمسانية. هو حرّ في دفاعه عن هذه العائلة وتلك، لكن هجومه وتشويهه لتاريخ عوائل ورموز إيزيدية غير مقبولة وفيها أكثر من سؤال. يا ترى لمصلحة من ذلك الهجوم على رمز من رموز الديانة الإيزيدية؟! (راجع فقط مقاله: كتاب قرأته لك- ردّ على كتاب الفكر الديني والفلسفي للشيخ عدي بن مسافر/ للدكتور زوراب علويان- شبكة بحزاني ليوم 8/ 3/ 2011، ومقاله: "كيف يعقل أن شيخًا وحيدًا يستطيع الدخول إلى ديار الئيزديين ويقنعهم بحيث يضحون بالغالي والنفيس" (موقع بحزاني أيضًا)، "إيزيديون أم يزيديون" (موقع بحزاني)، "اين المصداقية ومن الملام، شخصيات بارزة/ الشيخ عدي/ الحلقة 3" (موقع بحزاني) وآخره مقال له والذي هو بين أيدينا، وقلبه لحقيقة كفاح (الشيخ شرف الدين) كونه كان يعمل لصالح السلاجقة وقتل من أجلهم!

إلى جانب الأخ حاجي هناك نفر يشوهون هم الآخرون وبشكل مقزز تاريخ الإيزيدية ويتهجمون على مجدد وباني الديانة الإيزيدية الشيخ آدي وأبناء أخيه، معتبرًا ذلك النفر أنفسهم أجداد الميديين والآريين وجميع الكورد، وأن (جدهم) قد خلق قبل آدم! دون أن يدركوا ألا صلة ل (جدهم) بالميديين والآريين ولا بالكورد، ولا صلة له بالديانة الإيزيدية، وأن تاريخه يعود بالضبط إلى عام 1666 ميلادية! أتمنى من أولئك الأخوة أن يكفوا عن تشويه الحقائق، وأن لا يكتبوا أشياء لا تعنيهم وليسوا متأكدين منها. كم أناشدهم ألا يتهجموا على الشيخ آدي وعائلته من دون وجه حق، كي لا أضطر أن اكشف عن تاريخهم، وتاريخ (أولياء- خودان) هم الذي لا صلة له لا بالقومية الكوردية ولا بالديانة الإيزيدية!

إن الكتابة بشكل عام، وكتابة الأبحاث بشكل خاص، ليست بنزهة أو ترف فكري وإنما تحتاج إلى منهجية وضوابط، وسعة إطلاع وذخيرة من المعلومات المعرفية، فضلاً عن حسن التعامل مع أدوات كتابة البحث. ومن الصعب أن نتصور أن يقوم شخصًا ما بتأليف كتاب أو

كتابة أبحاث، دون أن يكون قد حرَّر قبلها خاطرةً، أو خبرًا صحفيًا، أو تقريرًا أو مقالاً في إحدى الصحف والمجلات، ويكون بذلك مثله كمثل ذلك الشخص الذي لا يعرف السباحة أبدًا ويريد أن ينزل، لا إلى النهر، بل إلى البحر للسباحة!

أتمنى من كُتابنا الأفاضل وكاتباتنا الفاضلات، الآن ومستقبلاً عند الكتابة، التأني الشديد وعدم أطلاق الأحكام النارية والمسبقة بحق الآخرين وعدم احتكار الحقيقة، وأن يقبلوا على الأقل سماع الرأي المقابل، وان لا تكون كتاباتهم متشنجة وعناوينهم استفزازية، ويأخذوا بنظر الاعتبار أن للآخرين كم من المعلومات وأرضية معرفية ومنهجية وأصول بحث. أما محاولة فرض الرأي واحتكار الحقيقة، كما يفعله الأخ كاتب المقال الذي نحن بصدده، فأن ذلك لا يدخل ضمن المنهج العلمي وربما يقود صاحبه إلى الجمود.

يفضل أن يكتب الأخ حاجي علو بالحد الأدنى من الحيادية، ولا بأس أن يلتزم بأبسط مبادئ المنهج العلمي، وأن يتحاشى مستقبلاً النَفَس المذهبي في مقالاته، ولا يحتكر الحقيقة وأن يطرح رأيه دون الاستهانة بآراء الآخرين. وأن يتابع تاريخ الشعوب القديمة ليعرف فيما إذا كانت (الخالدية) اسم لعشيرة أم اسمًا لدولة وشعب قديم! ويحبذ أن يراجع اللغات الهندو-ايرانية، ومنها الفهلوية، ليطلع بنفسه على معنى وأصل كلمة "داسن وداسني" وألا يثور ويستفز عندما يطلق عليه أحد كلمة "داسني"!! فضلاً عن معلومة أخرى، إذا كان الأخ حاجي وغيره قد حسموا أمر تبعية الإيزيدية للديانة الزرادشتية، أن يجهدوا أنفسهم بالسؤال: عجبًا لماذا لم تذكر نصوصنا الدينية ولو مرة واحدة اسم النبي زرادشت؟! ولماذا لم تحتفظ ولو عائلة إيزيدية، ومنها عائلة الكاتب، بكتاب زرادشت المقدس "زند آفيستا" و"كاتهاي" في بيوتها؟! لماذا القرابين محللة لدى الإيزيدية ومحرمة عند الزرادشتية؟! لماذا الصيام ركن أساسي في الديانة الإيزيدية ومحرم لدى الزرادشتية؟! ولماذا الإيزيديون يدفنون موتاهم والزرادشتيون يحرقونها أو يتركوها في العراء لتأكلها الطيور؟! هذه الأسئلة وعشرات غيرها لماذا لم تسألونها أنفسكم، أم أن داء العمى القومي والمذهبي قد أصاب البعض.

أقولها وأنا مطمئن، بأن كل كاتب إيزيدي يقوم بربط ديانته الإيزيدية بالزرادشتية (مع كامل الاحترام والتقدير لتلك الديانة) فإنه على أقل تقدير غير مُلم بتاريخ ديانته، ويجهل تاريخ وتطور الديانات الأخرى ومنها الزرادشتية.

أتمنى أخيرًا ألا تعكس مناقشات الأخ حاجي علو في مقالاته القادمة أجواء حلبة الملاكمة أو المصارعة التي يريد فيها النيل من "خصمه" بأية وسيلة كانت!

• للإفادة والاستفادة والاطلاع على كامل الصورة، نكون شاكرين لموقع بحزاني إعادة نشر بحثنا "مفاتيح لفهم أوسع لفهم الديانة الإيزيدية" ليحكم القارئ الفاضل بنفسه على الأمور.

هل هو لغط وتشويه للديانة
أم محاولة للقيام بمغامرة فكرية ؟!

(هل) في اللغة العربية و(ئەرێ Erê) في اللغة الكردية (هو نفس are في اللغة الإنكليزية) حرف استفهام. والاستفهام لغة هو طلب الفهم، وفي اصطلاح النحاة هو عبارة عن اسلوب أو تركيب يستعمله السائل لمعرفة شيء يجهله، أو يريد السائل معرفة المزيد عنه، أو يبغي السائل التأكد منه. وربما يكون جواب (هل) ب: نعم للإثبات، أو (لا) للنفي، أو (لعم) بين الحالتين لا هو اثبات ولا هو نفي، بل يترك الباب مفتوحًا.

ففي الكونفرانس الأول للأكاديميين الإيزيديين بمدينة (Bielefeld) للفترة 24-23/ حزيران/ 2012 قدّمت بحثًا استهلت عنوانه بحرف الاستفهام (هل):

"هل من علاقة بين النص الديني (گای وماسی Gay u Masî) وسفر الخروج التوراتية Exodus من أرض مصر؟"

دون أن انتظر جواب الإثبات أو النفي، وإنما الغرض من (هل) هو التحرك في فضاء الحالة الثالثة ألا وهو القيام بالبحث والتحري والتنقيب والتقصي والنبش في التأريخ... والذي يندرج ويتلاءم تمامًا مع روح البحث العلمي.

بعد ما يقارب من مرور السنتين على ذلك الكونفرانس، يطل علينا أحد الاخوة الذين كان من ضمن الحاضرين بمقال منشور على موقع بحزاني نيت الغراء (15/ 3/ 2014)، دون أن يذكرني بالاسم، أو يشير إلى بحثي، ليوصف ويعد ما طرحته آنذاك "لغطًا وتشويهًا متعمدين لديننا" يقصد الديانة الإيزيدية، حيث جاء في مقاله بالنص، نقتبس منه: "... فقد وجدنا من الئيزديين في مؤتمر بيليفيلد 2012 من ربط الثور في القول "يقصد قول گای وماسی- خليل" ببني اسرائيل عندما هربوا

بذهب المصريين ليلاً فحملوه على الثيران، هذا هو "القول" أمامكم وكذلك التوراة سفر الخروج دققوا فيهما لتجدوا مقدار اللغط الذي نحدثه نحن في ديننا، ولتعلموا أننا نحن الذين نشوه ديننا متعمدين". (انتهى الاقتباس- وخطوط التشديد تحت كلمتي "اللغط ومتعمدين" هي من عندنا).

إن (اللغط والتشويه المتعمدين للدين) كلام كبير واتهام خطير ما لم يستند إلى دلائل واثباتات. كون الأخ كاتب المقال لم يشر بشكل مباشر إلى اسمي، أتحاشى من ذكر اسمه أيضًا، مكتفيًا بوضع بحثي، أو كما سميتها "مغامرتي الفكرية"، الذي قدّمته في مؤتمر بيليفيلد أمام أنظار القراء الكرام ليحكموا بأنفسهم، علمًا أن البحث، كما ذكرتها أمام المؤتمرين آنذاك، هو مقدمة أولية تعريفية وأن مشروع العمل فيه سيستغرق سنينًا، وربما يوصلنا البحث إلى نتائج علمية أو تخرج تصوراتنا في غير محلها.

تزامنًا مع نشر البحث على موقع بحزاني نيت الغراء، أرى من الضروري جلب انتباه القارئات الكريمات والقراء الكرام إلى ان كاتب المقال الذي نحن بصدده يعكس ويصور نفسه في غالبية مقالاته السابقة وفي مقاله الأخير؛ عالمًا بأسرار الدين الإيزيدي، وملمًا بتاريخه، وحافظًا لأسراره، وحاميًا أمينًا له...، حسنًا وليكن كذلك ونشّد على يديه ونشكره على حرصه، لكنه بالمقابل يريد:

- من الكلمة والتعبير والرأي المخالف ألا يتنفسوا!

- أن يضع الرأي المخالف له في قفص ويزرع الأسلاك الشائكة حوله!

- يريد من الكتاب أن يكسروا أقلامهم؛ وأن كل ما يكتبوه لا يمت لتاريخ الإيزيدية بصلة!

- يريد أن يفرض علينا منهجًا جديدًا في الكتابة من خلال حرق جميع ما تسمى بـ (المصادر والمراجع) كونها-حسب تصوره- زائفات لا تعكس الحقيقة، يدعونا بالاعتماد على "الحكايات" تلك التي كنا نسمعها حول مواقد النار في ليالي الشتاء الطويلة!

- يريد أن يتبنى الجميع بما يؤمن هو به من تاريخ، ومعتقدات، وأولياء، وطبقات، لأن ما عداها باطل ولغط وتشويه متعمد للديانة الإيزيدية،

- يريد أن يفرض علينا قمره وشمسه وزردشته وساسانه...!
- باختصار، يريد أن يمارس القمع الفكري بحق الكتاب الآخرين!
- يريدنا أن نبقى أسرى حقب اللا تدوين الشفاهي، كارهين مراحل التاريخ المكتوب!

حيث يكتب "... الحقيقة التي نبغيها لا يمكن إدراكها إلاّ بالتحليل الدقيق لنصوصنا الدينية والكلام الشفاهي المتوارث في المجتمع الإيزيدي والممارسات والطقوس التي نؤديها ولا نفهم معانيها، يجب أن تكون الكتب آخر ما نلجأ إليه كشاهد وليس كمصدر لأنها من نتاجات الأجانب الذين يشوهون ديننا ولا يعرفون عنه شيئًا إطلاقًا... "(انتهى الاقتباس. وخط التشديد من عندنا).

هل من الإنصاف أن ننكر بهذه السهولة ما تركته لنا نتاجات أغلب الكتاب الأجانب التي تعد بالمئات من معلومات قيمة، فإذا كان ذلك الكاتب غير مطلعًا على أسرار ونصوص الدين، فذلك لا يعني أن تسجيل مشاهداته حول حياة وعادات الإيزيدية، ومشاهداته وتحليلاته للطقوس التي كان الإيزيديون يؤدونها، هي مجرد هراء وتشويه لديانتهم! أسماء أولئك الكتاب الأجانب هي من الكثرة بحيث لا يسع هذا المقال لذكرهم جميعا، قدموا خدمات جليلة لا تقدر بثمن للإيزيدية، ولولا نتاجاتهم لكانت المعلومات عن هذه المجموعة البشرية (الإيزيدية) شحيحة، ولكانت مجموعة منسية كأية قبيلة من قبائل غابات الامازون المعزولة.

لنتفق مع السيد كاتب المقال بأن تحليل قسم من النصوص الدينية (وليس كلها) ربما ستوصلنا إلى بعض الحقائق (وليس كل الحقائق) وهذا ما خصصت له جزءًا من فصل بعنوان:

Pirsiyarêt hida: yan Çilonia Têgehištin u Vekolîna Edebê Dînê Êzidiyan?! Ber bi têgehiština Felsefa Êzidiyatiyê "الأسئلة المخفية: أو محاولة فهم وتحليل الأدب الديني الإيزيدي؟!" نحو معرفة فلسفة الديانة الإيزيدية". [٣١]

(٣١) خليل جندي، صفحات من الأدب الديني الإيزيدي، دهوك/سبيريز، ط ٢، ٢٠١٣، ص ١٢٣ – ١٤٩.

نسأل كاتب المقال، الذي يكتب بنفسه "إن الحقيقة التي نبغيها لا يمكن إدراكها إلا بالتحليل الدقيق لنصوصنا الدينية"... كيف يحلل ما ورود من كلمات مثل (حشم/ هاشم، قوريش/ قريش) في النص الديني (قول قره فرقان). وهل يعترف بأن هذا ال (قول) نص ديني من نصوص الديانة الإيزيدية أم يعتبرها نصًا دخيلاً؟ وما دام هو يستنبط "حقيقة" ديانته من تحليل النصوص الدينية فقط، ندعوه أن يحلل لنا (السبقات/ المقاطع 8، 9، 12، 13 من "قه ولى ئيزدينه مير")

٨- أريد خُلاّ قريشيًا Min yarek divê Qurêşî be

يا شبيهًا كن (حكيمًا) Hey şibheto hî sirêfî be

إلهي! لا تشبهنا بأي آدمي. -Îlahiyo! Me ne şibhînî ber tu ademi ya

٩- حقًا، لست من آدم Seḥîme، neyî ademîme

من النطف، أنا دمشقي Ji nuxta، ezî Dimeşqîme

الغافلون لا يدركون ما هو أصلي.Ji nezana bi esil، ez li kume

-12 روى ايزدين: عليه أقولÊzdîn go: lew dibême

ليس لي أب ولا أم Ne ji babim، ne ji dême

أنا من تلك النطفةEz ji wê nuxtême،

أنا من هنا، قادم من هناك!Ji here me، ji wê tême

١٣- فطرت من تلك النطفة (الشراب) Her bi wê nuxtê min kir fitare

وكنت نديمًا مع السلطان ايزيدMin bi Siltan Êzîra vedixware!

لذلك تمكنّا من إظهار الأسرار المخفية.Lew surêt mixfî، me pê kir diyare

وهل بإمكان كاتب المقال أن ينكر بأن قسمًا كبيرًا من "الأدب الديني الإيزيدي، الكلام الشفاهي المتوارث في المجتمع الإيزيدي، الممارسات والطقوس التي تؤديها الإيزيدية" تدور حول إبراهيم الخليل وذريته، أم

يعتبرها أفكارًا غريبة ودخيلة على المعتقد الإيزيدي؟

حسنًا، إذا كان الأخ كاتب المقال من دعاة الاعتماد على تحليل النصوص الدينية والكلام الشفاهي والعادات والطقوس، فإننا نجلب انتباهه إلى أن غالبية (ربما أكثر من 90%) من النصوص الدينية الإيزيدية والطقوس والشرائع الدينية الشفاهية ترتبط باسم الشيخ آدي (سواء أكان الشيخ آدي بن مسافر أو الشيخ آدي الثاني أبو البركات)، فيقال مثلاً: (İlmê Şîxadî- Tawsa Şîxadî-Qewalê Şîxadî- Xerqê Şîxadî- Çilê Şîxadî- Xasêt Şîxadî- Berata Şîxadî- Cemaya Şîxadî...)

بمعنى: علم الشيخ آدي، طاؤوس الشيخ آدي، خرقة الشيخ آدي، أربعانية الشيخ آدي، أولياء الشيخ آدي، براة الشيخ آدي، جماعية الشيخ آدي).

لكنه، أي كاتب المقال، يعد في مقالاته الشيخ آدي جسمًا غريبًا في الإيزيدية، ويعده مسلمًا وعربيًا، وهو ليس بـ (ماد) ي ولا (ساساني) ولا (كوردي)، ويجعل من العقيدة أو الديانة الإيزيدية امتدادًا للزرادشتية وزرادشت هو (نبي) ها! دعنا ننزل عند رغبة الأخ الكاتب، وآخرين يفكرون مثله، ونوجه لهم سؤالاً بسيطًا: إذا قمنا بحذف جميع ما يتعلق بالشيخ آدي المذكور أعلاه، ماذا ستبقى ل (إيزيدية) كاتب المقال ومناصريه من نصوص وطقوس وعادات؟! كما نطلب منه أن يدلنا على (ربع) نص ديني، لا بل (سه به قه/ مقطع) واحدة من بين التراث الديني الإيزيدي يذكر فيه اسم زرادشت؟!

إن إشكالية بعض كُتاب مواقع الإنترنت هو النظر إلى العقائد والأديان بمنظار قومي ضيق، وكذلك النظر إلى القوميات واللغات والمجموعات البشرية نفسها كونها كائنات خارجة عن حركة التاريخ، وكونها ليست بنات الجغرافيا، أو أنها لا تمت إلى الزمان والمكان بشيء. يتصورن بأن هذه المجاميع البشرية (التي تشكلت منها بعد ذلك الأقوام والشعوب) منذ أن تشكلت تواجدت على نفس الرقعة الجغرافية وحافظت على نقاوة دمها ولم تختلط أو تحتك بمجموعات بشرية أخرى!

دون الدخول في التفاصيل التاريخية ونشأة المعتقدات وتطورها، أضع بحثي الذي قدمته في كونفرانس بيليفيلد أمام أنظار القارئات الكريمات

والقراء الكرام ليكونوا الحكم، دون الإصرار في امتلاك الحقيقة. إنها مجرد طرح ل "فنطازيتي أو مغامرتي الفكرية"، إلى جانب فرضياتي (ولن أقل نظرياتي) التي توصلت لها خلال البعض من أبحاثي في سنوات سابقة ولم ينتبه إليها قراء الإيزيدية، ماعدا واحدة منها تمت سرقة فكرتها من قبل أحد الكتاب بشكل محكم، فقط أشار إلى نصوص دينية من كتابي وليس الفرضية المكتشفة، ويريد تسجيل الاكتشاف باسمه (فلسفة ربط سرّانية طاؤوس ملك بحبة القمح/ اكتشاف الزراعة/ واعياد الإيزيدية). ومن تلك الفرضيات/ النظريات:

1. العلاقة الرمزية بين طاؤوس ملك وحبة القمح وأعياد الإيزيدية: ألقيتها كسمينار بمدينة هانوفر بمناسبة عيد رأس السنة الإيزيدية لعام 1993 تحت عنوان "الأسطورة والتكوين وسرّ أعياد الإيزيدية"، ونشر بعد ذلك وفي العام أعلاه في ثلاث كراريس بعنوان "نحو معرفة حقيقة الديانة الإيزيدية"، كما نشر كبحث في مجلة روز العدد الأول/ الصادر من مركز الإيزيدية خارج الوطن. واستقر كفصل في كتابي "نحو معرفة حقيقة الديانة الإيزيدية" منشورات رابوون، السويد 1998. (من ص 94 إلى ص 144).

2. رمزية البحر والخلق الأول/ قه ولى سه ره مه ركى/ فرضية طرحتها ومن خلال تحليلي لمعاني (البحر) الوارد في النصوص الدينية الإيزيدية، بأن المقصود منه (البحر) هو (رحم الأم) الخالق للكائن الحيّ سواء كان بشرًا أو كائنًا آخرًا، وليس المقصود بالبحر الماء العادي على أنه أساس الخلق والذي يرد في قصة الخليقة لدى أكثرية الأديان. وقد أسست فرضيتي بشكل خاص على النص الديني (قه ولى سه ره مه ركى) ونصوص دينية أخرى. [٣٢]

3. رمزية لالش والمطر/ الفرضية الثالثة التي توصلت إليها من خلال تحليل بعض ما ورد في النصوص الدينية الإيزيدية التي تؤشر بوضوح إلى الترابط الوثيق بين رمزية لالش والمطر/ الماء، بمعنى أن أحد معاني (لالش) هو (المطر/ الماء). (ينظر أيضًا كتابي: به رن ژ ئه ده بى دينى

(٣٢) نفس المصدر السابق، ص٣١-٣٤ ومن ص ١٥٣-١٧٦، والحاشية رقم ٣ من الصفحة ١٧٠، وكذلك الصفحات ١٢٤-١٢٦.

ئيزديان/ صفحات من الأدب الديني الإيزيدي، سبيريز/ دهوك، الطبعة الثانية 2013، ص 182 الحاشية رقم 2)

الفرضية الرابعة وهي التي نحن الآن بصددها: هل من علاقة بين النص الديني (كاى وماسى Gay u Masî) وسفر الخروج التوراتية؟ وإن كتب له النجاح سنكون أمام نظرية جديدة تلقي الضوء على أحد أهم صفحات المعتقد (الإيزيدي) المخفية عبر التاريخ! ولعلم الأخ كاتب المقال، ليس قصدي من هذا البحث ربط الثور باليهود، ولا ربط الديانة الإيزيدية بديانتهم، وإنما البحث في تاريخ وأصل وموطن المجموعة التي انطلقت مع العبرانيين إلى أرض مصر ومنها إلى أرض كنعان وشبه الجزيرة، واقصد بشكل خاص (الهكسوس)! كل الدلائل التاريخية تشير ان هذه المجموعة تركت بصماتها على شبه الجزيرة قبل ظهور العرب والإسلام. وعليه، ربما، نتوصل إلى نتائج بأن ما يرد في النصوص الدينية الإيزيدية من كلمات ومصطلحات له أرضية فكرية. متمنيًا من الكاتب أن يتحمل المنشور، ويحاول قراءته بتأني ويناقشه بعد ذلك بشكل علمي!

تحويل اتجاه التاريخ! [٣٣]

حقيقة منذ زمن بعيد قررت مع نفسي في عدم الرد على كتابات الأخ حاجي علو. لا أرد على كتابات إنسان يرى في نفسه كاتبًا يسلك منهجًا ذات اتجاه واحد (Einbahnstrasse) كما تقال في اللغة الألمانية. الأخ حاجي علو ليس فقط لا يقبل بالاتجاه الآخر، بل يشوه فكر القراء عن الآخر المخالف لرأيه. إنه، أي الأخ حاجي، يبدو لي لا يقرأ المقالات والأبحاث بعيونه وعقله، وإنما يقرأها بموجة العاطفة- إن لم أقل الحقد- المسيطرة/ المسيطر عليه، والدليل على ذلك ما يبديه من ملاحظات في ردّه هذا على رمزية الطاووس المنشورة حلقتين منه، دون أن يجهد نفسه وينظر إلى عنوان المقال أو البحث [٣٤]. واضح لأي إنسان بسيط يعرف أصول الكتابة، بأني لست كاتب المقال بل قمت بترجمته من دون أن أضيف عليه شيئًا من آرائي أو أعلق عليه في الحاشية...إلا أن ذلك لن يمر على بصيرة الأخ حاجي، أو هو يتغاضى من رؤيتها، ويعتبرني كاتب المقال ويبدأ يخربط ويتفوه بكلمات وجمل أكبر من حجمه بحقي، ليقول: (لم أكن أعلق على الموضوع لو أن الدكتور لم يكن أعلم منا جميعًا بحقيقة الموضوع، ومع ذلك يريد تحويل اتجاه التاريخ. لا أدري لماذا ولأي هدف وماذا نستفيد من زيادة التخبط الذي نحن فيه غارقون؟). انتهى الاقتباس

دعوتي للأخ حاجي من الآن فصاعدًا أن يلبس النظارات الطبية إذا كان يعاني من قصر نظر، وأن يقرأ المقالات والمواضيع بشكل جيد وبعيون مفتوحة وبروح علمية قبل أن يطلق أحكامه النارية غير اللائقة. أنا

(٣٣) تعقيب على مقال السيد حاجي علو تحت عنوان: «منبع ومصدر طاووسات الئيزديين»، منشور على موقع بحزاني نيت الغراء وذلك بتاريخ ٣١/ ١٠/ ٢٠١٩.

(٣٤) تتبع درب الطاووس من شمال العراق إلى سنغافوره، كتابة البروفيسور دكتور مارتن فان برويسن، ترجمة خليل جندي.

أسألك يا أخ حاجي علو: ماهي مصلحتي من تحويل اتجاه التاريخ؟!! وأسألك أيضًا: من هو الذي يساهم في زيادة التخبط وتشويه الحقائق وتشويه التاريخ؟!

أخي، أنت أو، أي إنسان إيزيدي آخر، حُرّ فيما تؤمن وتفكّر به، وأنت حُرّ في أن تعتبر نفسك داسنيًا وزردشتيًا وساسانيًا وشمسانيًا وآريًا، وأن تؤمن بالدين الذي تريده، أو أن تكون لا دينيًا فذاك شأنك... لكن ليس من حقك فرض رأيك على الآخرين وتوصف الذين يخالفونك في الرأي بأنهم يتخبطون ويريدون تحويل اتجاه التاريخ.

وجاء ردّ الأخ حاجي علو في موقع بحزاني في نفس اليوم (31/ 10) على توضيحي له، أنقل نصه:

" أستاذي العزيز أنت ناشر المقال لو كان لك رايًا آخر فيه لنوهت عنه وذكرت أنها "طاؤوسات" الشيخ عدي ولم أكن أتحمل عناء الكتابة وكل قارئ يقرأه يعتبره من رأيك وموافقتك، ولهذا أردت ان أُظهر بطلان ذلك وليفهم القارئ ما يفهم، نفس الشيء بالنسبة للعدد ليس أنت الذي قلت سبعة قالوها قبلك ورجال ديننا بالذات لكني نوهت عن عدم تصديقي، وشكرًا". انتهى الرد.

بمعنى، يفرض عليّ الأخ حاجي أن أدون آرائي بشأن ما جاء في المقال، وإن لم أفعل ذلك، فأنا "أريد تحويل اتجاه التاريخ..... وأزيد من التخبط..."!
هل هنالك سذاجة وقصر نظر وجمود فكري أكثر من هذا؟!

ربما الذي يتابع خط ومضمون أغلب كتابات الأخ حاجي علو، ومن ضمنه مقاله المؤشر إليه اعلاه، يدرك أنه يكرس جهوده للنيل من دور الشيخ آدي بن مسافر وعائلته بين الإيزيدية، ومحاولته ربط الإيزيدية بالديانة الزرادشتية والدولة الساسانية والشمسانية!!

العدو يرى في عدوه جميع الصفات الرديئة!

العنوان مقتبس من كتاب تحت عنوان (المنتظر)، وهو منشور بجزئين، الجزء الأول منه سمُي زورًا بـ "الحقيقة" والجزء الثاني بـ "المقدس"!

بعد الانتهاء من قراءة الكتاب بجزئيه لأول مرة بتاريخ 13/ 10/ 2020، رأيت في العنوان أعلاه الذي أورده كاتبنا الإيزيدي في متن كتابه ردًا على كتاب "اليزيدية في حاضرهم وماضيهم" للسيد عبد الرزاق الحسني، من دون ذكر اسمه، خير عنوان ينطبق على صاحبنا الذي جاهد وحاول أن يرد على التهم التي جاء بها السيد عبد الرزاق الحسني في كتابه، ويصحح التشويهات والأخطاء التي دونها عن الديانة الإيزيدية حسب قراءته لكتاب الحسني، إلاّ أن صاحبنا "بدل أن يكحلها عماها!" كما يقول المثل. فجاءت ردوده انفعالية وفجّة للنيل بالدرجة الأولى من دور ومكانة الشيخ آدي بن مسافر الهكاري وعائلته وخلفائه من بعده والسلالة الآدانية عمومًا، ذلك الشيخ الجليل الذي أجمع المؤرخون وأصحاب كتب السير على صلاحه وزهده وورعه، ذلك الشيخ الذي قال بحقة الشيخ عبد القادر الكيلاني "لو كانت النبوة تنال بالمجاهدة لنالها عدي بن مسافر". قدم هذا الشيخ إلى لالش المقام بين أهله وأبناء جلدته من دون جيوش ودبابات ومدافع، أحبهم وأحبوه وآمنوا به واعتقدوا بأفكاره والموروث الديني المتداول لحد الآن خير دليل.

لا أريد الإطالة هنا، ولست في معرض الدفاع عن هذا الشيخ، فتاريخه معروف للقاصي والداني، مكانته ودوره قائمتان في الديانة الإيزيدية، وصاحبنا رغمًا عنه يعترف ويقول "لقد ساعد الشيخ عدي الدين الئيزدي كثيرًا جدًا ولولاه لما كان هناك ئيزديون الآن فهو الذي اعطاهم الزخم المعنوي اللازم للصمود أمام التيارات الدينية العنيفة جدًا".

فعلاً لولا ظهور الشيخ آدي بن مسافر وعائلته في ذلك التاريخ الحرج لما كنا نسمع بالديانة الإيزيدية الحالية، إلاّ أن صاحبنا تحت الضغط

النفسي والعقلي المضطرب وصل به الحد ليأتي بعد 57 صفحة من كتابه ليستهين بأكبر رمز ديني إيزيدي ويصفه بـ (اللاجئ) تارة و(لائذ)، من ملاذ، تارة أخرى، يكتب: ".. إن الشيخ عدي الأول لم يفعل شيئًا بتاتًا، بل جاء لاجئًا ولما ظهر منه الصلاح والعلم الواسع والتزهد أصبح مفكرًا ومرشدًا للئيزديين ثم سار خلفه أبو البركات على نهجه..."، ويضيف بعد ذلك" "... وإلا فكيف استطاع عربي- يقصد به الشيخ عدي بن مسافر- منفرد لائذ أن يستقطب اهتمام الئيزديين واسترشادهم به مهما يكن له من الصلاح وسعة العلم...!".

ويستمر في بقية كتابه على التشويه والتحامل ولوي الحقائق، حتى يصل به الحد عدم مراعاة عبارات الاحترام (ما عدا مرة أو مرتين) عندما يأتي ذكر الشيخ آدي بن مسافر، في حين يستخدم تلك العبارات (ص) عند ذكر نبي الإسلام محمد و(ع) للمسيح كلما جاء ذكرهم، وأنا مع أسلوب الاحترام ولست ضدها.

لا أنكر بأن هنالك شذرات معقولة في الكتاب يمكن التوقف عندها ومناقشتها، إلاّ أن معظم مضمون وهدف الكتاب المتبقي بجزئيه الأول والثاني (309ص+ 160ص) هو تشويه وتجني على الحقائق، خلط للأفكار، استعلاء على مناهج البحث، نظرة انتقائية كيفية، قفز على الكثير من الوقائع، وتفضيل طرف على آخر، وربط الإيزيدية بدون جدال وبكل عناد بالزرادشتية (مع جل احترامي للديانة الزرادشتية العريقة)، وبالتالي فإن بنيانه الذي يؤسسه تحت يافطة "الحقيقة" يظهر بائسًا يقود المجتمع الإيزيدي، شئنا أم أبينا، إلى التناحر والطائفية والمذهبية المقيتة، ويؤدي إلى الشقاق والمزيد من التفرقة وتفسخ نسيج المجتمع، ويساهم، من حيث يعي الكاتب أم لا، إلى فعل معاول الهدم لبنيان الدين الإيزيدي الحالي!

وهنا أرى كتابه، خاصة الجزء الأول (المنتظر، الجزء الأصفر/ الحقيقة، برلين 2004) أخطر وأكثر حقدًا من كتاب الأصوليين حمدي عبد المجيد وتحسين إبراهيم الدوستكي وأكثر إساءة واستهتارًا بأحد أكبر رموز الديانة الإيزيدية وتشويه للديانة نفسها تحت عنوان "الحقيقة". هنا لا أرغب ولا أود الدخول في سجال عقيم، ولا أريد أن أكون طرفًا

مساهمًا في زرع الطائفية داخل المجتمع الإيزيدي وهم ما زالوا يأنون تحت آثار الإبادة التي حلت بهم آب/ 2014. ولن أكون طرفًا في قضية تافهة تفرق بين بني البشر، لا بل تفرق بين العائلة الواحدة. علمًا ان ما سطرته من ملاحظات على كتاب السيد الإيزيدي تكفي لإصدار أكثر من مجلد تفند ادعاءاته. هنا فقط أكتفي بتسجيل بعض الملاحظات السريعة حول آراء الكاتب للقارئات الكريمات والقراء الكرام وبعدها أطرح بعض المناقشات وما جاد به لنا صفحات التاريخ.

• يخطئ من يدعي امتلاك الحقيقة، فالحقيقة نسبية وليست مطلقة وخاصة في العلوم الإنسانية من تاريخ واجتماع، وفلسفة ودين وسياسة وغيرها.

• الكاتب مصاب بعقدة وهوس "الشفبرات" أي ليلة القدر والتي يطلق عليها (انتفاضة شفبرات/ انتفاضة ليلة القدر) إن صح خبر حدوثها فإنها تعود إلى أكثر من 850 عامًا مضت! لم تذكر في كتب التاريخ وإنما وصل الينا اسمها دون تفاصيلها عبر التناقل الشفاهي، يأتي صاحبنا يكررها ويعلجها 52 مرة في متن كتابه، ويصبغ عليها مفهوم (الانتفاضة) ويسخر كل قدراته للحط من دور ومكانة السلالة الآدانية بقيادة الشيخ حسن بن الشيخ عدي الثاني والصاق تهم كثيرة بها، وفي المقابل اعلاء شأن سلالة أو سلالات أخرى هم في الأساس أولاد عمومة وأولاد أخوال وجميعهم من سلالة (بيت أديان - مالا ئأديان).

• كاتب ذو اتجاه واحد (einbahnstrasse) كما يقال في اللغة الألمانية، لا يعترف ولا يقر بكتب الأجانب، كما يسميه، قط. يعتبر جميعها خاطئة ومحرفة، وإنما يتخذ ملاذه بين "الهمسات الخافتة" و"الهفوات" و"اقتناص الكلمات من أفواه الشياب" مصدرًا غير قابلاً للنقاش ويبني عليه (تاريخه) هو الذي يؤمن! نعم التراث الشعبي وبعض العادات وبعض الأحاديث المتناقلة يمكن الإشارة إليهم، لكن ذلك لا يعتبر دليلاً تاريخيًا أو (التاريخ كله) كما يشتهيه الكاتب!

• ربط الديانة الإيزيدية عنوة وبدون نقاش بالزرادشتية وبالدولة الساسانية، مع جل احترامنا لهذه الديانة العريقة. نحن لا ننكر وجود الكثيرة من العبادات والطقوس والممارسات المتشابهة بين الديانتين،

إلاّ أن الإيزيدية وبناءً على بعض المعتقدات والطقوس كالموقف من (قوة الخير والشر) و(دفن الموتى) و(الصوم وتقديم الأضاحي) مثلاً، تبدو أقدم من الزرادشتية. السؤال: إذا كانت الإيزيدية هي امتداد للديانة الزرادشتية، فلماذا لم يحتفظ الإيزيديون، ومنهم الكاتب نفسه، بنسخة من (زند آفيستا) كتاب الزرادشتية المقدس على أقل تقدير؟!

* لا أدري هل يغفل الكاتب معاني الكثير من الأسماء أو يتعمد بتفسيرها حسب مشتهاه، فمثلاً كلمة (مير) اللاحقة باسم أحد أولياء الإيزيدية والذي يكتب ويقرأ اسمه باللغة الكردية هكذا (ايزدينه مير).

– من هو (ايزدينه مير)؟

يأتي أحد السادة في كتاب له يفسِّر ويشرح لنا بشكل رغبوي عن شخصية (ايزدينه مير)، ويبني عليه "فرضيته"، ويعقد عليه كل اجتهاداته وآماله، ويخرجه لنا شخصية خارج الزمان والمكان، وخارج التاريخ، يصفه مرة بـ (الملك/ الملاك) وتارة بـ (الأمير) ويجعلهم من طبقة (الأبيار-بير) وبالتالي ندًا للشيخ عدي وخلفائه من السلالة الآدانية! دون أن يدرك بأن (ايزدينه مير) هما شخصيتان وليس شخصية واحدة. يأتي يفسر ويترجم اللاحقة (مير/ الأمير) بمعنى صاحب ورئيس الإمارة، ويؤسس عليها جميع أوهامه! [٣٥] (راجع السيد حاجي أبو سينم، المنتظر، الجزء الثاني-المقدس، مطبعة هاوار/ دهوك، الطبعة الأولى، ص 53)، علمًا أن (ايزدينة مير) هو النطق الكردي للاسم العربي (عز الدين أميران) فالأكراد الذين لم يدخلوا المدارس ولم يتقنوا اللغة العربية، أو لم يحتكوا بالعرب، يصعب عليهم تلفظ اسم (عز الدين) فيلفظوها (ايزدين= ئيزدين). أما (مير) التي فسرها كاتبنا برئيس الإمارة، ما هو الا تخفيف للاسم (ميران) والد عز الدين، وتخفيفًا لنطق الاسمين معًا تحول (عز الدين أميران) إلى (ايزدينه مير)!!

تزوج (ميران/ أو أميران) جد الشيخ شمس والشيخ فخر الدين من إحدى

(٣٥) راجع السيد حاجي أبو سينم، المنتظر، الجزء الثاني-المقدس، مطبعة هاوار/دهوك، الطبعة الأولى، ص ٥٣.

بنات الشيخ حسن بن الشيخ عدي الثاني، أنجبا ولدًا سماه (عز الدين) الذي نحن بصدده، وتزوج (عز الدين) بامرأتين، احداهن السيدة عرب (ستيا عرب) أخت الشيخ عنتوش وأنجب منها ناصر الدين (ناسردين) وسجاد الدين (سجادين)، والأخرى هي السيدة (زين) ابنة خاله الشيخ شرف الدين بن الشيخ حسن، وأنجبا ولدين هما (شمس الدين وفخر الدين). [٣٦] (راجع السيد بدل فقير حجى، لالش نامه، طهران، الطبعة الأولى 2019، ص24. حتمًا معلومات السيد بدل بهذا الشأن مستقاة من والده وهو من أكبر علماء الدين الإيزيدي في القرنين 21-20 وهي صحيحة طبقًا للمصدر.)، يقول النص الديني:

شەمسەدینەو فەخرەدینە / شمس الدين وفخر الدين

هەردوو پسێت ستیا زینە / كلاهما ابنا السيدة (زين)

هەردوو خەلفەتێت ئێزدینە / وكلاهما خلف/ ابنا (عز الدين)

هەردوو نەڤیێت شەرفەدینە [٣٧] / وكلاهما أحفاد (شرف الدين) [٣٨].

(البيت-سه به قه- الأول من قصيدة "الشيخ شمس وملك فخر الدين". ينظر كتاب د. خليل جندي، صفحات من الأدب الديني الإيزيدي، مصدر سابق، ص 693.)

النص الديني صريح لا يقبل التأويل، يبين بأن (الشيخ شمس الدين والشيخ فخر الدين) كلاهما أولاد الشيخ عز الدين (ايزدين-ئيزدين) بن (ميران) الذي تزوج من بنت الشيخ حسن. إذا كان (ميران) قد تزوج من ابنة الشيخ حسن بن عدي الثاني، وابنه (عز الدين) تزوج من ابنة خاله شرف الدين بن الشيخ حسن، معنى ذلك أن (ميران) عاش في عهد الشيخ حسن وهو أصغر منه سنًا، وكذا الحال مع (عز الدين) فهو أصغر سنًا من

(٣٦) راجع السيد بدل فقير حجي، لالش نامه، طهران، الطبعة الأولى ٢٠١٩، ص٢٤. حتمًا معلومات السيد بدل بهذا الشأن مستقاة من والده وهو من أكبر علماء الدين الإيزيدي في القرنين ٢٠-٢١ وهي صحيحة طبقًا للمصدر.

(٣٧) البيت (سه به قه) الأول من قصيدة (الشيخ شمس وملك فخر الدين). ينظر كتاب د. خليل جندي، صفحات من الادب الديني الإيزيدي، مصدر سابق، ص ٦٩٣.

(٣٨) بمعنى أن جدهم من جهة الأم هو شرف الدين بن الشيخ حسن. ولمزيد من المعلومات يمكن مراجعة مقال للسيد نادر شمو، تحت عنوان «شيخ الأكراد...الشيخ حسن»، الحلقة الثالثة.

الشيخ شرف الدين. علمنا أن الشيخ حسن عاش خمسون عامًا للفترة بين (1196-1154م). وإذا راجعنا النص الديني (قه ولى به حرا= قول البحور) وقمنا بتفسيره بشكل دقيق، يكشف لنا من هم (عائلة أديان) وحينها سوف تتبدد أحلام حاملي لواء تشويه تاريخ الديانة الإيزيدية ومعاداة رموزها وفي المقدمة منهم الشيخ آدي بن مسافر وخلفائه. نقتبس بعض الأبيات من النص الديني (قول البحور):

-15 باجارەکەو چار شورن / مدينة ذات أربع أسوار

تێ هەينە يانزدە خەندەکێت کورن / وتضم إحد عشر خندقًا

هەفت دتارينە، چار بنورن / سبعة خنادق مظلمة وأربعة منورة

-17 دەرگەهەکی عەيانە / باب واضح

کورسيەکە بشەش پێيانە / وكرسي بستة أرجل

قەنديلەکەو چار چرانە / وقنديل ذات أربعة مصابيح

-18 چار چراو فتيلەک / أربعة مصابيح بفتيلة واحدة

دوو مەنبەرو قەنديلەک / منبران بقنديل واحد

هەشت دەرکەو کليلەک [٣٩] / ثمانيةُ أبواب بمفتاح واحد!

المدينة، حسب تفسير علماء الدين الإيزيدي، إشارة إلى الشيخ أبو البركات صخر بن مسافر شقيق الشيخ آدي بن مسافر، والخنادق الأحد عشر يرمز إلى أبنائه، الأربع المنورين (خەندەکێت بنور) هم: -1 الشيخ عدي الثاني الملقب بالكردي، وأبو المفاخر، المولود سنة 1132 ميلادية والمتوفي سنة 1217 ميلادية. -2 الشيخ أبو بكر بن صخر. -3 الشيخ عبد القادر بن صخر. -4 الشيخ إسماعيل بن صخر. أما الخنادق السبع المظلمة (خەندەکێت تارى)، فترمز إلى: -1 الشيخ أحمد بن صخر. -2 الشيخ سفيان. -3 الشيخ موسى. -4 الشيخ مساف بن صخر. -5 الشيخ محمد. -6 الشيخ ربيع. -7 الشيخ مروان. ويمكن تفسير (الخنادق المنورة) بأن الأبناء الأربعة التي أشرنا لهم، كانوا على جانب من العلم والمعرفة والشهرة بحيث أصبحوا عماد العائلة، أما (الخنادق الظلمة)

(٣٩) انظر د. خليل جندي، صفحات من الأدب الديني الإيزيدي، مصدر سابق (قول البحور) ص ٢٤٠-٢٤٥.

فهي إشارة إلى الأبناء السبعة الذين لم يجهدوا نفسهم بامور الدين، أو ربما كانوا مخالفين لاتجاه أخوتهم الأربعة!!

القنديل يرمز أيضًا للشيخ صخر بن احمد بن مسافر، والمصابيح الأربع ترميز لأبنائه الأربع المنورين، والجملة (أربعة مصابيح وفتيلة واحدة) هي إعادة بصيغة أخرى للشيخ صخر وأبنائه الأربع.

الشيخ ميران تزوج من إحدى بنات الشيخ حسن بن آدي الثاني (الملقب بشمس الدين)، لم أطلع على اسمها لحد الآن، وقد أنجبا ولدًا سموه عز الدين (ئێزدين)، وهو الذي اشتهر بـ (ئێزدينه مير). و(عز الدين/ ئێزدين) هو ابن أخت الشيخ شرف الدين بن الشيخ حسن، تزوج من (زين) بنت خاله شرف الدين بن الشيخ حسن. الشيخ عز الدين والسيدة زين أنجبوا أربعة أبناء، سمى الأول (شمس الدين) تيمنًا بلقب جده من الأم (الشيخ حسن) والثلاثة الآخرين (الشيخ فخر الدين والشيخ ناصر الدين والشيخ سجادين)، وهؤلاء هم الذين سموا بالعائلة الشمسانية/ أو الشمسانيون نسبة إلى الأخر الأكبر شمس الدين. وهؤلاء من العائلة الآدانية بما لا يدع الشك. لا التاريخ العام ولا التاريخ الشفاهي الإيزيدي يذهب بتسلسل نسب العائلة أكثر من (ميران).

ونكون من الشاكرين لمن يتحفنا بمعلومات في هذا الجانب خاصة إذا كانوا أمراء أو أصلهم من (الأبيار- جمع بير) ومتنفذين في المنطقة قبل مجيء الشيخ آدي بن مسافر وجماعته اليها. أنا شخصياً أرجع أن يكون والد (ميران) أحد أبناء الشيخ صخر بن أحمد بن مسافر من الوالدة السيدة زبيدة، والذين اعتبروا من ضمن أسماء (الخنادق المظلمة) وربما المناوئين لإخوانهم الأربعة!!

يبدو أن الصراعات بين الأخوة الأحد عشر كانت تتحرك تحت الرماد زمن والدهم أبو البركات صخر بن أحمد بن مسافر، واستفحلت زمن الشيخ حسن بن آدي الثاني ودخل الأحفاد (العائلة الشمسانية) على الخط، وتهدئة للموقف وترضية للأطراف تم استحداث منصب (الوزير).

– معلومات تفيد الذكر:

* الشيخ عز الدين بن زين الدين بن عيسى بن الشيخ عدي الثاني، هو الذي لقب بـ (أمير الأمراء) وكان مقره في الشام، أراد أن يقوم بانتفاضة آنذاك، لكن قبض عليه ومات في السجن سنة 1331 ميلادية. ونقل أحمد تيمور باشا عن السخاوي في تحفة الأحباب، الذي رأى لعز الدين أميران ترجمة في الدرر الكامنة للحافظ ابن حجر جاء فيها إن عز الدين أميران هو ابن بنت الشيخ عدي، قدم إلى الشام فوُلي بها الإمرة، وكان قومه يأتون إليه من كل فجّ، ويتقربون إليه بالأموال، ثم شاع أنهم يريدون الخروج على السلطان، فأمسك الناصر من كان منهم بالقرافة (...) فحبس وكان حبسه سنة 731 هجرية". ويقول أحمد تيمور: "كيف يتفق أن يكون عز الدين ابن بنت الشيخ عدي؟" ويقصد الشيخ عدي بن مسافر الذي كان أعزبًا. وهنا يقول: "الظاهر أن في نسخة الدرر الكامنة التي وقفنا عليها تحريفًا، بأن يكون قوله: "بن بنت الشيخ عدي" محرفًا عن: "من بيت الشيخ عدي" ولا سيما أن لفظ "ابن" ورد بالنسخة مرسومًا بغير ألف، ويسهل تحريفه من لفظ "من" [٤٠]. إذن أحمد تيمور يعتبر عز الدين ميران من بيت الشيخ عدي.

* الشيخ زين الدين يوسف بن شرف الدين بن الشيخ حسن، ذهب لمصر طلبًا للعلم وتوفي هناك سنة 1325 ميلادية.

* تعتبر (العائلة الشمسانية) الجيل الثاني من العائلة الآدانية، وجاءت بعد زواج (ميران) من بنت الشيخ حسن، وزواج ابنه (عز الدين) فيما بعد من (زين) ابنة خاله شرف الدين بن الشيخ حسن. والشمسانية هنا هو لقب منسوب إلى الشيخ شمس الدين بن عز الدين بن ميران، وليس له علاقة بعبادة الشمس قطعًا، جميع الإيزيديين يقدسون ويعبدون الشمس كأحد تجليات الخالق، وجميع الإيزيديين هم شمسانيون.

إذا كانت الكلمة فعلاً تدل على (المير) رئيس الإمارة، حينها يطلب منه أن يزود القراء بمصدر تأريخي واحد يذكر فيه اسم الإمارة وعاصمتها واسم أميرها قبل مجيء الشيخ عدي للمنطقة؟

(٤٠) أحمد تيمور باشا، اليزيدية ومنشأ نحلتهم، مؤسسة هنداوي/القاهرة ٢٠١٢، ص ٣١-٣٢.

* نعم هنالك شخصيات لعبت دورًا محترمًا ومشرفًا سواء بين الأديان أو المجتمعات، إلاّ أن التضخيم والمغالاة وأطلاق ألقاب كبيرة في غير محلها لشخصيات وأشياء، هو ملاذ الضعفاء. كنا نتمنى احتواء التاريخ الإيزيدي أسماء العشرات من الفلاسفة والعباقرة، لكن مع الأسف لم نسمع بوجود هؤلاء، ربما كان هناك حكماء وأدباء وشعراء ودهاة سياسة قياسًا لزمانهم.

* من الأخطاء العلمية الفادحة النظر إلى التاريخ كمادة جامدة لا حركة ولا حياة ولا تأثير وتأثر فيها. التاريخ كأي كائن حي له ديناميكيته وجدليته تسير حسب القوانين الموضوعية وليس حسب رغبة هذا الكاتب أو ذاك.

* ومن السذاجة النظر إلى المعتقدات والأديان بمنظار قومي عنصري، فالمعتقد والدين مرتبط بفكر الإنسان الذي يؤمن بقوة ما وراء الطبيعة وغيبية أو الإيمان بقوة موجودة في الحجر أو الشجر أو الحيوانات أو في الظواهر الطبيعية، مقابل بشر لا يؤمنون بكل ما قيل. فما دام العقل هو سلطان الإنسان في علاقته مع العالم الخارجي، بهذا المعنى تصبح الأفكار الدينية أممية عابرة للحدود والقارات لا دخل لهذه القومية أو تلك بها.

* إذا ظل الإيزيديون يعيشون في التاريخ ويتمسكون بمآسيه ويتركون الواقع، سوف يكون مصيرهم انتكاسة بعد أخرى، وهزيمة تلو الهزيمة، وبالتالي الانحدار نحو الاضمحلال. فبعض الكتبة وتحت عنوان "الحقيقة" ينبش في ترهات التاريخ ويساهم من حيث يدرك أم لا، في هدم ما تبقى من بنية الديانة الإيزيدية!

* الكتاب الذي نحن بصدده، لا يخلو من بعض الشذرات الجيدة التي يمكن التوقف عندها، إلاّ أنه في محصلته النهائية هو تهديم الديانة التي تربى عليها الإيزيديون، وتشويه للفكر وتزييف التاريخ، وزرع للشك، تكريس للطائفية ودعوة للتناحر بين (الآدانية، الشمسانية، القاتانية، البيرانية، والمريد)، وبالتالي خدش وانتهاك صارخ لمشاعر آلاف المؤمنين الإيزيديين، هذا فضلاً عن وجود العديد من المغالطات والافتراءات والتفاسير الكيفية والانتقائية والاقصائية ومواقف مسبقة.

* لمن يشكك بالانتماء القومي أو الاثني للشيخ عدي بن مسافر وخلفائه من بعده، ويطلبون ويزمون بمناسبة وغيرها بعروبة العائلة الآدانية، مع جل احترامي للعرب وكافة القوميات والإثنيات في العالم كافة، هذا هو فحص ال (DAN) لشيخين من شيوخ الشيخ حسن بن الشيخ عدي الثاني.

مريد – سلوني – هسكاني	J-M172 (J2)	PF5056	لا
شيخ – سلوني - شيخمن	R-M198 (R1a)	Z94	نعم
شيخ – شلكال - شيخمن	R-M198 (R1a)	Z94	نعم
مريد – بحزاني - هكاري	J-M172 (J2)	PF7384	كلا
مريد – بعشيقة - فاتي	J-M267 (J1)	غير محدد	كلا
شيخ – باعذرة – شمسداني	R-M269 (R1b)	Z2103	نعم
شيخ – بابيرة - قاندي	R-M269 (R1b)	Z2103	نعم
مريد – سيبه شيخ خدر - قيران	R-M198 (R1a)	Z93	نعم
مريد - بعشيقة - بلاسيني	R-M198 (R1a)	Z93	كلا
مريد – بعشيقة - هكاري	J-M172 (J2)	PF7394	نعم

العدو يرى في عدوه جميع الصفات الرديئة! [٤١]

- الصراع بين الجهل والعلم، والسياسة تطمس الحقائق...

سقوط الأنظمة الدكتاتورية (كما هو الحال في العراق عام 2003) يخلّف أزمات سياسية واقتصادية واجتماعية، وتنهار مؤسسات الدولة ويضعف القانون، فيلجأ الناس إلى الاحتماء بالدين وسلطة العشيرة والآغا، ويتراجع الفكر الحر لصالح الإيمان بالخرافات والفكر الغيبي وكذلك الفلتان في معظم المجالات، وفقدان الثقة والتنكر للكثير من القيم بما فيها المحسوبة على (المقدس)...

والمكون الإيزيدي في العراق لا يشذ عن هذه القاعدة، بل كان نصيبه أكثر من بقية مكونات الشعب وشرائج المجتمع العراقي نتيجة ما تعرض له من إبادة على يدي عصابات تنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام (داعش) الاجرامية بتاريخ 3/ آب/ 2014. وأضافت (نعمة) الإنترنت ووسائل التواصل الاجتماعي من قبل البعض، عاملاً آخر من عوامل تشوية الحقائق، وزرع بذور التفرقة وعدم الثقة والتهجم على رموز دينية من دون حق ومن دون دراية بحركة التاريخ، وبدل أن يعمل هؤلاء من معالجة جراحات ومخلفات الإبادة المدمرة، وإيجاد حلول لانتشال المجتمع الإيزيدي المشتت حاليًا من وضعه المأساوي، نجد على وسائل التواصل الاجتماعي تعليقات وفيديوهات وندوات على (البالتوك)، وفي الجانب الورقي اصدار كتب بألوان مختلفة وتحت عناوين لا تمت إلى الحقيقة ولا المقدس بصلة بتاتًا، تأتي جلّ تلك المحاولات تحت ردود انفعالية وفجّة للنيل بالدرجة الأولى من دور ومكانة الشيخ آدي بن مسافر الهكاري وعائلته وخلفائه من بعده خاصة والسلالة الآدانية عامةً، ذلك الشيخ الجليل الذي أجمع المؤرخون وأصحاب كتب السير على صلاحه وزهده وورعه، ذلك الشيخ الذي قال بحقة الشيخ عبد القادر الكيلاني "لو كانت النبوة تنال بالمجاهدة لنالها

(٤١) كوتنكن في ٢٠٢٠/١٠/٢٢.

عدي بن مسافر". (الشيخ محمد الحنبلي، قلائد الجواهر في مناقب الشيخ عبد القادر الكيلاني، ص85).

- الشيخ آدي بن مسافر لم يكن لاجئًا إلى لالش!

لست في معرض الدفاع عن هذا الشيخ الجليل باعتباره جدنا الأعلى، فتاريخه معروف للقاصي والداني، مكانته ودوره قائمتان في الديانة الإيزيدية، إلاّ أن وقفتي هنا هو كمطلع متواضع على تأريخ الديانة لصد حملات التشوية والتحامل ولوي الحقائق وتزوير التاريخ القائمة من قبل البعض بحق الشيخ آدي بن مسافر وبحق سلالته. مما يثير الاستغراب أن يأتي البعض من رافعي رايات التشويه الاستهانة بأكبر رمز ديني ووصفه بـ (اللاجئ) تارة و(لائذ) تارة أخرى!! ومستغربًا "كيف استطاع عربي- يقصد به الشيخ عدي بن مسافر-منفرد لائذ ان يستقطب اهتمام الإيزيديين واسترشادهم به مهما يكن له من الصلاح وسعة العلم.؟!" حتى أن أولئك في أحاديثهم أو كتاباتهم عن الشيخ آدي لا يراعون عبارات الاحترام في حين يكثرون من حروف (ص) و(ع) و(رع) عندما يأتي ذكر أسماء أنبياء وأولياء آخرين! علمًا أنا مع أسلوب الاحترام ولست ضده.

نشرت قبل ثمانية عشر عامًا، بالضبط بتاريخ (31/ آب/ 2002) مقالاً من (24) صفحة تحت عنوان: (الشيخ آدي مجدد الديانة الإيزيدية وليس مؤسسها/ الإيزيدية ليست بطائفة إسلامية) في معرض ردي على مقال للسيد نزار آغري حينها تحت عنوان (الشيخ عدي وطاووس ملك). بما أن عناصر حملات التهجم والتشويه هي واحدة تقريبًا رغم فارق السنين، أرى من الضروري نقل فقرات ضافية من ذلك المقال ووضعها أمام أنظار القارئات الكريمات والقراء الكرام وكذلك أمام عيون الفرسان الإيزيديين رافعي راية معاداة الشيخ آدي الأول وخلفائه وإلغاء دورهم وتشويه التاريخ الإيزيدي:

" الشيخ آدي بن مسافر ليس بنبي ولا بمؤسس الديانة الإيزيدية، بل مجددها، ولولا الضوابط والتعاليم التي رسمها لهم في تلك الحقبة من صراع الأديان والمذاهب، ولولا تقبله ولو شكليًا لبعض العقائد الإسلامية

من باب التقية، لذابت الإيزيدية فعلاً في بحر الإسلام ولم نكن نلمس عنهم من أثر اليوم!.. فالشيخ آدي هو الذي رص صفوف الإيزيديين وأعاد تنظيمهم روحيًا واجتماعيًا بفضل علمه الغزير ومعرفته الواسعة وكراماته وقوة تأثيره، ووصلهم إلى برّ الأمان ليومنا هذا وعليه احتل مكانته العظيمة بين الإيزيديين ونظروا إليه بعين التبجيل وأصبحت العديد من الطقوس والرموز باسمه، مثل: (طاووسا الشيخ آدي، قەواليّت شيخ ادى، مالا شيخ ادى" لالش"، چلێ شيخ ادى...).

ولم يكن هذا الشيخ الكبير، رغم ولادته في بيت فار- شوف الأكراد- بعلبك، غريبًا عن أهله وجذوره وانتمائه القومي وجبله الشامخ (هكار)[٤٢]، حتى أن اسم والد الشيخ آدي (مسافر) يوحي أنه ليس اسمًا بل صفة، أي (المهاجر)، لكن من أين؟ بالطبع لقبه (الهكاري) يجيب عن السؤال. فإن الاحتمال الكبير والمنطقي يدور حول سفر أو هجرة أجداد الشيخ آدي في زمن يعتقد أنه ليس بالبعيد، من منطقة (هكار) إلى الشام والاستقرار في منطقة بعلبك حيث ولادة الشيخ آدي والذي يعرف ليومنا هذا بـ "شوف الأكراد". وليس صدفة أن يردد الكرد ليومنا هذا في أحد أمثالهم الشعبية: (شام شه كره، وه لات شيرينتره = ما معناه: بلاد الشام حلوة أما الوطن فأحلى!) أليس هذا حنين إلى الوطن وأرض الأجداد؟

إلاّ أن السؤال: متى ولماذا تمت هذه الهجرة ولماذا من هكار إلى الشام؟ فهذا ما يحتاج إلى المزيد من البحث والتنقيب. وأن آراء بعض الكتّاب الذين يقولون إن (أحمد) كان اسم والد الشيخ عدي وكان من الأكراد التيراهية، رأي لم ينبع من فراغ وينبغي ألا يهمل عند دراسة حياة وظاهرة الشيخ آدي.

ولو كان الشيخ آدي مسلمًا ومتصوفًا عربيًا- حسب رأي السيد نزار وغيره من الكتّاب- وقدم إلى معبد لالش هربًا من ملاحقة العباسيين لآل البيت الأموي واحياء خلافتهم (تم أول مبايعة أبو العباس السفاح عام 132هجرية، فأبو جعفر المنصور عام 137 هجرية)، أي أن هنالك

(٤٢) راجع في هذا الشأن: الشيخ آدي بن مسافر... بين سندان الحقيقة ومطرقة الكتّاب، بقلم صقر شنكالي، مجلة لالش/ دهوك، العدد١٧، كانون الثاني/٢٠٠٢.

حوالي 200 سنة بين استلام العباسيين للخلافة ومجيء الشيخ آدي إلى لالش. إذن نظرية هروب الشيخ آدي من العباسيين واحياء الخلافة الأموية بعد مائتي عام، نظرية مشكوك فيها، غرضها الإساءة لمكانة الشيخ آدي.

وإذا كان الشيخ آدي يبحث لنفسه عن المجد الشخصي ويتنكر لدين آبائه، لماذا "يسير ذكره في الآفاق ويتبعه خلق كثير ويتجاوز اعتقادهم فيه الحد الذي جعلوه قبلتهم التي يصلون إليها وذخرهم في الآخرة التي يعولون عليها (...) وينقطع إلى جبل الهكارية من أعمال الموصل، ويبني له هناك زاوية، ويميل إليه أهل تلك النواحي كلها ميلاً لم يسمع لأرباب الزوايا مثله". (٤٣)

نقول إذا كان "مسلمًا ومتصوفًا عربيًا" كيف يحتل بهذه السهولة مكانته وشهرته بين أهل تلك النواحي كلها- حسب شهادة ابن خلكان- وكيف يقبلون تعاليمه دون ردّ فعل يذكر، إذا لم يكن هنالك نسيجًا روحيًا يربط تعاليم الشيخ آدي مع عقيدة أهل المنطقة التي عاد اليها. وبشأن مكانة الشيخ آدي في نص ديني في غاية الأهمية، يمكن مراجعة كتابي: "نحو معرفة حقيقة الديانة الإيزيدية، طبعة السويد، رابوون 1998، ص265".

ظاهرة التصوف ظهرت قبل الإسلام، وهي تتصل بشكل قوي بالأديان الهندوسية والزرادشتية والمانوية والبوذية وكذلك الإيزيدية، وأن الإسلام الأصولي يحارب ظاهرة التصوف ويعتبره هرطقة وكفر وإلحاد. ودخلت هذه الظاهرة إلى الإسلام من خلال الشعوب الهندو إيرانية التي انضوت تحت لواء الإسلام في فترة الغزوات وفتح البلدان بقوة السيف وإجبار معتنقي الأديان الأخرى الدخول في الدين الجديد. وما أن ملأت بيوت مال المسلمين وخزائن الخلفاء والولاة والأمراء من أموال ومجوهرات بلاد فارس وسمرقند وبخارى والهند والصين شرقًا إلى اسبانيا غربًا وبلاد الروم شمالاً، وهدأت صهيل الخيول وصليل السيوف في عهد الخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز (720-681م)، الذي دعا إلى الإصلاحات الإدارية والمالية والدينية وترتيب البيت الإسلامي، برزت بين الشعوب

(٤٣) ابن خلكان: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، المجلد٣، ص٤١٥.

والقوميات غير العربية شخصيات ورموز تحن إلى معتقدات وطقوس أجدادها التي تحمل البراءة وتعشق الطبيعة وتشّد الفرد إلى السّماء من دون وسيط ولا نبي يدلهم إلى خالقهم؛ ما دام الخالق قد أهداهم، أو ترك عندهم وكيله المسمى" العقل" بحيث يستطيعون بواسطته البحث عن الحقيقة الإلهية وحقيقة الوجود والعدالة وتمييز الخير والشّر عن بعضهما... الخ.

نعم بين القوميات غير العربية ظهر رموز كبار المتصوفين أمثال: الحسين بن منصور الحلاج (922-828م) من عشيرة حلاجيان بكردستان إيران، الشيخ عبد القادر الكيلاني (ت 561هجرية/ 1166م)، إبراهيم بن أدهم" براهيمى ئاده ما- مير براهيم" في الأدب الديني الإيزيدي (ت 161هجرية/ 778م) أصله من مدينة بلخ، شهاب الدين السهروردي (ت 587هجرية/ 1191م) اتّهم بالإلحاد وقتل في حلب. الشيخ بايزيد البسطامي، جلال الدين الرومي (1273-1207م)، فريد الدين مسعود (1265-1175) ولي صوفي هندي جشتيّ، يؤممه المسلمون والهندوس والسيخ. الشيخ أدي بن مسافر (1161-1078م) هكاري الأصل. فريد الدين العطّار (ت 1230م)، شمس الدين التبريزي، قضيب البان الموصلي (ولد بالموصل عام 1078م) وهو كردي من قرية تربه سبي/ القوش."

نعم قدم الشيخ آدي بن مسافر ومن معه آنذاك إلى لالش المقام من دون أن يكن على رأس جيش أو يكن لديه طائرات ودبابات وصواريخ، ولم يأت ويقطع أكثر من الف كيلومتر من بيت فار/ بعلبك بلبنان إلى لالش من أجل نزهة سياحية، بل يفترض أن يكون قدومه من وجود أرضية وعلاقة مع جماعة بانتظاره (المسيرة والأقوال والسبقات التي تتحدث عن مجيئه: علي الهكاري الذي كان يسكن قرية كلي خديدا، وقصته معروفة بين الإيزيديين، مع قصة محمدي ربن وغنمه/ قول "بير شرف"...)، بمعنى أنه قدم بين أهله وأبناء جلدته، أحبهم وأحبوه وآمنوا به واعتقدوا بأفكاره، والموروث الديني المتداول لحد الآن خير دليل.

إذن الشيخ آدي بن مسافر وعائلته وجميع الذين صاحبوه من (بيت فار) إلى لالش، لم يكونوا أناسًا طارئين على المنطقة التي قدموا اليها،

ولا لاجئين ولا فارين من سلطة العباسيين ليتركوا بعلبك في أرض الشام إلى (الملاذ) لالش!

كما أن الإدعاء بأن هؤلاء دعوا إلى إحياء الدولة الأموية، إدعاء عار من الصحة، فلم نسمع في التاريخ بأن متصوفين كبار، ومن ضمنهم (الشيخ آدي)، قادوا ثورات ودعوا إلى احياء دول بقدر نظرتهم الخاصة إلى الكون والخليقة وموقفهم من العالم وعلاقتهم مع الخالق!

أما بشأن ما يطرح من بعض الكتبة بالانتماء الأموي أو العربي لهذه العائلة، نود أن نناقش ذلك بالمنهج العلمي، أي بالدليل والحجة التي لا تقبل الشك مقابل التعصب والنظرة القومية الضيقة والعاطفة الوجدانية. وهنا ألتجأ إلى أحدث الاكتشافات العلمية وهو علم الجينات، وإلى مؤسس علم جينولوجيا الحمض النووي (DNA) البروفيسور أناتولي كليوسوف (Anatoly Klesov) في كتابه (الإنسان بين العلم والأسطورة/ شجرة النسب/ والتاريخ الجيني للإنسان، ترجمة عبد الله أحمد) في معرض حديثه إلى الآريين، نلخص ما يهم موضوعنا:

يقول بأن الآريين سلالة قديمة جاءوا إلى شمال الهند قبل (3500 ق.م) وذلك من خلال استناد المؤرخين إلى معطيات علم الآثار ودراسة وتحليل الحمض النووي (DNA) لرفات المجموعة الفردانية (R1A) المكتشفة عند البشر القدماء في أراضي السهل الروسي التي تمتد من بحر البلطيق غربًا حتى جبال الأورال شرقًا، ومن البحر الأسود شمالاً إلى بحر قزوين جنوبًا، تبين أنه ثمة سلالة ما في قديم الزمان حمل أبنائها المجموعة الفردانية (R1A). ومن المعروف أن هذه المجموعة الفردانية هي طفرة من المجموعة الفردانية (R1)، وهي بدورها مجموعة متفرعة من المجموعة (R). اما المجموعة الأقدم (R) فقد اكتشفت في رفات صبي عاش في جنوب سيبيريا قبل 24000 أربعة وعشرون ألف سنة قبل الميلاد. هذه اللقية عثر عليها أثناء التنقيب في واحدة من أقدم أماكن تواجد الإنسان تقع عند مقربة من قرية مالتا إلى الغرب من بحيرة بايكال. وفرع (R1A) بدأ من هناك وكذلك (R1B) أتيا من هناك إلى أوروبا بطرق مختلفة. الفرعان وصلا في نهاية المطاف إلى أوروبا وسلك حاملو المجموعة الفردانية (R1B) عبر سيبيريا، كازاخستان وجنوب جبال أورال وعبر نهر الفولغا، ثم غادروا إلى الشرق الأوسط ومنها إلى

أوروبا عبر شبه جزيرة ايبريا (شبة الجزيرة العربية)، يبدو أن الطريق كان مجربًا من قديم الزمان، لأن العرب الأمويين قد مضوا إلى هناك أيضًا ربما بالطرق نفسها. وأن الآريين شكلوا العرق الأوروبي الجنوبي، أي أولئك الذين يعيشون على جانبي البحر الأبيض المتوسط ويشكلون المجموعتين الفردانيتين (R1A) و(R1B). إن حاملو المجموعة الفردانية (R1A) قبل أن تصل المجموعة الفردانية (R1B) بكثير، وللمجموعة (R1A) أكثر من 700 مجموعة فرعية؛ واحدة منها على درجة كبيرة من الأهمية هي المجموعة (R1AZ645)، وبحسب جميع التعريفات فان حاملي تلك المجموعات كانوا آريين. لقد ظهرت تلك المجموعة قبل 6000 ستة آلاف سنة من الآن، وهذا ما يتطابق مع ما يفترضه علماء اللسانيات ويقولون إن اللغات الهند وأوروبية السلف راحت تنقسم قبل ستة آلاف سنة تقريبًا إلى فروع مختلفة، لذلك يمكن الافتراض أن أولئك هم الآريين الحقيقيون ثم كفرضية مثيرة للجدل عن استيطان المجموعتين الفردانيتين (R1A) و(R1B) في أوروبا.

ويضيف البروفيسور كليوسوف أن حاملي المجموعة الفردانية (R1B) وفق الفرضية التي طرحتها عالمة الآثار والمختصة بالدراسات الثقافية (ماريا غيمبوتس)، راحوا قبل حوالي 5000 آلاف سنة يشنون غارات على الأماكن التي تعيش فيها المجموعة الفردانية (R1A) وصاروا يعملون على افناء السكان المحليين، وكانت في الواقع إبادة جماعية. واستمرت الإبادة التدريجية التي قامت بها المجموعة الفردانية (R1B) ألف سنة تقريبًا، وعلى هذا النحو طرد حاملو المجموعة الفردانية (R1A) ومن يقوا من تلك المجموعة على قيد الحياة إلى حيث شاءت له الأقدار، رحلوا إلى أراضي الجزر البريطانية وما عرف لاحقًا بإسكندنافية، وآسيا الصغرى والسهل الروسي، بذلك حافظ حاملو المجموعة على وجودهم، وأنقذوا رصيدهم الجيني قبل خمسة آلاف سنة، فاستمرت ذريتهم وانقسمت إلى بضعة فروع. مضى جزء من ذريتهم جنوبًا نحو الهند هناك قبل حوالي 3500 ثلاثة آلاف وخمسمائة سنة وصل أولئك الآريين أنفسهم إلى الهند، وعند وصولهم إلى هناك، حسب إحدى الفرضيات، انعزلوا فورًا عن السكان المحليين، وبذلك شكلوا منها الطبقة النخبوية (كاستا)، ومنذ ذلك الحين وإلى الآن نجد أغلبية ممثلي الطبقة العليا في الهند

يمثلون المجموعة الفردانية R1A. (تصل النسبة 75%). إنهم أحفاء أولئك الآريين الذين جاءوا إلى الهند من جنوب الأورال (وهنالك مصادر تقول إنهم جاءوا من إيران)، وتلك المجموعة من الآريين وصلوا حتى إلى أراضي طاجكستان الحالية، وعاشوا هناك على مدى بضعة قرون ثم مضت إلى إيران.

كلمة آري كانت تعني: الحر، النبيل، كريم النسب. وهذه الكلمة لم تكن تعني العرق بالضرورة. وكلمة (آري) تعني أيضًا: "الانعزال عن الغرباء". (لحد الآن تستخدم كلمة "آيرى" في لهجة الإيزيديين بمعنى الانعزال) ان الآريين القدماء كانت تغلب عليهم مجموعة الفردانية R1A، أما المجموعات الفرعية، وخاصة المجموعة R1AZ645 فكانت تعود فقط لمجموعة معينة من الآريين، ومن كل من هذه المجموعات الفرعية ظهرت ذريات وجدنا في أحماضهم النووية علامات وأسماء مختلفة لمجموعة فردانية واحدة R1A، وهؤلاء هم: السلاف، الإيرانيون، الهندوس، الباكستانيون المعاصرون، وأخيرًا العرب. ويذكر البروفيسور كليوسوف أناتولي في كتابه: يتفق علماء الآثار واللغويون على أن الآريين الأوائل أو آريي العصر الباكر، أو الهند وآريين، بلغوا أراضي مملكة ميتاني في سوريا الحالية قبل 3600 ق.م. من الآن، وكقاعدة عامة يخلص الباحثون اللغيون وعلماء الآثار إلى أن هؤلاء كانوا من النخبة، أي أن عدد من موروثات ذلك الزمن المكتشفة قد كتبت باللغة الحّرانية وضمنًا المبحث الشهير هكذا تكلم كيكولي مدرب الخيول من بلاد ميتاني.) (الإنسان بين العلم والأسطورة/ شجرة النسب/ والتاريخ الجيني للإنسان، ترجمة عبد الله أحمد، ص236)، ويقول لو تحدثنا بدقة وفي زمننا الحالي تشكل المجموعة الفردانية R1A بين العرب 9% بين الذكور بما في ذلك القبائل الشهيرة مثل قريش). وأن مصطلح "Aribi" الدال على الجماعة، والمستخدم في كتابات الملك الآشوري "سرجون الثاني" والذي صيغ من المفرد بصوره المتنوعة "Arubu، Arab، Arabu" لا يعني "عرب" أو "عربي" إنما كان يقصد به سكان الصحراء الشرقية، أي القبائل الإيرانية الفارسية الشرقية. والوحدة الصوتية الأخيرة في الكلمة نفسها في اللغة العيلامية هي "pe" بدلاً من "be" لتدل على الجمع، فكانت "Aripe" تدل على "الآريين" (المصدر: دياكونوف، إ.م.: ميديا،

ترجمة: وهبية شوكت محمد، رام للطباعة والتوزيع، دمشق، دون تاريخ، ص210. وكذلك أنظر إلى كتاب: آفيستا/ الكتاب المقدس للديانة الزرادشتية، إعداد: د. خليل عبد الرحمن، مطبعة دار الحياة/ دمشق، الطبعة الأولى 2007، ص 20)... بهذا فأن العرب لا تعني العرق بالضرورة، بل فرع/ مجموعة نزلت من السهل الأوروبي الشرقي إلى أن استقروا في الجزيرة وسميت باسمهم بعد ذلك.

لاحظ الجدول الجيني المثبت لاثنين من شيوخ الشيخ حسن الذين ينتمون إلى المجموعة الفردانية (R1A) واثنين من شيوخ الشمسانيين الذين ينتمون إلى المجموعة الفردانية (R1B) وكلاهما ينتميان إلى الآريين، وكلاهما نشأ في أوروبا الشرقية وشمال شرق آسيا. وليس اعتباطًا المقولة الواردة في التراث الديني الإيزيدي "مالا ئاديا كوليت داركينه= سلالة أديان أزهار شجرة واحدة"، وليس كما يدعيه دعاة زرع الطائفية وقصارى النظر وأقلام الأزمات بأن فلان سلالة أقدم من فلانه، وتلك تنتمي إلى القومية الفلانية! ولنا في الحلقات القادمة تفاصيل أكثر.

- الآريون المستعربون:

وبهذا الصدد يكتب د. لويس عوض بأن "العرب موجة متأخرة جدًا من الموجات التي نزلت على شبه الجزيرة، من القوقاز والمنطقة المحيطة ببحر قزوين والبحر الأسود نحو 1000 سنة قبل الميلاد أو قبل ذلك بقليل" (٤٤). ويضيف، أن موجة العرب تلك لم تستقر في مكان ما في بلاد ما بين النهرين، أو في الشام، لأنها وجدت في تلك المناطق أقوامًا منظمة أقوى منها بأسًا، وأعلى حضارة، فنفذت إلى الفراغ الكبير في شبه الجزيرة العربية عن طريق بادية الشام، حاملة معها لغتها القوقازية المتفرعة من المجموعة الهندو أوربية، أو لعلها أثرت حياة البداوة والرعي والتجارة التي ألفتها في مهدها الأول على حياة الاستفلاح والاستقرار، ففضلت الحرية في شبه الجزيرة على القيد في وديان الأنهار مكتفية بروابط العصبية أو القومية كأساس للتماسك الاجتماعي عن الارتباط بالوطن، سجن

(٤٤) د. لويس عوض، مقدمة في فقه اللغة العربية، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة ٢٠٠٥ ص ٢٠.

المتحضرين، على رأي ابن خلدون [٤٥]. وهذا ما يؤكد نظرية البروفيسور أناتولي كليوسوف، لذا نرى أن الجذور المشتركة لعدد كبير من الكلمات العربية مع اللغات الأخرى ليست صدفة. وبهذا فأن قبيلة قريش أصولها آرية ويبدو لهذا السبب ترد في النصوص الدينية الإيزيدية). [٤٦]

ويمضي أناتولي في القول إنه جرى افتراق وتباعد للآريين مثل رسم النجمة، انطلق من النجمة شعاع نحو الهند وآخر نحو إيران وثالث نحو الشرق الأوسط (يلاحظ خارطة حركة هجرات الشعوب في المنطقة المرفق أدناه). لم يجر ذلك بتتابع وتسلسل، بل بالتوازي والتزامن. آنئذ ما عاد الآريون الذين نتحدث عنهم هندو-أوروبيين، بل صاروا آريين مستقرين في الشرق الأوسط، ويمكنك أن تسميهم (آريين مستعربين) إن شئت. لكن التاريخ هنا يقوم بانعطاف أخر، فإذا كان الآريون في الهند حملة المجموعة الفردانية R1A)) قد انعزلوا كفئة عليا مغلقة وفي الشرق الأوسط شكلوا النخبة. (يمكن أن يكون هذا من إحدى المؤشرات المهمة جدًا لوجود نظام الزواج الطبقي المغلق لدى الهندوس والإيزيديين، وقولهم بالدم النقي وبأن "مالا أديان" أقدم سلالة.

وهل يحق لنا الافتراض أن كلمة "أديان" هي تحوير لكلمة "آريان" بعد تبديل حرف "الراء" الصعب على النطق إلى حرف "الدال"؟! هذا ما لا استبعده شخصيًا.)

النظام الطبقي لا يقبل الاختلاط، ومنذ ذلك الحين لم يخلطوا بالآخرين، لذلك في الهند يتقيدون بنظام الانغلاق الطبقي. أما عند العرب فيبدو أن الانقسام لم يصل حد اللامعقول وحاملو مجموعة (R1A) لم يضعوا في منزلة القداسة. (لو كان البروفيسور لديه اطلاع على نظام الزواج الطبقي عند الإيزيدية لقال ان هذه المجموعة الفردانية باقية وبتطرف طبقي ربما أكثر من الآريين الهندوس أنفسهم...). حتى أن البروفيسور أناتولي يقول بتطابق 104 علامات من بين ال 111 مؤشرًا بين الروس والعرب (تستخدم كلمة العرب هنا كلُغة وليس كعرق أو مصطلح قومي)، وهذه

(٤٥) نفس المصدر السابق، ص ٢٤.

(٤٦) أُثني على الالتفافة الذكية والجريئة للكاتب الأخ خالد علوكه في نشر مقال عن «قريش» في موقع بحزاني. ولنا مشروع كتاب/بحث مطول بهذا الصدد نعمل عليه منذ عام ٢٠١٢.

الخمس طفرات تشكل الخمسة آلاف سنة التي تفصل بين الروس والعرب. السلف واحد في جميع الأحوال وعاش قبل خمسة آلاف سنة على وجه التقريب، بعد ذلك افترقت الفروع. وينجم عن ذلك أن سلف إبراهيم جاء إلى أور من السهل الأوروبي الشرقي. إذا عرفت سرعة تشكيل الطفرات في الحمض النووي للإنسان، يمكن مقارنته وحساب متى عاش أسلافك، وإذا درست هذه السلسلة أو تلك من الطفرات يمكن مثلاً استبيان أن عند العرب مجموعة فردانية مشتركة مع الشعوب القديمة التي عبرت القوقاز ومرّت بالشرق الأوسط وتركت أثرها بين اليهود، وسارت أبعد نحو العرب... من المحتمل أنهم كانوا آري مملكة ميتاني، أو ربما كانوا حثيين، أي من هذا الشعب الهندو أوربي القديم. المجموعة الفردانية R1A أقدم من R1B حيث أتت موجة حاملي مجموعة الفردانية الأخيرة بإبادة مجموعة الفردانية الأولى وإزاحتها إلى مناطق أخرى. (٤٧)

يمكننا الافتراض أن الإيزيديين الحاليين كانوا في الأصل من سكان دولة الميتاني، وربما الحثي، ومن حاملي المجموعة الفردانية R1A وأتت بعدها بألف سنة مجموعة الفردانية R1B وقضوا على المجموعة R1A والذين نجوا منهم صفوا في بلاد الشام وشمال الجزيرة العربية وسموا باللغة العربية بالعدنانية أو (العرب المستعربة). والمجموعتين الفردانيتين (R1A وR1B) يعودون للمجموعة الفردانية (R) ذو الأصل الآري سواء القادم الينا عبر إيران أو الهند. وأن كلمة (آريان) تحول إلى (أديان) بتحويل حرف (الراء) إلى (الدال). وان الانغلاق والزواج المغلق خير دليل بانتماء جميع هذه المجموعات التي صنفت فيما بعد بأسماء (الشيخ والبير والمريد) وهم (مالا ئاديا= عائلة أديان= آريان).

بما أن البروفيسور أشار إلى آري مملكة ميتاني، فذلك يدفعنا إلى التوقف قليلاً عند الشعب الحوري (الهوري-الخوري) باعتبار المملكة الميتانية امتداد جغرافي وسياسي وثقافي له، كما يدفعنا ذلك إلى معرفة جغرافية (سوبارتو) كجزء مهم من "مهبط البشرية" الذي مرّ عليه تلك الحضارة

(٤٧) البروفيسور أناتولي كليوسوف: الإنسان بين العلم والأسطورة / شجرة النسب / والتاريخ الجيني للإنسان، ترجمة عبد الله أحمد، دار كنعان للدراسات والنشر، بيروت، ص ٢٣٦.

العريقة، حيث كانت وما زالت جغرافية سكن الإيزيديين تقع في غابر الزمان وإلى وقتنا الحالي على هذه الأرض.

ظهر اسم سوبارتو بصيغ متعددة، أولها بشكل (سوبير SU-BIR) في الوثائق السومرية وفي الربع الأول من الألف الثالث قبل الميلاد، و(شوبارتيم) و(عليام) في الصيغة الأكدية، وفي كلا العصرين، السومري والأكدي، استعمل هذا الإصلاح كمدلول جغرافي وليس قومي ليشمل جميع المناطق التي تقع شمال بلاد الرافدين ومن ضمنها المناطق الواسعة للولوبيين والكوتيين الواقعة بين سهل كركوك إلى بحيرة أورميا ولحد بلاد حلوان جنوبًا. ولفظة (لو) لدى السومريين كانت تعني الإنسان وتكرارها (لولو) تعني الناس، وكانت هذه البلاد المصدر الأول والوافر لعبيد بلاد سومر وأكاد حيث لعبوا دورًا مهمًا في بناء حضارتها منذ الألف الثالث قبل الميلاد [٤٨]. وتم اختزال تسمية (سوبارتو) في الآشورية إلى (شوبارو، شوبريا) وذات مفهوم قومي، وأخيرًا ظهر بصيغة (شوراو، شو) في كتابات (كيله شين) قرب مدينة آمد (ديار بكر) وكان القصد منها المنطقة الواقعة شمال شرق تلك المدينة التابعة لتركيا حاليًا. وقابل المصطلحات أعلاه (كوهستان-قوهستان) وترجم إلى (بلاد الجبل) في العصر المبكر للإسلام. وشملت كذلك مناطق واسعة من بلاد أذربيجان وكردستان، ومن جبال البزر جنوب بحر قزوين متخللة زاكروس وطوروس لحد البحر المتوسط وكذلك أرمينيا. (د. جمال رشيد أحمد، دراسات كردية في بلاد سوبارتو، بغداد 1984، ص4). وفي قلب هذه المنطقة نشأت مملكة ميتاني، عاصمتها (واشوكاني Washuk-kanni) شمال شرقي سوريا حاليًا، تلك المملكة التي كانت إمتدادًا جغرافيًا وسياسيًا وثقافيًا ودينيًا للمجتمع الحوري (الهوري-الخوري). هذه المملكة بسطت نفوذها غربًا إلى سواحل البحر الأبيض المتوسط، وشرقًا حتى أرابخا (منطقة كركوك حاليًا)، وشمالاً حتى مشارف جبال القوقاز (أرمينيا حاليًا) وجنوبًا حتى مجرى نهر العاصي وسط سوريا. [٤٩]

(٤٨) د. جمال رشيد، ص ١٢.

(٤٩) الدكتور أحمد محمود الخليل، تاريخ مملكة ميتاني، دار موكرياني للبحوث والنشر/ أربيل، الطبعة الأولى ٢٠١٣، ص ١٤.

إجمالاً امتد بلاد الحوريين من جبال زاغروس شرقًا حتى البحر الأبيض المتوسط غربًا، وكان ظهورهم في التاريخ منذ الألف الثالث قبل الميلاد، حيث أشارت السجلات المسمارية في الألف الثاني قبل الميلاد إلى أن هؤلاء كانوا سكان المناطق المشرفة على نهر الزاب الصغير بسهل بيتواته وكركوك وأربيل والموصل ووان والجزيرة ووديان نهر الخابور وحتى حلب وحواليها، وبعدها وقع هؤلاء تحت تأثير الحضارة السومرية والأكادية أصبحوا الوسيط الذي نقل معالم حضارة الرافدين إلى أسيا الصغرى وبلاد الشام [٥٠]، أي انتشروا في سوريا وفلسطين، لكن نتيجة ضغط الساميين انكمشوا منذ نهاية الألف الثاني وأثناء الألف الأول قبل الميلاد إلى غربي وجنوبي بحيرة وان. [٥١]

ويذكر هاري ساغس "أنه توجد دلائل تشير إلى أن الحوريين أتوا من الشمال إلى منطقة ما بين النهرين، وربما من مرتفعات ميديا، وناقش النظرة القائلة بأن الحوريين كانوا سكنة آشور الأصليين، أُخرجوا على أيدي الساميين المهاجرين إلى سفوح التلال في الألف الثالث قبل الميلاد، وبيّن أن هذه النظرية كانت مؤسسة على تحليلات غامضة لأسماء الأماكن القديمة التي تُعد حورية". [٥٢]

هذا وقد عثر على الكثير من النصوص باللغة الحورية في وثائق بوغازكوي (مقتطفات من ترجمة ملحمة كلكامش)، وفي تل العمارنة بمصر (رسالة الملك الميتاني توشراتا إلى امنوفيس الثالث حوالي 1400ق.م.، وفي تل الحريري "ماري القديمة" يرجع تاريخها إلى 1750 ق.م.، وكذلك في رأس شمرا (اوغاريت)، تلك اللغة التي تسمى لغة مملكة اورارتو أو تدعي أحيانًا اللغة الخالدية [٥٣]. (فهل العشيرة الخالدية الإيزيدية سكنة تلك

(٥٠) د. جمال رشيد أحمد، ظهور الكرد في التاريخ، دار آراس للطباعة والنشر/أربيل، ط١، ٢٠٠، ص ٦٠١.

(٥١) د. عبد الحميد زايد، الشرق الخالد/مقدمة في تاريخ وحضارات الشرق الأدنى من أقدم العصور حتى ٣٢٣ ق.م.، دار النهضة العربية، القاهرة ١٩٦٧، ص٥٦١. مقتبس من الدكتور أحمد محمود الخليل، مصدر سابق، ٢٦.

(٥٢) هاري ساغس Hary Sags، عظمة آشور، ترجمة خالد أسعد عيسى وأحمد غسان سبانو، دار ومؤسسة رسلان، دمشق، الطبعة الأولى ٢٠٠٨، ص٥٢-٥٣. مقتبس من د. أحمد محمود الخليل، مصدر سابق، ص٢٧-٢٨.

(٥٣) أ. ر. جرنى، الحثيون، ترجمة د. محمد عبد القادر محمد، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٧، ص ١٥٦.

المنطقة التاريخية مع الشعب الأرمني يشكلون أحفاد ذلك الشعب، وهل هم من بقايا تلك المملكة؟ العديد من الدلائل التاريخية والوقائع على الأرض لا تستبعد ذلك ونأتي إلى ذكر البعض منها.)

لا أريد التوسع أكثر في الجانب التاريخي والجغرافي والسياسي لمملكة ميتاني الحورية لأن المقال لا يستوعب ذلك، إلاّ أني أود أولاً أن ألفت انتباه القارئات والقراء الكرام إلى جغرافية توزيع الإيزيديين في أقدم وثيقة باسم (مشورا ختي بسي= منشور الخطيب بير بسي) والتي تعود تاريخها إلى النصف الأول من القرن السابع الهجري، حيث تذكر هذه الوثيقة أسماء المرداء (جمع مريد) التابعين للبير خطيب بسي بوتار، وكان المسؤول عن جمع الخيرات منهم وجلبها لخزينة الشيخ آدي. وكانت تلك العشائر والأفخاذ الإيزيدية تنتشر من الشام غربًا إلى اسطنبول وبايزيد وولاية وان ومراد صو شمالاً، وبغداد جنوبًا والسليمانية وأصفهان شرقًا[٥٤]. وهذه المناطق الشاسعة كانت وما زالت تقع تمامًا ضمن جغرافية بلاد سوبارتو ومملكة ميتاني. وليس غريبًا أن نجد ونسمع بقوة صدى معنى كلمة الشعب (اللولوبي) التي تعني في صيغة المفرد (الإنسان- لو) وفي صيغة الجمع (الناس -لولو) في تراثنا الشعبي وخاصة مدخل جميع الأغاني (لولوlo lo) لمخاطبة الناس الذكور، و(لى لى lê lê) لمخاطبة الإناث!!

النقطة الثانية التي أود التوقف عندها هي بعض العبادات الدينية عن الشعب الحوري (هوري) وكذلك بعض الرموز الدينية التي ما زالت تمارس بقوة عند الإيزيديين الحاليين. فهل هي محض صدفة، أم لها امتدادات تاريخية؟

لقد عبد سكان البلاد العليا (سوبارتوم) الإله السومري (أوتو) إله الشمس الذي قُدِّس لمئات السنين قبل عصر الكتابة، واشتهروا باسمه المحلي (هوري- خوري). ومما لا شك فيه أن لفظة (Ahir- Awir- Agir) التي تعني النار من ذهنية هندية أوربية، حيث عبرت أجيالها عن هذا الإله فيما بعد برمز (آهورا) إله النور والحكمة والمتطور عن (وارونا) القديم

(٥٤) حول تلك الوثيقة راجع كتاب: خدر سليمان وسعدالله شيخاني، نبذة حول الشيخان والشيخان بكي، بغداد ١٩٨٨، ص٢٢-٢٥ باللغة الكردية.

وهو بالتالي (آسورا، آسور) الهندية و(سور- سورياش) الكاسية الذي عبده اللولوبيين بجانب الكاسيين في بلاد الأكراد قديمًا. [٥٥]

أما كلمة (خودى-خودا=الله) تعود بجذرها ومفهومها إلى (سوار داتا) الميتاني وتحول في بعض اللغات الهندية الأوربية إلى (هوار داتا) و(خوردات) الكردية القديمة التي أصبحت (خدادات) و(خودا -خودى) في صيغتها المستحدثة. (لاحظ المفردات الدينية عند الإيزيدية: هتاف، طافا روزى=أشعة الشمس، جارشمبووا سور=الأربعاء الأحمر، ايزيى سور=ايزي الأحمر، جميعها تعكس الأشعة الحرارية للشمس). نعم ان (آهورا)، و(آهورامزدا) الزرادشتي)، ما هو إلا (وارونا) الذي عبده أغلب الشعوب الهندية الأوربية، وفي أساطيرهم كان هنالك تفرقة بين (ديوا Deiva) التي كانت (إندرا) رب الحرب أبرز ممثليها، و(آسورا- آهورا) إله العهد والقانون والحكمة، وكانت (ميثرا) تقف على رأسها. ومفهوم تسمية ال (ديو) يقابله الآن مفهوم (الغول) في اللغة الكردية و(الرجل المتوحش أو الشيطان) في اللغات الإنكليزية والسلافية. وبمرور التاريخ اختفت (إندرا) من اللغات المحلية القديمة لشعوب الإمبراطورية الآشورية، لأن الإله (آشور) كان هو الإله (إندرا) الميتاني نفسه الذي عبدته الشعوب ذاتها قبل قيام الدولة الآشورية على أنقاض الدولة الميتانية، ثم حلّ محله فيما بعد. [٥٦]

إلقاء نظرة على ما ذُكر، يمكننا الخروج ببعض الاستنتاجات، نشير إلى البعض منها:

*"خودى، الشمس، طاؤوس ملك" في الميث الإيزيدي، هي أسماء/ أو مفاهيم متعددة لمسمى واحد لا علاقة لها بشخص مادي لمجرد تشابه الاسم، وأن جميع الشعوب الذين تم ذكرهم ومن ضمنهم الإيزيديون، وحتى الذين لم تأت ذكرهم من الفراعنة وغيرهم، ممن عبدوا / أو قدَّسوا الشمس هم (شمسانيون) وليست محصورة بعائلة واحدة أو شعب واحد كما يريد البعض الترويج لها.

(٥٥) د. جمال رشيد أحمد، مصدر سابق، ص ١٣.

(٥٦) لمزيد من المعلومات يمكن مراجعة د. جمال رشيد، نفس المصدر السابق، ص١٤.

* ليس الشيخ آدي بن مسافر وخلفائه، من دخل فكرة إله الشر إلى التراث اليزيدي تحت تأثير التصوف كما يدعي بعض الكتاب الإيزيديين، بل أن ذلك هو من غبار الأفكار الدينية التي ما زالت متعلقة بأذهان الناس من عمق التاريخ الغابر.

* موجات الشعوب الآرية وصلت إلى أوربا ومصر وبلاد الشام والجزيرة العربية وبلاد ما بين النهرين وبلاد الأناضول وغيرها، ونتيجة الاختلاط بين الشعوب والأقوام وتأثير وتأثر بعضهم

ببعض، من الصعب أن تجد دمًا نقيًا مائة بالمائة أو ثقافة ومعتقدات دينية خالصة إلاّ وكانت الواحدة مكملة للأخرى. (يلاحظ خارطة هجرات الشعوب عبر التاريخ في أدناه)

- خاتمة القسم الثاني:

ختامًا، أود تلخيص أبرز التوجهات والنقاط التي ينطلق منه بعض الإيزيديين في حملاتهم الظالمة بحق الشيخ آدي بن مسافر أو (عدي/ عادي كما يحلو لهم تسميته) وبحق خلفائه والسلالة الآدانية، مستندين في ذلك على اجتهادات شخصية، وأحاديث المجالس، وأحداث لا يُعرف رأسها من أساسها، ونظرة قومية وأيديولوجية عفا عليه الزمن. علمًا ان توضيحاتي ليست موجة إلى هواة وسائل التواصل الاجتماعي الذين يوزعون الشتائم هنا وهنالك، بل لناشري المقالات والكتب التي تمكنت من الحصول عليهم لأول مرة وانتهيت من قرأتهم بتاريخ 13/ 10/ 2020.

إن استهانة وتحامل بعض الأخوة الكتاب على رموز دينية إيزيدية، وخاصة رمز كبير بمقام الشيخ آدي بن مسافر "لم يفعل شيئًا بتاتًا، بل جاء لاجئًا... "شأن يخصهم شخصيًا ويرتبط بمدى إدراكهم وفهمهم. إلاّ أن الذي استوقفني في تلك الكتابات وقمت بنشر هذه الحلقات بشأنها، هو وصول أولئك حد لوي عنق الحقائق باسم "الحقيقة" الماثلة في خيالهم تحديدًا!

– المُقدمات الخاطئة تقود إلى نتائج خاطئة، بل وأحيانًا نتائج مدمرة!

لا أنكر وجود شذرات معقولة في تلك المنشورات يمكن التوقف عندها ومناقشتها، إلاّ أن جُلّ الحديث الآخر يدخل في باب التشويه والتجني على الحقائق، وخلط الأفكار، واستعلاء على مناهج البحث، ونظرة انتقائية كيفية، وقفز على الكثير من الوقائع، وتفضيل طرف على آخر، وربط الإيزيدية بدون جدال وبكل عناد بالزرادشتية (مع جل احترامي للديانة الزرادشتية العريقة ولأتباعها المحترمين)، وبالتالي فان البنيان الذي يحاولون تأسيسه تحت لافتة "الحقيقة" يظهر

بائسًا يقود المجتمع الإيزيدي، شئنا أم أبينا، إلى التناحر والطائفية والمذهبية المقيتة، ويؤدي إلى الشقاق والمزيد من التفرقة وتفسخ نسيج المجتمع، ويساهم، من حيث يعي أولئك الكتاب أم لا، في فعل معاول الهدم لبنيان الدين الإيزيدي الحالي! وهنا لا أرغب ولا أود الدخول في سجال عقيم، ولن أريد أن أكون طرفًا مساهمًا في زرع الطائفية داخل المجتمع الإيزيدي الذي ما زال يئن تحت آثار الإبادة التي حلّ بها آب/ 2014. ولن أكون طرفًا في قضية تافهة تفرق بين بني البشر، لا بل تفرق بين العائلة الواحدة. علمًا ان ما تضمنها الحلقات الثلاث من آراء علمية، تكفي لتفنيد ادعاءاتهم. هنا أود تسجيل ملاحظات سريعة إضافة إلى ما ورد في متن الحلقات الثلاث الماضية:

* يخطئ من يدعي امتلاك الحقيقة، فالحقيقة نسبية وليست مطلقة وخاصة في العلوم الإنسانية من تاريخ واجتماع وفلسفة ودين وسياسة وغيرها، وهي ليست كالعلوم الرياضية 1+1=2.

* من الأخطاء العلمية الفادحة النظر إلى التاريخ كمادة جامدة لا حركة ولا حياة ولا تأثير وتأثر فيه. التاريخ كأي كائن حي له ديناميكيته وجدليته تسير حسب القوانين الموضوعية وليس حسب رغبة هذا الكاتب أو ذاك.

* إصابة بعض الكتاب بعقدة وهوس حدث مرّ عليه أكثر من 850 عامًا اسمه (الشفبرات/ أي ليلة القدر) لم يذكر في كتب التاريخ ولا المراجع وإنما وصل الينا خبره من خلال التناقل الشفاهي! يأتي هذا البعض

ليضخم الحدث ويرفعه إلى مصاف (الأسطورة والملحمة) لا بداية ولا نهاية لها، ويصفها بـ (انتفاضة شفبرات/ انتفاضة ليلة القدر!!) ويجعلها منطلقًا لنفث آرائه، وتسخير كل قدراته للحط من دور ومكانة السلالة الآدانية بقيادة الشيخ حسن بن الشيخ عدي الثاني والصاق التهم به، وفي المقابل اعلاء شأن سلالة أو سلالات أخرى هم في الأساس أولاد عمومة وأولاد أخوال وجميعهم من سلالة (بيت أديان- مالا ئأديان) يحملون نفس الجينات كما تمت الإشارة إليها علميًا في الحلقتين الثانية والثالثة. المحصلة النهائية لمثل تلك طروحات هو تهديم المعتقد الذي تربى عليه الإيزيديون، وتشويه للفكر وتزييف للتاريخ، وزرع للشك، تكريس للطائفية ودعوة للتناحر بين (الآدانية، الشمسانية، القاتانية، البيرانية، والمريد)، وبالتالي خدش وانتهاك صارخ لمشاعر آلاف المؤمنين الإيزيديين.

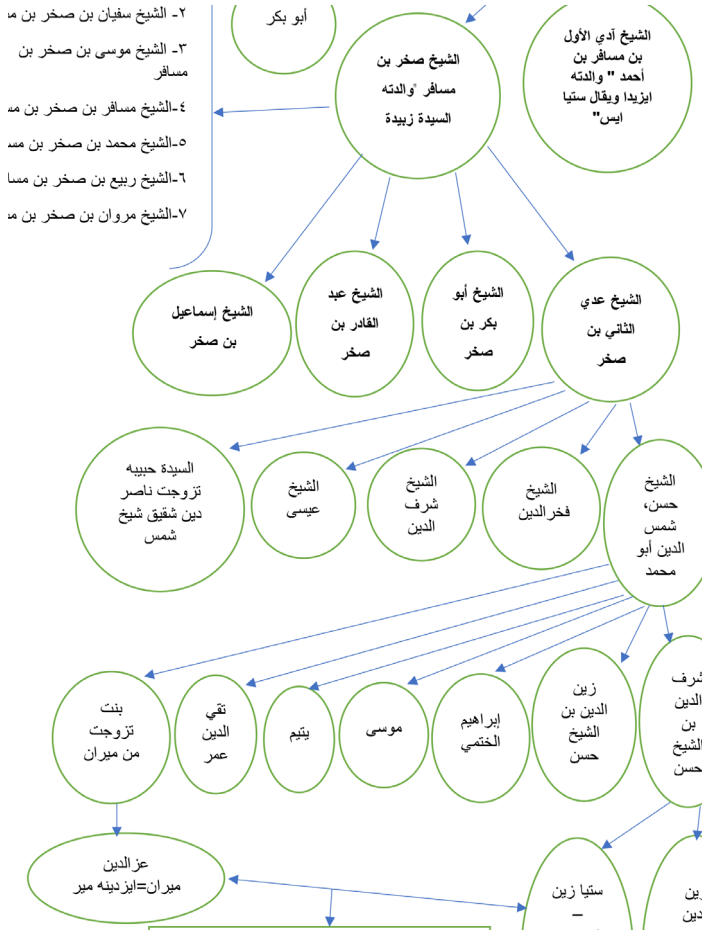

تكملة شجرة عائلة آديان (ما ئاديان كوليد داره كينه= عائلة آديان ورود شجرة واحدة)

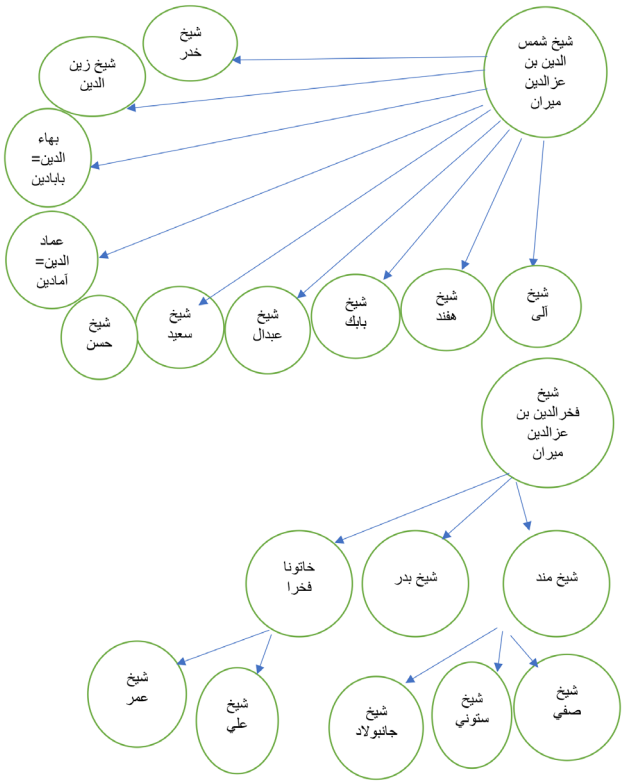

يقول النص الديني (قه سيدا شيخ شمس و مه لك فخره دين):

١- شه مسه دينه و فه خره دينه / شمس الدين وفخرالدين
٢- هه ردوو بسيت ستيا زينه / كلاهما أبناء السيدة زين
٣- هه ردوو خه لفه تيت شيخ ئيزدينه / كلاهما خلف "أبناء" شيخ ئيزدين "عزالدين"
٤- هه ردوو نه فييت شه رفه دينه / كلاهما أحفاد شرف الدين

* أعيد ما ذكرته بأن "خودى، الشمس، طاؤوس ملك" في الميث الإيزيدي، ثلاثة أسماء/ أو ثلاث مفاهيم لمسمى واحد لا علاقة له بشخص مادي اسمه (شيخ شمس) لمجرد تشابه الاسم، وأن جميع الشعوب الذين تم ذكرهم من سومريين وبابليين وآشوريين وميتانيين وايرانيين وهنود وفراعنة وسبأئيين وإيزيديين وغيرهم، ممن عبدوا / أو قدسوا الشمس هم (شمسيون) وليست محصورة بعائلة واحدة أو بشعب واحد كما يريد البعض ايهام الناس بها. تقديس الشمس عند الشعوب مرتبطة تاريخيًا باكتشاف الزراعة وبحياة التحضر، عكس تقديس القمر المرتبطة بحياة البداوة والترحال وتربية المواشي.

* يفترض بالكاتب الرصين في حقل العلوم الإنسانية، أن يترك الأبواب مفتوحة في كتاباته، يطرح آرائه من دون فرضها، وان لا يكون ذو اتجاه واحد (einbahnstrasse) كما تقال في اللغة الألمانية، لا يعترف بالمصادر ولا بكتب الأجانب ويعد جميعها خاطئة ومحرفة، ويتخذ من "الهمسات الخافتة" و"الهفوات" و"اقتناص الكلمات من أفواه الشياب" زادًا ومصدرًا غير قابلاً للنقاش لديه، يبني عليه (تاريخه) الذي يؤمن به هو فقط! نعم التراث الشعبي وبعض العادات وبعض الأحاديث المتناقلة مهمة يمكن الإشارة إليهم، لكن ذلك لا يعد حجةً، ولا دليلاً تاريخيًا ولا يعتبر (التاريخ كله)!

* إن ربط الديانة الإيزيدية عنوة وبدون نقاش بالزرادشتية، مع جل احترامنا لهذه الديانة العريقة، وكأنه تحصيل حاصل، يعد خطًا فادحًا. نحن لا ننكر وجود مشابهات كثيرة بين عبادات وطقوس الديانتين، إلاّ أن الإيزيدية وبناءً على بعض المعتقدات والطقوس كالموقف من (قوة الخير والشر) و(دفن الموتى) و(الصوم وتقديم الأضاحي) مثلاً، تبدو أقدم من الزرادشتية. السؤال: إذا كانت الإيزيدية هي امتداد للديانة الزرادشتية، فلماذا لم يحتفظ الإيزيديون، ومنهم أولئك الكتاب أنفسهم، بنسخة من (زند آفيستا) كتاب الزرادشتية المقدس على أقل تقدير؟!

* هنالك بعض الكُتاب أما أنهم يستهينون بعقول القراء، أو أنهم أنفسهم لا يدركون معاني الكثير من الأسماء ويتعمدون بتفسيرها حسب أهوائهم، فمثلاً كلمة (مير) اللاحقة باسم أحد أولياء الإيزيدية يفسرونها ويترجموها بصفة (مير/ الأمير) بمعنى صاحب ورئيس الإمارة، ليؤسسوا بعدها جميع اوهامهم عليها، علمًا اللاحقة (مير) اللاحق بالاسم هو (أمير) اسم والد ذلك الولي حذف منه (أ) للتخفيف. إذا كانت الكلمة فعلاً هي (صفة) دالة على رئيس الإمارة، حينها تسبق الاسم، كون الصفة في اللغة الكردية تسبق الاسم، فيكتب (مير براهيم، مير سجادين، مير ايزدين، مير حسن ممان)، ثانيًا إذا كان هنالك (أمير) و(إمارة) في منطقة لالش قبل مجيء الشيخ آدي بن مسافر، يطلب من هؤلاء الكتاب تزويد القراء بمصدر تأريخي واحد فقط يذكر فيه اسم الإمارة وعاصمتها واسم أميرها، فهل يعقل أن توجد هنالك إمارة لم يذكره التاريخ؟!

* خرافة الاتكال على مقولة (البير) أقدم من (الشيخ)، ان ذلك تبسيط للأمور، بل قصر نظر وضحك على العقول. (البير، الشيخ، القوال، الكوجك، المجيور، المريد، الفقرا... الخ) عند الإيزيدية، و(الكاهن، الموبذ، البابا، البطريرك، القس، الحاخام، الإمام، الخليفة... الخ) عند الأديان الأخرى هي صفات ووظائف دينية ظهروا في مراحل تاريخية محددة وبلغات تلك الشعوب. المجموعات البشرية قبل ظهور الأفكار الدينية وبناء المعابد لم تكن تعرف هذه المصطلحات والمفاهيم، وقد ظهرت هذه الأسماء كصفات ووظائف مرتبطة بمرحلة تاريخية من تطور المفاهيم الدينية وكل مجموعة سمتها بلغتها. نذكر هنا على سبيل المثال على الحصر كلمة الله الواردة في اللغات القديمة والحديثة: (دينكر- سومري، نابو- بابلي، آداد/ آدات-آشوري، آري- براهم، هندي- راما، أكدي-ايلو، فارسي- Soru - سخش وخودا، سنسكريتي-Deva، إغريقي-Zeus، لاتيني-Deus، ألماني-Gott، إنكليزي-God أو Lord، فرنسي-Dieu، كنعاني-آتون، عبري-يهوه، آرامي وعربي- الله، وخودى عندنا...) المثير للانتباه في جميع اللغات يتكون اسم الله من أربع حروف. السؤال هنا، هل يحق لنا القول إن (براهم) الهندي أقدم من (Zeus) الإغريقي أو (Gott) الألماني؟! وكذا الحال بالنسبة لمفهوم (البير) و(الشيخ) فأن الأصل واحد جينيًا (مالا ئأديان=سلالة أديان). (راجع جدول الجينات في الحلقة الثانية. (للعلم واستزادة للمعلومات، أن كلمة الشيخ اسم إله سن "شيخو" إله الكاشيين 1570ق.م)

* عندما يفقد الكاتب الإيزيدي حياديته وتغلب عليه الأهواء والرؤية الأحادية والجمود العقلي، يفقد المصداقية ويصل به الحال إلى الاضطراب والتخبط وتشويه صورة الأحداث والشخصيات والتاريخ عمومًا، فضلاً عن تشويه صورة الذين يحاول الدفاع عنهم وإظهارهم بلباس آخر. يضع أحدهم الشيخ شمس الدين بن ايزدين أمير والشيخ شمس الدين تبريزي كشخصية واحدة، قائلاً: "إننا نسمي شيشمس التبريزي وهو عم شيخ مند الحلبي، هذه التسمية -توريزي وأحيانا تتري- تدل على انهم كانوا من سكنة تبريز على ما يبدو وان الشيخ شمس عاد إلى الوطن غاضبًا من الشيخ عدي أو ربما متفقدًا أو ذهب إليها للتبشير بقدوم ئيزي لنشر الدعوة هناك أو كحاكم إقليمي فسمي بها." (انتهى

الاقتباس). ومن المعروف أن الصوفي الكبير (شمس الدين تبريزي) اسمه محمد بن داد، هو تتري/ تركماني مولود عام 1185م في مدينة تبريز التي تقع شمال غرب إيران. ترك منزله منذ صغره وبدأ بالتنقل، فزار بغداد وحلب ودمشق وقونيه وغيرها، تتلمذ على يد ركن الدين السجستاني وعنه أخذ مذهب التصوف، وكان يدعي أنه يكلم الله والملائكة من خلال الروى التي تراوده، ويقال انه قتل في مدينة قونيه أو خوي على أيدي جماعة من المعارضين لأفكاره في عام 1248م بعد أن عاش ما يقارب 63 سنة. وكان جلال الدين الرومي واحد من أهم تلامذة شمس الدين. وكان شمس الدين تبريزي يدعو إلى وحدة الأديان ويؤمن بوحدة الوجود. (موقع سطور، 19/ 11/ 2019). فهل هذا هو (شيشمسى تبريزى) الذي يتكلم عنه الكاتب؟!! الحكم متروك للقارئات والقراء الكرام.

يجب الإشارة أيضًا أن النصوص الدينية والموروث الإيزيدي يحمل اسم (شمسى ئاديا= شمس الآداني)، فمن هي هذه الشخصية؟ هل هو الشيخ شمس بن ايزدين أمير، أم هنالك شخصية أخرى؟ إذا كان المقصود الشيخ شمس الدين بن ايزدين أمير، فلماذا يكنى بـ (الآداني) تارة والتبريزي تارة أخرى؟ أما يحق الغور في تاريخ أبعد ونقول المقصود به (شمشي/ أو شامس أداد) أحد اللولوبيين ومن ملوك الآشوريين (1782-1814 ق.م.) تزوج ابنه امرأة (هورية-حورية). (٥٧)

* نعم هنالك شخصيات لعبت دورًا محترمًا ومشرفًا سواء بين الأديان أو المجتمعات، إلاّ أن التضخيم والمغالاة وأطلاق ألقاب كبيرة في غير محلها لشخصيات وأشياء، هو ملاذ الضعفاء. كنا نتمنى احتواء التاريخ الإيزيدي أسماء العشرات من الفلاسفة والعباقرة، لكن مع الأسف لم نسمع بوجود هؤلاء، ربما كان هناك حكماء وأدباء وشعراء ودهاة سياسة قياسًا لزمانهم.

(٥٧) د. خليل جندي، الدين الإيزيدي/ المعتقدات، الميثولوجيا، الطبقات الدينية، الطبعة الثالثة، بيروت ٢٠١٨، ص٢٦٢. وكذلك: دكتور أحمد محمود خليل، تاريخ مملكة ميتاني الحورية، مصدر سابق، ص٢٠-٢١.

* من السذاجة النظر إلى المعتقدات والأديان بمنظار قومي عنصري أو أيديولوجي، فالمعتقد والدين مرتبط بفكر الإنسان الذي يؤمن بقوة ما وراء الطبيعة، أو بقوى غيبية، أو الإيمان بقوة موجودة في الحجر أو الشجر أو الحيوانات أو في الظواهر الطبيعية، مقابل بشر لا يؤمنون بكل ما قيل. فما دام العقل هو سلطان الإنسان في علاقته مع العالم الخارجي، بهذا المعنى تصبح الأفكار الدينية أممية عابرة للحدود والقارات لا دخل لهذه القومية أو تلك بها.

* إذا ظل الإيزيديون يعيشون في التاريخ الماضي ويتمسكون بمآسيه ويتركون الواقع، سوف يكون مصيرهم انتكاسة بعد أخرى، وهزيمة تلو الهزيمة، وبالتالي الاضمحلال. فبعض الكتبة وتحت عنوان "الحقيقة" ينبش في ترهات التاريخ ويساهم من حيث يدري أم لا، في هدم ما تبقى من بنية الديانة الإيزيدية!

• وصم البعض الدين الإيزيدي الحالي بـ (الدين الداسني) وكونه (دين شمساني إيراني زردشتي ص 65) وإصراره على ربط كلمة (داسن-الداسنية) بالإيزيديين، هو جهل بتاريخ وحيثيات ظهور كلمة (داسن) نفسها كونها بمثابة شتيمة وإهانة أطلقها زرادشت أو كهنته على أتباع المعتقدات الدينية الموجودة قبل ظهور الزرادشتية والذين لم يؤمنوا بما جاء به زرادشت ولم يدخلوا ديانته بل ظلوا متمسكين بمعتقداتهم القديمة، فوصفهم بـ (دئيفه يه سنا) أي عبدة إله الشرّ. هل رأيتم إيزيديًا تسأله عن انتمائه الديني يقول (أنا داسني!!). لاحظوا حتى انه في لغتنا الدارجة تستخدم كلمة (ديوس Deiwis) من (ده ئيفا- داسن) للاحتقار والإهانة!

* لا يجوز ربط اللغات والدول الحديثة بما كان قبل آلاف السنين، وأن اللغة لا تصبح في الكثير من الأحيان دليل الانتماء القومي أو العرقي، ولو صحت هذه المقاربة، كان بالإمكان تسمية شعوب: بريطانيا، أمريكا، نيوزيلندا، الفلبين، استراليا كشعب واحد، لأن سكان جميع هذه الدول يتحدثون باللغة الإنكليزية. كما أن معظم سكان الدول العربية قديمًا (شمال أفريقيا، مصر، السودان، تونس، ليبيا، المغرب والجزائر) و(بلاد الشام سوريا ولبنان وفلسطين) قبل ظهور الدين الإسلامي لم يكونوا

عربًا، إلا أنه الآن يتكلمون اللغة العربية. وكذلك الحال بالنسبة للشعب الكردي فليس جميع الذين يتكلمون اللغة الكردية أكرادًا، ومنهم على سبيل المثال لا الحصر الشيخ محمود الحفيد الذي قاد الثورة ضد الإنكليز عام 1919.

تاريخيًا، اللغة الهند أوربية انقسمت إلى فروع لغوية مختلفة قبل حوالي 6000 آلاف سنة قبل الميلاد.

.

القسم الثالث

آراء و معالجات

موجز تاريخ الإمارات الإيزيدية [٥٨]

سأتناول في هذه الدراسة من خلال مصادر موثقة ومعتمدة موجز تاريخ الإمارات الإيزيدية؛ نشوئها، تبعيتها، دورها واضمحلالها دون الدخول في تفاصيلها. سأحاول قدر الامكان المحافظة على التسلسل الزمني لتلك الإمارات قبل مجيء الشيخ آدي بن مسافر، مع عدم ذكر أسماء إمارات إيزيدية أخرى تعذر عليّ الوصول إلى مصادرها:

إمارة جارجوم:

يقول الدكتور فيليب حتى في كتابه [٥٩] ما مختصره؛ إنه في زمن الخلافة الأموية (القرن السابع الميلادي) كان هنالك قوم ذوي تاريخ غامض يقيمون في المنطقة الجبلية الوعرة في شمالي سورية، ويتمتعون بقسط وافر من الحكم الذاتي. وكان هؤلاء المردة [٦٠] يمدون الروم من معاقلهم في جبال اللكام وطورس بالرجال، والجنود غير النظاميين، فكانوا شوكة في جانب العرب. ويضيف د. حتى بعد صفحة: "وأخيرًا تقرر في عهد الوليد بن عبدالملك (705-715م) أن يقضي نهائيًا على خطر المردة. فهاجم مسلمة [٦١] هؤلاء العابثين بالأمن في عقر دارهم ودمَّر عاصمتهم الجرجومة، فهلك بعضهم وهاجر البعض الآخر إلى أناطوليا، وانضمت جماعة ممن بقي منهم إلى الجيش السوري، وقاتلوا تحت لواء الإسلام. وفي عهد يزيد الثاني، ساهموا في اخضاع الفتن التي نشبت في العراق"[٦٢].

(٥٨) جزء من مقال مطول من ١٨ صفحة، مع بعض الإضافات والتعديلات، كُتِب في ٢٠٠٦/٦/٦.

(٥٩) تاريخ سورية ولبنان وفلسطين، الجزء الثاني، ص ٥٢-٥٤.

(٦٠) بمعنى الانتقاض والمقاومة، كما فسَّره (قابل الدينوري)، ص ١٣٠ س٣.

لكن اللفظة هي من (مرد= مروف) بمعنى الانسان أو الشجاع أو الكريم عكس البخيل. (خليل ج.).

(٦١) هو مسلمة بن عبد الملك، أخ الخليفة. (خليل ج.).

(٦٢) د. فيليب حتي: تاريخ سورية ولبنان وفلسطين، الجزء الأول والثاني، دار الثقافة- بيروت، ترجمة الدكتور جورج حداد و عبدالكريم رافق، ط٣، سنة ١٩٦٠. كذلك راجع مقالي: مجلة روز، ع٦، ص ٢١.

جارجوم [٦٣]، هي منطقة واسعة تقع إلى الشمال والشمال الغربي من حلب وجبل كورداغ، وهي نفس المناطق التي أسس عليها الإيزيديون إمارة حلب أو قصير وكذلك كليس. وما زال الإيزيديون يسكنون بكثرة في تلك المناطق.

إمارة داسن (620هجرية1236-م):

كان مركزها دهوك وتمتد من زاخو وشنكال غربًا حتى تصل إلى نهر زاب بالقرب من أربيل. للعلم أن كل من البلاذري (توفي829 م)، وابن الأثير (1160م1232-م)، يتحدثان عن داسن ولكن ليس كإمارة، حيث يذكرون أنه في زمن الخليفة عمر بن الخطاب، أرسل قائد الجيش الإسلامي (عتبة بن فرقد السلمي) سنة عشرين للهجرة فقاتله أهل نينوى، فأخذ حصنها وهو الشرقي عنوة وعبر دجلة فصالحه أهل الحصن الآخر على الجزية (...) ثم فتح المرج (أي مه ركه أو ميركه مكان الإمارة-الكاتب) وقراه وأرض باهذرى وباعذري وحبتون والحيانة والمعلة (مالطا اليوم-الكاتب) ودامير وداسن وجميع معاقل الأكراد. [٦٤]

وفي عام (148هجرية763-م) تمكن الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور من صدّ وإيقاف انتفاضة الإيزيديين في جبل داسن في كوردستان، أولئك الذين كانوا يحاولون الخروج من سيطرة العباسيين. [٦٥]

وفي زمن العباسيين أيضًا عام (224هجرية839- م) تمكن الخليفة المعتصم من إخماد انتفاضة أخرى للإيزيديين للمرة الثانية في جبل داسن ومنطقة الموصل بقيادة (الأمير جعفر بن الأمير حسن الداسني)[٦٦].

---

(٦٣) جارجوم: ربما الجداول أو الأنهر الأربعة (خليل ج.).

(٦٤) البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر، البلدان: وفتوحها وأحكامها، تحقيق د. سهيل زكار، دار الفكر/ بيروت، ط ١، ص ٢٨٩٠. انظر كذلك ابن الأثير، عز الدين أبي الحسن علي بن محمد، الكامل في التاريخ، ج٢، دار صادر/ بيروت، طبعة ١٩٩٥، ص ٥٢٤.

(٦٥) انظر مجلة لالش، العدد ٥، لسنة ١٩٩٥، ص ١١٤، مقال للسيد زرار صديق. انظر كذلك مجلة روز، العدد ٦ لسنة ١٩٩٨ مقال د. خليل جندي باللغة الكورديد بعنوان: إمارة الشيخان، شنكال وكليس، ص٧-٢٧.

(٦٦) نفس المصدرين السابقين، ص ١١٥ و ص ١٠ على التوالي.

(أغلب الظن أن هذا الأمير يعود إلى عائلة الأمير بير حسن ممان وعائلة خانزاد أمراء سهل حرير- الكاتب)

أما الأمير (عيسى 479هجرية) الشهير بصلاح الدين الكردي وبعد وفاة والده الأمير يحيى أصبح أميرًا للقبيلة الدونبلية ونقل نحو مائة ألف أسرة من الأكراد من فرع اليزدانية إلى أذربيجان وإلى (كوهستان) وكان يمضي أغلب أيامه في تبريز، وصار بعد ذلك وزيرًا للخليفة هارون الرشيد. (٦٧)

وعند قدوم الشيخ آدي بن مسافر (القرن الحادي عشر) إلى لالش، الواقعة في الشيخان أو ما يسمى اليوم بـ (وه لات شيخ) أو (ايزيدخانه)، أصبحت عين سفني مركزًا للإمارة، علمًا في زمن الشيخ آدي وأخيه وأولادهم من بعدهم – خاصة الشيخ حسن- كان كل شيء تقريبًا باسمهم. لا أريد هنا التوقف على تاريخ هذا الشيخ الجليل وحفيده الشيخ حسن (ابن أخيه) وغيرهم، لأنه معروف لجميع الإيزيديين تقريبًا، وكيف قاوم الأخير بدرالدين لؤلؤ والي الموصل آنذاك، وكيف اعتقل عام (644هجرية 1246-م).

يقوم شخص باسم شمس الدين أحمد الجردقلي (1414م) بشن هجوم على إمارة الشيخان وجبال هكار وإبادة الإيزيديين. (٦٨)

أما في القرون المظلمة وبعد انهيار الإمبراطورية المغولية في القرن الرابع عشر، فأن معلوماتنا قليلة عن الإمارات الإيزيدية.

يعتبر كتاب (شرفنامه) الذي وضعه الأمير شرفخان البدليسي عام 1597م من بين المصادر القديمة التي تتحدث بشكل واضح- رغم سقوط الفصول: (السابع، الثامن، التاسع) المخصص للإمارة الداسنية/ الإيزيدية من الأصل الفارسي- عن الإمارات، ويقول بأن القبيلة الرئيسية آنذاك كانت تسمى (داسني) وتسكن شمال وشرق الموصل وصولاً إلى معبد لالش حيث مزار الشيخ عدي (٦٩).

(٦٧) محمد أمين زكي، خلاصة تاريخ الكرد وكردستان، تاريخ الدول والإمارات الكردية في العهد الإسلامي، ج٢، ترجمة محمد علي عوني، سنة الطبع ١٩٤٥، ص ٣٨٥، وانظر مجلة روز، مصدر سابق، ص ١١.

(٦٨) عباس العزاوي، اليزيدية، وأصل عقيدتهم، ١٩٣٥.

(٦٩) شرفنامه، شرفخان البدليسي، ترجمة كرومي، مجلد ١، ص ٣٨، وكذلك جون كيست، الحياة بين الكورد... تاريخ الإيزيديين، ترجمة عماد جميل مزوري، مطبعة سبيريز/ دهوك ٢٠٠٥، ص ١٠٦.

وقال عنهم (ابن فضل الله العمري) في مسحه لكوردستان بأنهم فرع من البوط [٧٠]. وداسيني كانت تمتد إلى آديابين وهي منطقة تقع بين الزاب الأكبر والأصغر، وكانت لهم عداوة مع أعدائهم التقليديين في سوران. وفي حصنكيف حافظ خلفاء صلاح الدين الأيوبي على دينهم الإسلامي، ولكن مناطقهم شمال دجلة قدمت المراعي الصيفية لقبائل البدو الإيزيدية ال (خالتي) شرق باطمان وبازيان حول ميافارقين (سليفان الحالية).

وفي تقرير ابن فضل الله يأتي على ذكر قبيلتين إيزيديتين، قبيلة (المحمودي) التي شغلت حامية هوساب جنوب شرق بحيرة وان، وقبيلة (دونبلي/ دوملي) التي انتقلت إلى غرب بحيرة أورميه. [٧١]

وفي مكان آخر من كتاب (شرفنامه) يأتي على وصف إيزيدية الغرب (شمال سوريا) ويقول بأنهم جماعة تعود إلى أفواج الهكارية التي عملت تحت قيادة صلاح الدين الايوبي،

وبعد طرد الصليبيين تم منح زعيم هكاري اسمه (مند) في قصير غرب حلب وإقطاعية أخرى- ربما كليس- فأصبح ذات سلطة على الكرد. ويذكر شرفخان شنكال دون إعطاء تفاصيل عنها.

وبعد موت تيمورلنك ظهرت على الساحة السياسية آنذاك قوتان أخيرتان هما قوة (إسماعيل الصفوي) كأول شاه في إيران بمنطقة (أردبيل) أو مدينة أذربيجان، وكان يدين بالمذهب الشيعي ونودي كملك الملوك عام 1501م. أما القوة الثانية فكانت الدولة العثمانية في الطرف الغربي.

تمكن الشاه إسماعيل الصفوي خلال سنوات قليلة من الاستيلاء على بلاد فارس والعراق وجميع مناطق الأناضول والقسم الشرقي من نهر الفرات، واحتلال ديار بكر عام (1507م) وبغداد في السنة التالية.

وفي ذلك الوقت كانت قبيلتي (الدنبلي والمحمودي) الإيزيديتان هما الأقرب إلى بلاد فارس، وأظهرتا ولائهما للشاه إسماعيل وكذلك إلى أمير

(٧٠) شهاب الدين بن فضل الله العمري، مسالك الأبصار، ترجمة كواتريمير، نقلًا عن جون كيست.

(٧١) نفس المصدر السابق، ج ٢، القسم الأول، ص ١٥٨-١٧٧.

العمادية اعتمادًا على الشيعة بعد أن استولى على الحامية الإيزيدية بدهوك على بعد 18 ميلاً غرب لالش. (٧٢)

وفي زمن السلطان العثماني سليم الأول (السنّي) الذي ألحق هزيمة بالشاه في معركة جالديران شمال بحيرة وان آب 1514م، وبذلك أصبحت كل من ديار بكر، اورفه، ماردين، الموصل، شنكال، واقعة تحت الحكم العثماني. وعندما احتل هذا السلطان نفسه (سليم) سوريا ملحقًا الهزيمة بالجيش المصري، أعلن الأمير قاسم بك الكردي المسلم ولائه للسلطان، ولكن في طريق عودته من احتلال مصر 1516م استطاع الشيخ عز الدين بن يوسف الكردي الإيزيدي من الإيقاع بالأمير قاسم بك لدى السلطان وعين هو أميرًا على الكرد في حلب وجبل سمعان. ودام حكمه من (1520-1566م)، يقال ان منطقة شنكال كانت تابعة لحكمه وهو كما يقال، من سلالة الشيخ شرف الدين بن الشيخ حسن. وفي ذلك الوقت كانت إمارة كليس ومرعش بيد الأمير محمد باشا من سلالة الشيخ مند. (٧٣)

وفي عام 1534م عندما شنّ السلطان سليمان القانوني حملة ضد الخليفة إسماعيل الصفوي، أتت قبيلة محمودي لتعلن ولائها للسلطان المنتصر فقبلها. وحينما احتل السلطان سليمان نفسه بغداد، وأثناء عودته قام بإعدام أمير سوران (الذي كان موالياً للشيعة الصفويين) وعين إيزيديًا وهو (حسين بك الداسني) ليكون حاكم أربيل وكذلك سوران بعد موت أميرها (٧٤). بتشجيع ودعم من الدولة العثمانية نفسها تم قتل الأمير الإيزيدي وقاموا بتسليم ولاية الموصل وأربيل عام (1585م) إلى أمير بوطان (علي سيدي بك) الذي كان في الأصل إيزيديًا، وقام بحملة كبيرة ضد إيزيدية جبل شنكال فقتل حوالي 600 شخصًا منهم وأسر العديد من النساء والأطفال. (٧٥)

(٧٢) شرفخان البدليسي، شرفنامه، الجزء الأول، ترجمة محمد علي عوني، تقديم يحيى الخشاب، دار احياء الكتب العربية/بيروت، ١٩٨٧، ص١٠٤، وانظر كذلك: جون كيست، مصدر سابق، ص١٠٩.

(٧٣) انظر مقال للكاتب نفسه منشور في مجلة روز، العدد ٦ لسنة ١٩٩٨، ص ١٤.

(٧٤) جون كيست، مصدر سابق، ص ١١١-١١٣.

(٧٥) خليل جندي، مصدر سابق، ص ١٦.

أصبحت قبيلة (الدونبلي) على الجانب الفارسي من الحدود الذي رتب بين الإمبراطورتين الصفوية والعثمانية عام 1555م فقد تحول الزعماء وأكثر رجالها إلى المذهب السنّي، لكن أقلية منهم تشبثت بالعقيدة الإيزيدية. وهاجر بعضهم لاحقًا إلى الأناضول [٧٦]. أما أعداؤهم التقليديون من قبيلة (المحمودي) فقد سكنوا في الطرف العثماني من الحدود جنوب شرق بحيرة وان، وقام السلطان سليمان بعد عدة سنوات بإعدام أميرهم، وغالبية هذه القبيلة اعتنقت الإسلام فيما بعد بدعوة من زعيمها. [٧٧]

وبذلك أفل نجم هاتين الامارتين الإيزيديتين إلى يومنا هذا.

حوالي عام 1623م الذي كان يعتبر عهدًا مضطربًا للدولة العثمانية، انقطعت سلسلة نسب حكم داسني المنحدرين من الشهيد الشيخ حسن وذلك بإزاحته من قبل زعيم في جبال سوران وراء الزاب الكبير والذي أرجع نسبه إلى الشيخ أبي بكر، أحد أبناء عمومة الشيخ آدي. وبعد قتل الأمير الداسني وثمانين من أتباعه أسس الشيخ محمد- المعروف بالكردي الأربيلي الباطني- عائلة حاكمة أميرية لا زالت تحكم الإيزيديين وتقوم بحماية حرم لالش. [٧٨]

وفي زمن السلطان مراد الرابع نهاية كانون الأول من عام 1639-1638م اكتسحت مدينة بغداد، وسجل المؤرخون المعاصرون مآثر وبطولات فرقة داسنية تحت قيادة زعيم يدعى ميرزا بك (المعروف بايزدي ميرزا- الكاتب) [٧٩] وعين عام 1649 واليًا على الموصل برتبة باشا.

شبه إمارة أو حامية في منطقة كويسنجق بقيادة الزعيم الإيزيدي (آس) الذي طالما شنّ غارات على المقاطعات الغربية لبلاد فارس. شنّ نادر

(٧٦) شرفخان البدليسي، مصدر سابق، ج٢، القسم الأول، ص١٦٣.

(٧٧) نفس المصدر السابق، ج٢، قسم١، ص١٦٩. كذلك انظر جين اوتر: رحلة الى تركيا وبلاد فارس، ج١، ص ٢٩٧-٢٩٨. جون كيست، ص١١٣.

(٧٨) جون كيست، مصدر سابق، ص ١١٤.

(٧٩) مصطفى نعيمة: تاريخ نعيمة، ج٥، ص٩٢-٩٣. وانظر كذلك مقال للكاتب باللغة الكوردية: خليل جندي، إمارة الشيخان، شنكال وكليس، مجلة روز، العدد ٦ لسنة ١٩٩٨، ص ١٨.

شاه حملة عليه عام 1743م وألحق به الهزيمة. [٨٠]

وفي القرن 18 أصبح أمراء الإيزيدية في الشيخان من رعايا الإمارة الكردية في العمادية. ففي ذلك الوقت ثار الأمير بداخ بك (1771-1770م) ضد إسماعيل باشا، أمير العمادية، فقام الأخير بإخماد حركته وتم تعيين جولو بك ابن بداخ بك (1790-1789م)، وبعد ذلك أعيد تعيين حسن بك بن جولو بك (1792-1791) من قبل خنجر بك أمير العمادية، وقتل بعد ذلك الأمير حسن بك غيلة من قبل أمير العمادية [٨١]. وخلف (صالح بك) أباه حسن بك، لكنه قُتل هو الآخر من قبل شخص في مدينة الموصل. وبعد تنافس وصراع داخلي على سلطة الإمارة تبوء (علي بك الكبير) الإمارة.

قام علي بك الكبير بقتل (علي آغا البالطي) رئيس عشيرة الالكوشية المزورية في قصر باعذرة. ربما ندم الأمير الإيزيدي على ما فعل أو خشي عواقبه، لذا دعا إليه أربعين من أشراف ونبلاء الإيزيدية، وأمر كل واحد منهم بطعن جثة علي آغا، ويعتقد بأنه كان لأمير العمادية الذي كان يمثل السلطة الأعلى في المنطقة يد في المسألة. [٨٢]

وكان لعلي آغا ولد عم يدعى الملا يحيى المزوري طالب علم في العمادية، سافر إلى بغداد والتجأ إلى واليها آنذاك (داؤد باشا) ونقل إليه شكوى قتل (علي آغا) من قبل أمير الايزدية، يقال أن الوالي زوده بكتاب إلى أمير رواندوز (محمد باشا)، وفي رواية أخرى ذهب الملا يحيى مباشرة إلى رواندوز واستنجد بالأمير محمد باشا، فأجابه وأخذ يعد العدة لغزو الإيزيدية وحلت الكارثة عليهم حيث زحف بجيشه الجرار أول خريف 1832م على مركز الإيزيدية في الشيخان، وفي طريقه قام بتصفية إيزيدية أربيل في قرية الكلك، وكانت تسمى حينها "كلك الدواسن" وفي طريقة بدأ يقتل أهالي القرى واحدًا تلو الآخر ويعمل فيها سيف الانتقام ويقضي على كل ذي روح فيها. ومن نجوا من الإبادة قصدوا الموصل للهروب

(٨٠) جون كيست، مصدر سابق، ١٣٦.

(٨١) الدملوجي، صديق: إمارة بهدينان، ص١٣٧. وانظر كذلك: ج. بيرسي بادجر: النساطرة وطقوسهم، ج١، ص١١٠.

(٨٢) جون كيست، مصدر سابق، ص ١٥٦.

إلى شنكال/ سنجار وكان عددهم نحو العشرة آلاف شخص (كما يذكرها الدملوجي، ص436) فأزاح والي الموصل (سعيد باشا) الجسر عن نهر دجلة خوفًا أن يتعقبهم جيش أمير رواندوز ويدخل مدينة الموصل ويعيث بها، فالتجأ الإيزيديون إلى "تل قوينجق" فادركهم محمد باشا وذبحهم جميعًا ذبح النعاج ولم يترك واحدًا يفلت من يده. (٨٣)

ويضيف نفس هذا المصدر (ص463) من أن "منطقة الشيخان كانت تمتد من نهر الزاب الأعلى إلى نهر الخابور والذي يمر من زاخو وهي متراصة بالسكان اليزيدية ونفوسهم تزيد على المائة ألف نسمة. فأخذ الجيش الصوراني يهاجمها واحدة إثر واحدة ويبيد سكانها ولم يسلم من يده سوى النساء والفتيات اللاتي كن يجدن لهن شفيعًا من نضارتهن وطراوتهن، فقد كن يرسلن إلى بلاد السهران (كذا) أي بلاد (سوران-رواندوز).

وهكذا استمر سيف البغي والعدوان يلعب في رقاب هؤلاء التعساء ويزيلهم من الوجود ولم يسلم منهم إلاّ الذين اختفوا في الأدغال والأحراش وهربوا إلى رؤوس الجبال وهم لا يتجاوزون خمسة بالمائة" (هذه شهادة مسلم سنيّ متعصب لدينه كيف يعطف على الضحايا!).

أما الأمير "علي بك" الذي أعطى الذريعة لمثل هذه الإبادة، ترك أبناء جلدته ونجى من سيف الانتقام الذي كان أحق به وذهب إلى جبال العقر (العقرة) واختفى فيها. الا أن شبح النقمة ظلّ ملازمًا له إلى أن قبض على خناقه وقضى على أنفاسه بعد أن رأي بعين رأسه النكبة التي حلت بأهله وقومه جزاء غدره وخيانته. (٨٤)

تولى جاسم بك الإمارة بعد أسر الأمير علي بك وهروب ابنه حسين بك الصغير إلى شنكال. وانتهي عهد جاسم بك إلى نهاية عنفية إذ تقدم حسين بك ابن علي بك (1843م) من شنكال إلى قرية ايسيان التي تقع على بعد أربع كيلومترات شرق باعذره، وانتخب أميرًا تحت وصاية الشيخ ناصر الذي كان بابا شيخا آنذاك.

(٨٣) لمزيد من التفاصيل الدقيقة راجع: صديق الدملوجي، اليزيدية، بغداد ١٩٤٩، ص ٤٦١-٤٦٤.

(٨٤) الدملوجي، صديق: مصدر سابق، ٤٦٤.

وفي العام (1853م) قام والي الموصل حلمي باشا وبصورة فجائية (خلع) الأمير حسين بك وعين مكانه (جاسم بك) الشاب.

وأخيرًا أعيد (حسين بك) إلى موقعه، ورغم أن الأمير جاء لتقديم الطاعة والولاء لوالي الموصل الجديد (مدحت باشا) عام 1869م، إلاّ أنه أعتقل عام 1875 ووضع تحت الإقامة الجبرية في الموصل إلى أن توفي عام 1879. وحلّ محله شقيقه الأصغر (عبدي بك). وخلف الأخير ابنه (ميرزا بك) وقصته معروفه كيف غيّر هو وأخوه الصغير واثنان من العامة عقيدتهم أمام الفريق وهبي باشا في (19/ آب/ 1892) في مدينة الموصل عندما تلا عليهم قاضي المدينة آية التوحيد، ونتيجة لموقفه صرف له راتبًا قدره ألف قرش (ما يعادل 18 جنيهًا استرلينيًا). أما البقية من الإيزيديين الذين كانوا مع الأمير فلم ينطقوا باللعن ولم يشهروا إسلامهم، فأمر الباشا الجنود بضربهم، وأخذ الجنود يضربونهم ضربًا مبرحًا حتى مات ثلاثة منهم تحت الضرب، وسقط الكثير منهم جرحى فحملوا إلى المستشفيات للمعالجة. (...) وأبرق الباشا إلى اسطنبول يقول بأن عشرين ألفًا من الإيزيدية اهتدوا بهمته، وطلب أوسمة للأمير ميرزا بك وأخوته، وقد وصلت الأوسمة إلى الموصل فسلمت لأصحابها، وأخذ الإيزيديون يعودون إلى قراهم تدريجيًا [٨٥].

رغم تغييره لديانته، بقي ميرزا بك أميرًا للإيزيدية إلى أن وافاه الأجل عام 1899م. لكن أخوه (علي بك) الذي رفض تغيير دينه بأن يصبح مسلمًا، أودع السجن ونفي بعد ذلك إلى سيواس مع زوجته ميان خاتون ابنة عبدي بك، ولم يسمح له العودة إلى موطنه إلا بعد توسط من دائرة السفارة البريطانية عام 1898م. بعد موت ميرزا بك عيّن (علي بك) أميرًا في نفس عام 1899، لكن العثمانيين حصروا صلاحياته في الأمور الدينية فقط تساعده زوجته ميان خاتون التي كانت قد شاركته منفاه [٨٦]. تم اغتيال هذا الأمير في قصره بباعذرة عام 1913 بعد حكم شبه صوري دام أربعة عشر عامًا.

(٨٥) راجع: الدكتور علي الوردي، لمحات إجتماعية من تاريخ العراق الحديث، الجزء الثالث، دار كوفان للنشر- لندن،١٩٩٢، ص٥٢-٥٣. راجع كذلك: صديق الدملوجي: مصدر سابق، ص ٥٠٦- ٥٠٧ وجن كيست، مصدر سابق، ص ٣٠٣.

(٨٦) ج الدملوجي، صديق، مصدر سابق، ص١٨.ون كيست، مصدر سابق، ص ٣٠٣ و ٣١٦.

تولى (سعيد بك ابن علي بك) منصب الإمارة بعد مقتل أبيه سنة 1913 وهو لم يتجاوز الثانية عشر من عمره في الوقت الذي كان هنالك رجال من هذه الأُسرة أحق وأجدر منه لهذا المنصب. إلاّ أنهم آثروه على أنفسهم لما كانوا يحملونه من المحبة لأبيه والعطف على أمه وهي التي عرفت بفطنتها وامتلاكها القلوب بدهائها، وكانت وصية عليه. وبقي على رأس الإمارة إلى أن وافاه الأجل يوم الخميس 29/ تموز/ 1943 في مدينة الموصل.

كما نجحت الأميرة ميان خاتون من قبل في تنصيب ابنها (سعيد بك) أميرًا على الإيزيدية بعد وفاة والده، تمكنت هذه المرة أيضًا بحنكتها وفطنتها من استمالة البعض من أفراد الأُسرة إلى جانبها واسكات آخرين وترشيح حفيدها (تحسين بك) أميرًا للإمارة وهو في سن الثالثة عشرة، وقد لاقى هذا الترشيح (كما يقول الدملوجي، ص20) قبولاً من السلطات الإدارية الحكومية العليا، وتم تعيين (تحسين بك) أميرًا عام 1944 ونصبت جدته ميان خاتون وصية عليه كما كانت على والده من قبل حتى مماتها عام 1957م.

رحل المغفور له الأمير تحسين بك بن سعيد بك من إحدى مستشفيات هانوفر/ ألمانيا بتاريخ 28/ كانون الثاني/ 2019 بعد أن بقي على رأس الإمارة (75) خمسة وسبعون عامًا ليشاهد في أواخر سنين حياته أعتى جريمة وإبادة الإيزيديين في سنجار في الثالث من شهر آب/ 2014!!

كما أشرت إليه في المقدمة، تطرق إلى الإمارات الإيزيدية والأمراء الإيزيديين بشكل مختصر، فالإمارات والأمراء- خاصة بعد عهد الشيخ آدي بن مسافر والشيخ حسن بن الشيخ آدي الثاني- من الكثرة بحيث لا يتسع المجال على ذكرهم جميعًا.

باستثناء إمارات قليلة مثل: جارجوم (القرن السابع وبداية الثامن الميلادي)، وجعفر بن حسن الداسني، والأمير عيسى بن يحيى في العهد العباسي (القرن الثامن والتاسع الميلادي)، وفترة الشيخ آدي والشيخ حسن ومن كانوا في عهديهما، إضافة إلى إمارة داسن التي لا نملك عنها التفاصيل الوافية، فان الإمارات الأخرى التي تطرقنا إلى تواريخها بشكل مختصر، لم يتمتعن بالاستقلال، بل كنّ خاضعات؛ إما إلى الإمبراطورية العثمانية أو الصفوية ولاحقًا إلى سيطرة إمارة العمادية.

جاءت الحرب العالمية الأولى (1914-1918) وخسارة الإمبراطورية العثمانية وحلفائها أمام بريطانيا وفرنسا وتقاسم ممتلكات (الرجل المريض) بموجب معاهدة سيفر1920 النهاية الفاصلة لزوال الإمارات الكردية، بضمنهن إمارات الإيزيديين، التابعات للدولة العثمانية المنهارة.

لم تبق من الإمارات الكوردية القوية ولا واحدة، ولم يبق لها أثر إلاّ في بطون كتب التاريخ وفي ذاكرة بعض الناس، إلاّ أن الملفت للنظر برزت للوجود إمارة كانت مريضة أكثر من الدولة العثمانية، بل وأحيت من قبرها بعد تشكيل الدولة العراقية الملكية عام 1923م! ما هو سرّ ذلك؟

سُقت هذه الفقرات بشكل مطول مع التركيز على أشرس وأبشع جريمة إبادة باسم (فرمانا ميرى كوره= إبادة أمير محمد الرواندزي الأعور)، تلك الإبادة التي حطمت وجود المجتمع الإيزيدي، فلم يبق من مجموع مائة ألف في منطقة (ولات شيخ) الممتد آنذاك من منطقة آسكي كلك إلى زاخو، غير خمسة بالمائة حسبما يذكره (صديق الدملوجي) في كتابه، هذا إضافة إلى الأعداد التي أبيدت في منطقة شنكال؟! لأوجه انتباه الإيزيدية إلى السؤال الجوهري: هل كانت إبادة المجرم (ميرى كوره) قدر الإيزيديين المحتوم، أم أن نزوة شخصية أعطت الذريعة وقادت إلى تلك المذابح الرهيبة بحق الأبرياء؟!! أليس الأولى اليوم، وبعد أن تكررت إبادة الإيزيديين في سنجار/ شنكال في 3/ آب/ 2014 أن يقوم المثقفون الإيزيديون والوجهاء وجميع شرائح الإيزيدية أينما كانوا بإعادة دراسة تاريخهم لاستخلاص العِبر منه أولاً، وتزويد السفينة الإيزيدية الآيلة للغرق بأكثر من شراع عصري لإنقاذها وليس تسليمها إلى إنسان مقيد؟! (٨٧)

(٨٧) لمن لدية رغبة الاطلاع على تلك الصفحات من تاريخ الإمارات الإيزيدية بإمكانه مراجعة المصادر والمراجع التالية: غرائب الآثار لياسين العمري- إمارة العمادية، صديق الدملوجي- زبدة الآثار الجلية- إمارة بهدينان، أنور المائي- محفوظ العباسي: إمارة بهدينان العباسية، موصل ١٩٦٩ – إمارة سوران، حسين حزني موكرياني- شيخان و شيخان به كى، خدر سليمان و سعدوللا شيخانى باللغة الكوردية)- عبدوللا فارلى: ديروكا دوكه لين كوردان ٦٠٠-١٥٠٠م، سالا ١٩٩٧ – د. التونجي: اليزيديون، كويت، ١٩٨٨- إضافة الى المصادر المثبتة في هوامش المقال نفسه.

هل ستبقى الإمارة في العمارة؟! (٨٨)

اتصل بي العديد من الأصدقاء الإيزيديين وغير الإيزيديين، يسألون عن رأيي بشأن الوضع الإيزيدي بعد رحيل الأمير تحسين بك ابن سعيد بك، منْ وكيف سيكون الأمير الجديد.

• في المناخ الإيزيدي الحالي، من الطبيعي أن نسمع دعوات تنادي باعتدال الطروحات من أجل الوصول إلى حلول واقعية لتحقيق الأهداف المطلوبة والحفاظ على الجسم الإيزيدي. هذا صحيح جدًا من الناحية النظرية، وصحيح أمام حالة الكارثة التي حلت بالإيزيدية بعد إبادة الثالث من آب/ 2014. تلك الإبادة التي فتحت جرحًا عميقًا، وأصابت العمود الفقري للوجود الإيزيدي، ووضعهم أمام مفترق طرق ومصير مجهول مما يستدعي ذلك البحث عن وسائل مثلى للمعالجة... إلاّ أن الجرح الإيزيدي أكبر من أن يداوى بضمادات المجاملة وحلو الكلام، والأمنيات والأدعية والتضرع إلى الأولياء، والاستنجاد بالمنقذ (مهدي شرف الدين)! الوضع الإيزيدية تحتاج إلى وقفة جادة، ودراسة نقدية للتاريخ والأشخاص.

يفترض أن يسأل الإيزيديون أنفسهم: لماذا كل هذه (الفرمانات) والإبادات بحقهم عبر التاريخ؛ هل كانت بسبب المعتقد الذي يؤمنون به؟ أم بسبب ضعف وسذاجة قادتهم وأولياء أمورهم؟ أم بسبب همجية ووحشية الطرف الآخر والأفكار الظلامية التي يحملها ولا يؤمن بمبدأ التعايش؟

(٨٨) كُتِب في مانيلا بتاريخ ٢٠١٩/٢/١٦.

– عودة سريعة لتنصيب بعض الأمراء الإيزيديين:

مراجعة سريعة لتاريخ الإمارات الإيزيدية من عهد السلاطين والولاة العثمانيين إلى آخر أمير في الزمن الملكي في العراق، يلاحظ أن تنصيبهم وبقائهم أو عزلهم كان بيد السلطان، أو الوالي، الملك أو الرئيس، ولم تكن للإيزيدية دورًا في اختيار أميرها. فكان هذا الأمير يجمع بين قوة السلطة الأعلى التي عينه، وبين السلطة الدنيوية والدينية للمجتمع الإيزيدي ليجعل منه بالتالي الحاكم الأوحد و"ظلّ الله على الأرض"، والإنسان المعصوم عن الخطأ والخارج عن دائرة النقد، الآمر والناهي في اتخاذ القرارات الفردية المدمرة التي أعطت الأعداء ذريعة القيام بحملات إبادة الإيزيديين كما حدث مع حملة (ميرى كوره=الأمير محمد الرواندوزي الأعور) عندما نفذ الأمير علي بك الكبير بقتل (علي آغا البالطي) رئيس عشيرة الالكوشية المزورية في قصر باعذرة بتحريك من أمير العمادية الذي كان يمثل السلطة الأعلى في المنطقة آنذاك، مما حدا بابن عم القتيل (ملا يحيى) الالتجاء إلى والي بغداد (داؤد باشا) ناقلاً إليه شكوى قتل إبن عمه، فزوده الوالي بكتاب إلى أمير رواندوز (محمد باشا الأعور)، مستغلاً الفرصة ليزحف بجيش جرار خريف عام 1832 على مناطق الإيزيديين بدءًا من آسكي كلك فالشيخان إلى أن يصل زاخو، يصفي ويذبح الأبرياء الإيزيديين ويدمر القرى، ويلاحق الهاربين من الموت إلى الموصل ليعبروا إلى سنجار، ويذبحهم كالنعاج عند نهر خوسر (قوينجق)!! بحيث راح نتيجة تلك الإبادة أكثر من (100) مائة ألف ضحية مع سبي النساء والأطفال وتدمير المنطقة بكاملها. وتقول المصادر لم يبق من الإيزيدية آنذاك غير خمسة بالمائة!

أما الأمير "علي بك" الذي أعطى العدو الذريعة لارتكاب تلك المذبحة الرهيبة، فقد ترك أبناء جلدته ونجى من سيف الانتقام الذي كان أحق به وذهب إلى جبال العقر (العقرة) واختفي فيها، لكن بعد ذلك وقع هو الآخر في الأسر وتم شنقه!!

سقت هذه الفقرة من بين غيرها الكثيرات، لأوجه انتباه الإيزيدية إلى سؤال جوهري وجريء: من أعطى الذريعة والحجة للأمير الأعور في إبادة الإيزيديين حتى لا يبقى من مجموع مائة ألف في منطقة (ولات

شيخ)، من آسكي كلك إلى زاخو- غير خمسة بالمائة حسبما يذكره لنا التاريخ؟!! أما كان الأولى بالمجرم الأمير الرواندوزي أن ينتقم من الفاعل وكل من شاركه في فعل الجريمة دون أن يلجأ إلى الانتقام من الإيزيديين الأبرياء؟! فدفع الإيزيديون الأبرياء مقابل نزوة أميرهم الشخصية في قتل (علي آغا البالطي) دماء أكثر من (100) مائة ألف إنسان من الرجال والنساء والأطفال!!

السؤال الجري هنا: هل سيبقى مصير الإيزيديين رهينًا بيد نزوات وقرارات فردية، أم تحتاج المرحلة إلى وضع نظام مؤسساتي وعمل جماعي.

- بعض مقومات وحقائق الإمارة:

1. (الإمارة) و(الأمير) مفهومان مرتبطان بعقبة زمنية تخطاهما الزمن والتاريخ. ف (الإمارة) كيان اجتماعي سياسي شبه مستقل، وهي عبارة عن (أرض) وجغرافية محددة تعيش عليها مجموعة بشرية، ولها قوة مسلحة (جيش) تؤدي واجباتها وتحميها من الأعداء والطامعين فيها. وتملك (علمًا) وحتى (نقودًا وصكوكًا) خاصة بها. وكم من أسماء إمارات لامعة في تاريخ الشعب الكردي تلاشت واندثرت ولم تبق لها غير الاسم في بطون الكتب وبعض من بقايا القلاع والقصور على الأرض! وهذا كان مصير الإمارات الإيزيدية نفسها التي اندثرت هي الأخرى مع شقيقاتها. أين إمارة حلب، شنكال، زوزان، العمادية، حرير، الشيخان، أربيل وراوندوز؟!

2. منصب (الأمير) لدى الإيزيدية ولدى غيرهم كان منصبًا إداريًا بحتًا لا علاقة له بالشؤون الدينية. ف (الأمير) بالأصل لا يمثل السلطة الدينية، وهو بالتالي ليس معصومًا ولا "ظل الله على الأرض" ولا يمثل "الشيخ آدي" ولا هو وريثه.

3. كان للإيزيدية، كما أشرنا إليها في الحلقة الأولى "موجز تاريخ الإمارات الإيزيدية" العديد من الإمارات لا تحكمها سلالة واحدة، بل سلالات إيزيدية مختلفة.

4. حوالي عام 1623م الذي كان يعتبر عهدًا مضطربًا للدولة العثمانية، انقطعت سلسلة نسب حكم داسني المنحدرين من الشهيد الشيخ حسن ابن أبو البركات عدي الثاني وذلك بإزاحته من قبل زعيم في جبال سوران وراء الزاب الكبير والذي أرجع نسبه إلى الشيخ أبي بكر، أحد أبناء عمومة الشيخ آدي. وبعد قتل الأمير الداسني وثمانين من أتباعه أسس الشيخ محمد –

المعروف بالكردي الأربيلي الباطني- عائلة حاكمة أميرية لا زالت تحكم الإيزيديين وتقوم بحماية حرم لالش (جون غيست، ص 114).

في مقابلة مجلة (نور لالش) معي عام 2004، وكذلك في مقال كتبته في 6/ 6/ 2006 تحت عنوان: أي مؤتمر ننتظره" مؤتمر مصالحة أم مصارحة" عبّرت فيه عن موت الإمارة الإيزيدية عام 1834م مع حملة إبادة الأمير محمد باشا الرواندوزي الملقب (ميرى كوره). ودفنت بشكل كامل بعد الحرب العالمية الأولى عندما تم تقسيم تركة الدولة العثمانية بموجب اتفاقية سايكس-بيكو 1916.

– ملامح ومقومات بقاء الإمارة:

رغم موقفي الثابت بعدم وجود إمارة إيزيدية بالمعنى التاريخي، وتحويل (الأمير) من وظيفته الإدارية الدنيوية إلى وظيفة دينية ودنوية بعد استيلاء الأمير محمد الباطني الأربلي على إمارة الشيخان عام 1623م، نشأ عنه مزيج من نظام هرمي ديني-دنيوي وراثي. ورغم إيماني أن الأمراء لم يجلبوا للمجتمع الإيزيدي غير الويلات والبلاء والإبادات، ولن يتركوا ورائهم حضارة أو معلمًا أو أثرًا يفتخر به الإيزيديون. إلا أنني أقف اليوم مع جميع أتباع الديانة الإيزيدية أمام التاريخ المحمل بالدم والواقع المرير الذي يمر به الإيزيديون بعد إبادة عام 2014، حيث يتواجد أكثر من نصفهم داخل المخيمات البائسة، وهجرة حوالي (120) مائة وعشرون ألف منهم إلى دول المهجر، وآلاف السبايا والأسرى ما زالوا بيد عصابات داعش الاجرامية، والمئات من الطلبة والتلاميذ يبحثون عن مدارس وجامعات تأويهم... الخ. باحثًا معهم سوية عن مخرج يحفظ ما تبقى من وجودنا وكرامتنا.

كتبت لأحد أصدقائي الأعزاء من سنجار: يجب علينا جميعًا التفكير عن صيغة لملمة الإيزيديين ومداواة جرحهم تحت أي شكل من أشكال التقارب لديمومة الهوية... أجابني بالحرف: أمر صعب أخي لأن الإيزيديين مشتتين، والتجزئة قد وصل حد الجزء المجزوء على حد تعبيره. وأضاف: الأحزاب والانتماءات دمرّ نسيجنا! وقال بالحرف الواحد وبكل صراحة: أنا كشخص إيزيدي لا يهمني إلاّ أهلي بعيدًا عن الإمارة في العمارة!!

فهل أن "البعض" من (تفاؤلي) ساذج، أم أن (تشاؤم) صديقي يحمل الكثير من المصداقية؟!

فقدان الأمل لدى الإنسان والمجتمع، يعني الجمود والموت البطيء وربما الانتحار. إلاّ أنه في المقابل (الأمل) لا يعني أن تركض وراء العاطفة وتجاري أخطاء قوم، وإنما أن تطرح أفكارًا وأدوات عمل جديدة. مشكلة الإيزيديين ليست برحيل الأمير تحسين بك الذي بقي على رأس (الإمارة) حوالي خمسة وسبعون عامًا (1944-2019). كانت له على المستوى الشخصي أخلاق جيدة وصفات حميدة، لكن على مستوى قيادته للإيزيدية بعد عام 1991 و2003، فقد كانت له نواقص وإخفاقات كثيرة خاصة عشية الإبادة وأثنائها وبعدها، وأن موقفه في الكثير من المحطات ألحق ضررًا كبيرًا بحاضر ومستقبل شعبه!

وهنا فإن معالجة مشاكل المجتمع الإيزيدي وتجاوز الحالة المأساوية لن يكتب لها النجاح المتوقع، ما لم يقترن ببعض الإصلاحات والتغييرات وإجراء "عمليات جراحية لأمراض مزمنة" في سلم التقسيم الهرمي المصطنع والحديث العهد وفصل الشؤون الدينية عن الشؤون الإدارية السياسية، وحينها يعمل المساران معًا وبشكل متوازي وربما يقودان إلى نوع من التئام الجرح وإعادة الثقة.

وفيما يلي بعض الحقائق والبديهيات مع خطوط عامة لمشروع الإصلاح والتغيير دون الدخول في تفاصيلها:

– بعض الحقائق أو البديهيات: بعد إبادة إيزيدية سنجار 3 / 8 / 2014

* الحقيقة/ البديهية رقم 1: يجب أن تكون هنالك إصلاحات وتغييرات على شكل المؤسسة الدينية الإيزيدية، يؤمن بها الأمير القادم ويتعهد العمل بها، وتحويل المؤسسة الدينية من عمل "عشوائي" وقرارات ارتجالية فردية، إلى شكل مؤسساتي لا يستفرد بها هو بها وحده، بل يشاركه في صنع القرار فعليًا (برلمان إيزيدي موسع يشارك فيه إيزيدية باقي الدول). يراعى فيه نسبة إيزيدية سنجار وأوروبا، والتيارات الإيزيدية المختلفة ومن كلا الجنسين وإلغاء (المجلس الاستشاري) الصوري السابق الذي لم يكن سوى اسم بدون مسمى!. وهذا يعني فصل الدين عن السياسة، وتحويل منصب الأمير إلى منصب رمزي وإبعاده عن السياسة والتحزب، وأن يلتزم بالانفتاح على بغداد وأربيل على حد سواء. وتشكيل "مجلس روحاني جديد وبمواصفات جديدة بحيث يكون رجل الدين في ذلك المجلس على درجة من العلم والمعرفة والنزاهة، يتم انتخاب هؤلاء حسب الكفاءة والسمعة وبدون مقابل مادي من نفس السلالات والعوائل.

* الحقيقة/ البديهية رقم 2 التي يجب أن تتغير: هي عدم إعطاء القدسية لمنصب الأمير يطرح فيه شرط أن يكون والديه من عائلة الشيخ محمد الباطني!! إذا علمنا أن الأمير محمد الباطني الذي كان أميرًا على منطقة أربيل، استولى على إمارة الشيخان عام 1623م بعد إراقة سيل من الدماء. وهو لا ينحدر من سلالة الشيخ آدي بن مسافر.

* الحقيقة/ البديهية رقم 3: يجب (التأكيد على يجب) أن تكون هنالك كلمة للمجتمع الإيزيدي والمجلس الروحاني في اختيار الأمير الجديد حسب مواصفات تتلاءم مع روح العصر والحالة المأساوية التي يمر به المجتمع الإيزيدي. إلاّ أن كلمة (يجب) سوف تلاقي صعوبة التحقيق بسبب الهيمنة السياسية للحزب الحاكم في الإقليم.

* الحقيقة/ البديهية رقم 4: سوف يكون دور الأمير والإمارة ضعيفًا إذا لم يعمل بالحقيقة رقم 1.

* الحقيقة/ البديهية رقم 5: ربما تحدث منافسة وصدامات بين العائلة الأميرية نفسها على المنصب وتبرز الانقسامات ليس للعائلة الأميرية،

وإنما انقسامات بين الإيزيديين أنفسهم؛ ولات شيخ، سنجار، أرمينيا وجورجيا، والمهجر، وهذا ما لا نتمناه نحن في هذا الظرف العصيب والحرج.

* الحقيقة/ البديهية رقم 6: الأمير الجديد الأوفر حظًا بالفوز، هو الذي يكون قريبًا من معبد لالش.

* الحقيقة/ البديهية رقم 7: أن منطق السلطة وسياسة القوة وشراء الذمم سوف يلعب دوره في اختيار الأمير من العائلة الموالية نفسها. فالأمير المرحوم تحسين بك كان اختياره عام 1944م بدعم حكومة العراق الملكية والبريطانية آنذاك. وبعد استلام حزب البعث السلطة عام 1968 تبنى سياسة دعم امير بديل هو بايزيد بك ابن إسماعيل بك. وبالتالي لم يكن أمام الإيزيديين سوى السكوت والتطابق مع تلك الإملاءات السياسية.

* الحقيقة/ البديهية رقم 8: وبما أن معبد لالش، المكان المقدس للديانة الإيزيدية، وبيت الإمارة والإيزيديون يقعون في مناطق خاضعة لنفوذ الحزب الديمقراطي الكردستاني مثل الشيخان وتلكيف ودهوك وزاخو، سيتدخل، بلا شك، بكل الوسائل والطرق التدخل ويكون له رأي حاسم في اختيار وتعيين أمير تابع، وسيتبنون سياسة تدعمه وتعرقل أي مرشح بديل. في هذه الحالة سيكون الأمير الجديد ضعيفًا ولا يخرج من دائرة الإملاءات، وستتعقد الأمور أكثر، وستصبح الحالة أصعب، وسيزداد تشرذم الإيزيديين وستظهر مجموعات متمردة على الأمير الجديد ومجلسه الروحاني. و(ستبقى الإمارة في العمارة!) وربما نقول: الأمير تحسين بك كان أخر أمراء الإيزيديين!!

* الحقيقة رقم 9: يجب أن يكون هناك تنظيم قانوني بعيد عن الفوضى التي عصفت بالإيزيدية من سنين مضت، والزام من يتولى الإمارة بهذا الموضوع. وأن يكون هناك تنظيم مالي لخيرات لالش.

الخلاصة، ومن أجل تدارك حالة الضعف الذي يمر به الإيزيديون، والخروج منها بأقل الخسائر هو اختيار الأمير الجديد من قبل الإيزيديين والمجلس الروحاني والنخبة الإيزيدية في كل مكان بالإصلاحات والتغييرات على شكل المؤسسة الدينية الإيزيدية وتحويلها من عمل

"عشوائي" وقرارات ارتجالية فردية قاتلة في بعض المحطات التاريخية، إلى أشكال تنظيمية ومؤسساتية لا يستفرد بها الأمير وحده، أو كما يملي عليه من خارج الجسم الإيزيدي، بل يشاركه فيها فعليًا (برلمان إيزيدي موسع) ينبثق من مؤتمر عام يعقد لهذا الغرض، ويضم ممثلين لإيزيدية باقي الدول (سوريا، تركيا، أرمينيا، جورجيا، جمهوريات روسيا الاتحادية، أوروبا، أمريكا وكندا واستراليا). هذا مع فصل المؤسسة الدينية (المجلس الروحاني) عن البرلمان الإيزيدي الدنيوي. إذا لم يلتزم الأمير والإمارة والمؤسسة الجديدة بالنقطة الأولى، سوف تكون الإمارة ضعيفة وربما تبقى اسما بدون مسمى، وهذا ما لا يتمناه أي إيزيدي والمحبين لهم من أصدقائهم والحريصون على الحفاظ على الهوية.

أغلب الظن أن اسم الأمير الجديد قد تم حسمه خلال آخر زيارة قام بها المرحوم تحسين بك إلى كردستان عندما فرشوا له السجاجيد الأحمر في مطار أربيل، ولقائه بعد ذلك مع قيادة الحزب الديمقراطي الكردستاني. لكن مع ذلك لا بأس أن نعبِّر عن رأينا للمجتمع الإيزيدي المغلوب على أمره!

فلسفة الحُكم
من "الحق الإلهي" إلى الحُكم الشعبي [٨٩]

* "التجارة بالأديان هي التجارة الرائجة في المجتمعات التي ينشر فيها، إذا أردت أن تتحكم في جاهل فعليك أن تغلف كل باطل بغلاف ديني". (ابن رشد)

* "السلطة الروحية على الناس هي أبشع ألوان الاستعمار العقلي، هي منصب سيادي فاسد حتى النخاع". (الدكتور سيد القمني)

* وأنا أقول: الحرية هي أساس كل إبداع، والإنسان الحر يبني مجتمعًا متعافيًا. والإنسان التابع الذليل والعبد يخلق حكامًا ديكتاتوريين ويحطم المجتمع.

من الطبيعي لن أتطرق إلى كيفية تطور جميع أنظمة الحكم عبر التاريخ، بقدر ما أود الإشارة إلى ظهور مفهوم "الحق الإلهي" وكيفية استغلاله لحد الآن عند بعض الحكام والأمراء تحت غطاء الدين.

من يقلّب صفحات التاريخ يجد صنوفًا من أنظمة الحكم، بعضها تسيد التاريخ لقرون طويلة، كحضارات وإمبراطوريات بأشكالها المختلفة؛ أولى تلك الحضارات:

- الحضارة السومرية أو كما سميت في الكتاب المقدس (شنعار) ظهرت حوالي (3500 ق.م.) والبابلية (1894 ق.م.) ظهرتا جنوب بلاد ما بين النهرين (العراق حاليًا) واستمرتا كديانة إلى حوالي عام 400 بعد الميلاد. والحضارة الآشورية شمال وادي الرافدين (612-1900 ق.م.). اعتنق السومريون، ومن بعدهم البابليون والآشوريون الملك كإله، أو نصف إله، كما الحال في شخصية كلكامش، وهو يدير شؤون المدينة، وكان لكل

(٨٩) حُرِّر في مانيلا بتاريخ ٨/ نيسان/٢٠١٩.

مدينة إله (ملك)، تزداد أو تقل أهميته بناءً على دور المدينة الاقتصادي والتجاري. (يلاحظ لحد الآن وجود ظاهرة "خودان-إله" لكل قرية إيزيدية يدير شؤونها "مجيور" الذي يمثل دور الكاهن السومري تقريبًا!)

- الحضارة الفرعونية، ظهرت حوالي 3150 قبل الميلاد على نهر النيل حيث مقومات الزراعة وخصوبة الأرض. وقد اعتنق المصريون القدماء فكرة الملك المقدس يدير شؤون البلاد. واعتقدوا أن كل ملك هو "ابن الإله".

- الحضارة الإغريقية (-1200 323 ق.م.)، كانت فيها أيضًا تعدد الآلهة.

- الحضارة الرومانية (735ق.م.- 1435م بسقوط القسطنطينية على يد العثمانيين)

- الحضارة الآرامية، وسط وشمال سوريا والجزء الغربي من بلاد الرافدين.

- الحضارة الإسلامية/ التي بدأت من عام (570م)، ويتفق المسلمون على أن الإسلام دين ودولة، وتنطبق عليها النظرية الثيوقراطية الدينية التي ترجع أصل السيادة ومصدر السلطة إلى الله، فهو وحده صاحب السيادة واليه ترجع السلطة الآمرة.

محطتنا الأولى تبدأ كالعادة عند ظهور بذور أقدم ديانة في بلاد ما بين النهرين بناءً على اكتشاف أول دليل واضح عند اختراع الكتابة عام 3500 تقريبًا قبل الميلاد في عصر ظهور السومريين في الألفية الرابعة قبل الميلاد. رغم أنه غير معلوم إن كان السومريون قد هاجروا إلى المنطقة في عصور ما قبل التاريخ أو فيما إذا كانوا من السكان الأصليين. على الرغم من أن هذه الديانة اندثرت بشكل كبير في عام 400 بعد الميلاد تقريبًا، إلا أنه يعتقد كان له تأثير كبير على الديانات اللاحقة في جميع أنحاء العالم من ضمنها: الكنعانية والآرامية واليونانية القديمة والديانات الفينيقية والديانات الموحدة.

تميزت الديانة السومرية بتعدد الآلهة إلى درجة أنهم وضعوا لمعظم الأشياء إلاهًا كالفأس وقالب الحجر والمسمار... الخ، ولكل شخص إله يحميه ويحقق طموحاته، واعتقدوا أن هؤلاء الآلهة يعيشون كالبشر يتزوجون ويتناسلون ويتخاصمون، ولكنهم يمتازون عن البشر بالخلود،

كما اعتقدوا أن هناك مجمعًا من سبعة آلهة يقررون المصائر، ومجمعًا آخر من خمسين إلهًا.

وذهب البعض أن ديانة بلاد ما بين النهرين كانت شركية، لأنهم يعبدون ما يقارب من 2.400 آلهة) [٩٠]، مختلفة ذكورًا وإناثًا معظمها كان لها أسماء سومرية (دنغر). صنفت خمسة من تلك الآلهة على أنها ذات أهمية خاصة وأرفع مكانًا من البقية ويعود تاريخها إلى عام 2600 قبل الميلاد تقريبًا، وكل منها ارتبطت اسمها بمدينة أو ولاية معينة داخل بلاد ما بين النهرين، وترى الإله كحامي لها. من هؤلاء: كان الإله (إنليل) إله الهواء واحدًا من أهم أوائل آلهة بلاد ما بين النهرين وهو في الأصل إله سومري يعتبر ملك الآلهة وحاكم العالم ارتبط بمدينة نيبور. بعد ذلك اتخذه الأكاديين إلهًا لهم. الثاني، كان الإله السومري (آن) إله السماء والذي عُرف باسم (أنو) بين الأكاديين، مركز عبادته مدينة أوروك. الإله الثالث (إنكي) إلهة الأرض والتي عرفت بـ (إنا أو إيا) عند الأكاديين والبابليين، الراعية الأكبر لمدينة أريدو السومرية. الرابع (نانا) إله القمر السومري، (سين) عند الأكاديين. ارتبطت اسمها أيضًا بمدينة أوروك. الخامس (أوتو) إله الشمس السومري باسمه الأكادي (شمش). ومع زيادة نفوذ البابليين في القرن الثامن عشر قبل الميلاد، أعلن الملك حمورابي (مردوخ) إله وأعطاه منصب السيادة إلى جانب أنو وإنليل في جنوب بلاد ما بين النهرين، ارتبط اسمه بمدينة بابل. والإله (آشور) ارتبط اسمه بمدينة آشور، والإلهة (عشتار) ارتبطت بمدينة اربيل.

كان يُعتقد أن نشأة البشر هي فعل إلهي للخلق، وأن الآلهة هي مصدر الحياة وتمتلك سيطرة على المرض والصحة بالإضافة إلى امتلاكها سيطرة على مصير البشر. ويعتقد أيضًا أن الإنسان خُلق كخادم أو عبد (أردو) ليخدم الإله (بيلو). وكان المؤرخ جان بوتيرو يعتقد أن الآلهة لم يكن يُنظر إليها بروحانية، بل كانت تُرى على أنها أسيادًا يجب أن تُطاع وتُخشى لا أن تُحب وتُعشق. لذا فان أحد الأسباب التي جعلت الآلهة تعطي الملك السلطة هي أن يطبق العدالة والصلاح، أما في حال عدم التزام الناس وإقدامهم على الخطيئة، فان ذلك يثير غضب

(٩٠) تالكفست في كتابه:Akkadische Götterepitheta ١٩٣٨.

الآلهة ويجلب للناس الحرب والكوارث الطبيعية كعقاب لهم، وكان الملوك يستخدمون كأداة للنجاة.

جاء عصر إسكندر المقدوني، باحتلاله لبابل نهاية عام 331 ق.م. التي كانت تحت سيطرة الإمبراطورية الأخمينية واتخاذها عاصمة لإمبراطوريته، عاش وتوفي فيها (13حزيران 323 ق.م.) عن عمر الثلاثة والثلاثين عامًا، كما هو منقوش على حجر أمام العرش الذي كان يجلس عليه الملك نبوخذ نصر، وانتصاره على الإمبراطور الفارسي دارا الثالث (323 ق.م.) في معركة إيسوس، وفتحه لمصر الفراعنة، ليظهر تقديسه لآلهة البابليين، ويأمر بإعادة تشييد (آي سجيل- ايزاجيلا) معبد الإله مردوخ الذي كانت قد تهدمت أجزاء كثيرة منه. ويتأثر بمركزية الفرعون في الحياة الاجتماعية والسياسية والدينية في مصر ويتبنى فكرة كونه ابن الإله (رع) وكونه الإله (حورس)، ويعترف بالإله (آمون) الذي كان الكبش رمزًا له، ولهذا وضع الإسكندر قرني كبش على خوذته ليدل بذلك على أنه ابن آمون. كل هذا يعني أن إسكندر المقدوني أراد أن يرسخ نفسه حاكمًا في الشرق عمومًا وفق التقاليد الشرقية وليس وفق التقاليد اليونانية، وقد تحقق ذلك فعلاً حيث نصب الإسكندر نفسه كفرعون مصر على أساس "الحق الإلهي" فهو "ابن رع" وهو "حورس" الأمير القوي حامي مصر.

لم يكن (الحق الإلهي) أساسًا لفكرة الحكم عند اليونان منذ أن عبروا مرحلة الحكم الملكي في تاريخهم المبكر، وباختفاء هذا الحق اختفت بالضرورة فكرة الحكم الفردي المركزي المطلق لتحل محلها فكرة الحكم الجماعي التي وصلت في بعض المناطق اليونانية إلى صورة الحكم الشعبي. وأن ذلك قضت على فكرة تركيز السلطات التي يمثلها الحكم الفردي لتحل محلها فكرة توزيع السلطات على القاعدة الشعبية... (يحيى، لطفي عبد الوهاب، دراسات في العصر الهلنستي، دار النهضة العربية، بيروت 1978، ص 47 / مقتبس من كتاب: د. خزعل الماجدي، كشف الحلقة المفقودة بين أديان التعدد والتوحيد، المركز الثقافي العربي، 2014، ص37).

وبسقوط ملوك بابل وآشور والفراعنة المؤلهين الذين ذاب الفرد في سطوتهم، وكذلك سقوط عرش الطاؤوس في فارس، تحرر الفرد في الشرق من الكبت، وذاق حلاوة الإبداع وحرية التفكير، ولم يعد يخاف لا من الكهنة- حراس العقائد- ولا من جبروت حكامه المؤلهين، فتحرر لأول مرة من نزعات السيطرة والاستبداد حسب رأي (الناصري، سيد أحمد علي). [٩١]

أفلاطون في كتابيه الاثنين (الجمهورية) و(القوانين) يتحدث عن فلسفة الحكم وعن الدولة الفاضلة التي يجب أن تكون بيد الحكماء. وجاء من بعده شيشرون، الذي لقب بخطيب الرومان، ألف أيضًا كتابين بنفس الاسم (الجمهورية والقوانين) لم يبتعد عن فكرة أفلاطون في الحكم.

أما في بلدان الشرق الأدنى وجنوب شرقي آسيا (اليابان انموذجًا)، كانوا يعتبرون أباطرتهم من نسل الآلهة. وفي اليابان يطلق على الإمبراطور لقب "تينو" أي السيادة السماوية، في إشارة على فكرة أن الإمبراطور هو سليل "إلهه الشمس" أماتيراسو، وشينتو (صوت الآلهة) اليابانية. واحتفظت الأُسرة الإمبراطورية التي يرقى تاريخها إلى ما يفوق 2600 سنة بحق إله للحكم، لكن في القرون الأخيرة بدأت تلك الهالة حول الإمبراطورية تتحدى فكرة أن الحكام هم أنصاف آلهة. وبعد الحرب العالمية الثانية وكجزء من استسلام اليابان في الحرب، أعلن الإمبراطور (هيروهيتو) التخلي عما سماه الفهم الخاطئ بأن الإمبراطور إلهي. ووفقًا للدستور الياباني في فترة ما بعد الحرب 1947 فإن الإمبراطور أصبح رمزًا للدولة ولوحدة الشعب دون أي سلطة سياسية. وفي سابقة تاريخية أشار إمبراطور اليابان الحالي (اكيهيتو) في خطاب له مؤخرًا، عن رغبته في التخلي عن العرش، وهو ما سيجعله أول شخصية ملكية في اليابان تتنحى عن الحكم طواعية منذ مائتي عام.

نظرية حق الملوك الإلهي، المستمد جذوره من ديانات الحضارات القديمة، هو مفهوم ديني وسياسي تبنته أوروبا في القرون الوسطى حيث سادت الملكية المطلقة، وتُعزى هذه النظرية إلى التصور السائد الذي

(٩١) الناصري، سيد أحمد علي: تأريخ وحضارة مصر والشرق الأدنى في العصر الهلنيستي، دار النهضة العربية، القاهرة ١٩٩٢، ص ١٠٣-١٠٤. (مقتبس من كتاب: د. خزعل الماجدي، مصدر سابق ص٣٧).

يشير إلى منح الإله سلطة مؤقتة إلى حاكم سياسي، بينما تُمنح السلطة الروحية إلى رأس الكنيسة الكاثوليكية الرومانية. ومع ذلك فقد وطد الملوك القوميون الجدد سلطتهم في جميع الأمور وعادة ما وضعوا أنفسهم على رأس الكنيسة إلى جانب رأس الدولة. وفي الإسلام لا يزال حاضرًا في العديد من الدول الإسلامية، قائم على أن الملك/ أو الأمير يستمد شرعيته من الله مباشرة ولا يحق لأي قوة أرضية أن تنازعه في حقه الإلهي من السماء، ويحكم بسلطة مطلقة ويعتبر أي نوع من العصيان والخروج عليه ذنبًا بحق الله، ولا يحق للمحكومين محاكمة الملك/ الأمير ومقاضاته فهذا من شؤون الله حسب المفهوم. يعد جيمس الأول من إنكلترة وابنه تشارلز الأول أشهر من استمدوا شرعيتهم من خلال هذا المفهوم. وكان قسطنطين الأول من الكرسي الرسولي أول من استعمل هذا المفهوم واعتبر الملوك ممثلين الله على الأرض من الملوك المسيحيين. تم التخلي عن المفهوم عقب الثورة البريطانية (1688–1689) ونجاح الثورة الفرنسية والأمريكية إلى أن تم التخلي عنه تمامًا في أوروبا والأمريكيتين في القرن العشرين.

أما الحاكمية في الإسلام فهي أقل وضوحًا من نظيرتها المسيحية، فدول الخلفاء لم تعتبر الخليفة ممثلا لله بقدر ما هو خليفة محمد، ولكن بالنتيجة يعتبر مقدسًا لأنه يمثل النبي. وفي المرحلة السابقة للإسلام كان الملوك يستعبدون الناس لأنفسهم زاعمين أن لهم سلالة عرقية خاصة أسمى من العنصر البشري المشترك، فأدعو أنهم آلهة أو من نسل الآلهة كما فعل أباطرة الروم، وكانوا يرون أن ما تقدمه لهم الأمم من مراسم الخدمة والولاء والخضوع المذل والتضحية بالنفس والنفيس لأجلهم ليس إلا واجبًا مقدسًا يقومون به تجاه عروشهم!

الملكية المطلقة هي حكم مطلق يكون بيد فرد حاكم من أشكال الحكومة يكون فيه للملك/ الملكة أو السلطان والأمير سلطة مطلقة على كافة جوانب حياة رعاياه. وبعض النظريات السياسية المدافعة عن الحكم المطلق (الحق الإلهي) تعد الطاعة الكاملة لإرادة واحدة ضرورية للحفاظ على النظام والأمن!!

ظل الحال هكذا إلى أن ظهر الراهب الألماني وأستاذ اللاهوت مارتن لوثر (1483-1546م)، الذي أبدى اعتراضه على الكنيسة وصكوك الغفران، وأطلق عصر الإصلاح في أوروبا ونشر في عام 1517م رسالته الشهيرة المؤلفة من خمس وتسعين نقطة تتعلق أغلبها بلاهوت التحرير وسلطة البابا في الحل من "العقاب الزمني للخطيئة". مما أدى إلى إدانته مع كتاباته واعتبروه خارجًا عن القوانين المرعية في الإمبراطورية.

باحتدام الصراع الطبقي في أوروبا وقيام الثورات التي رافقت مع تطور الفلسفة والاقتصاد والاختراعات الصناعية، أعلن الفيلسوف الألماني فريدريك نيتشه (1844-1900م) قوله المشهور: "لقد مات الله". هذه المقولة كانت تأسيسًا لمركزية الإنسان كونه هو القيمة الأسمى، وإيذانًا بسقوط (الحق الإلهي للملوك) والحكام والأمراء، وأن الإنسان لم يخلق عبدًا لأحد، بل أنه القيمة الأسمى والأغلى الذي يجب أن تسخر جميع الإمكانيات لسعادته.

جاء عصر الثورة المعلوماتية الجبارة التي نعيشها الآن لتضيف بعدًا جديدًا إلى مقولة الفيلسوف نتشه "لقد مات الله"، وتحطم الكثير من المفاهيم والمقولات والثوابت في كافة المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية وأساليب الحكم. وتحطم عروش الأباطرة والدكتاتوريين وتغير من أساليب الحكم.

إن الإيزيديين كمكون ديني الذين لا يربو تعدادهم في كل العالم على مليون وربع، ليسوا إلاّ قطرة من ماء بحر، ليسوا بإمكانهم العيش بسلام خارج عاصفة التغييرات وخاصة فيما نشاهده الآن من صراع محتدم دائر على مركز الأمير ومستقبل الإمارة برمتها! وإذا كان (إله أوروبا)

الذي أعلن فريدريك نيتشه عن "موته" أواسط القرن التاسع عشر، فإن (الإله الإيزيدي) المتمثل بالإمارة "قد مات" أكثر من مرة عبر التاريخ. "أقصد هنا موت الحق الإلهي للأمراء".

- "مات الإله" بعد حملة إبادة السفاح أمير رواندوز (محمد باشا الأعور) وإبادته لأكثر من (120) ألف إيزيدي من وراء تهور الأمير ونزواته الشخصية وعدم تقديره للموقف!

- "مات الإله" حينما أشهر الأمير الإيزيدي إسلامه ونطق بكلمة الشهادة عام (1892م) أمام القائد العثماني التركي (الفريق عمر وهبي باشا) في ولاية الموصل. مات من معه تحت التعذيب لأنهم رفضوا النطق بكلمة الشهادة، أم أميرهم فقد منح لقب "الباشا" جراء شهادته!

- "مات الإله" عندما سلم الأمير مصيره لحزب حاكم وأهمل المركز بغداد، وغدى داعية على الفضائيات لحشد الإيزيديين للانتخابات والاستفتاءات!

- "مات الإله" عندما لم يتجرأ الأمير من زيارة سنجار ويشارك أهله بعد كارثة الإبادة، ولم يحاول من إيصال ولو حمل عربة تراكتور من قناني الماء من رصيد ملايين الدولارات المدخرة عن خيرات الإيزيدية إلى الهاربين من نار الإرهاب الداعشي في سفوح جبل سنجار!

- "مات الإله" عندما لم يصبح الأمير أبًا لكل الإيزيديين بغض النظر عن انتماءاتهم السياسية والفكرية، ووضعهم الاجتماعي!

- "مات الإله" حينما لم يصغ الأمير إلى الدعوات المخلصة لتنظيم خيرات لالش وبقية المقدسات وصرفها للمصلحة الإيزيدية العامة!

أعظم خطأ، بل خطيئة، أن يستلم رجل الدين، أميرًا كان أم مجلسًا روحانيا أم سدنة قائمين على خدمة المزارات رواتب من حزب حاكم، لأنهم حينها يتحولون من رجال دين إلى أبواق أو عناصر صامتة في أحسن الأحوال!

أتعجب، بل أشفق على بعض الأقلام التي صمّت آذاننا خلال الشهرين الماضيين حول تنصيب الأمير ومواصفاته وسبل اختياره، من دون أن يجهدوا ويسالوا أنفسهم: ماذا خلّف الأمراء السابقون واللاحقون من أثر حضاري يفتخر به الإيزيديون غير ركام قصر في قصبة باعذره تسمى بـ (خزينة الرحمن) التي هي عبارة عن أربعة جدران تتكاثر فيها بعض الحيوانات!

ألا تلاحظون أيتها الأخوات، أيها الأخوة، الإيزيديون الكرام ان كثرة المرشحين وطول الفترة التي تناهز الشهرين في عدم التوصل إلى اسم بين العائلة نفسها لمنصب الأمير، دليل على أن الصراع هو من أجل

السلطة والاستحواذ على الخيرات (السلطة والمال) بدليل أن بعض العوائل لم ترشح أحد من أفراد عائلتها لمنصب الأمير، بل قالت: (نحن شركاء خيرات لالش وغيرها مع أي أمير ينتخب)! إذن لتذهب مصلحة الإيزيدية إلى الجحيم وبأس المصير!

نقول لجميع المرشحين: كفى استهتارًا بعقول الإيزيديين الغلابة. كفى التنازع على السلطة باسم الدين. كفى الضحك على الذقون والتلاعب بمشاعر الناس. كفى ترديد خرافة "أن يكون والدي الأمير من العائلة"! الشرف ليس في النسب، بل الشرف في العمل والفعل للمصلحة العامة!

أكرر ما قلته من رأي حول "الإمارة والأمير" والإصلاحات في مقالاتي السابقة: عام 2000، 2004، 2006، 2007 وآخرها 2019. مع إضافة اعتقادي: (ان إبادة سنجار 3/ آب/ 2014 سيكون المسمار الأخير في نعش الإمارة الإيزيدية!). حتى إذا تم انتخاب أمير تابع لجهة سياسية، سوف لن يكون مقبولاً من جميع الإيزيديين خاصة إيزيدية سنجار والمهجر، وسيتراجع العنوان من: (أمير الإيزيدية في العراق والعالم) إلى (أمير الشيخان).

أقترح مخلصًا: أن تقتدي (العائلة الأميرية) بالإمبراطور هيروهيتو، إمبراطور اليابان تلك الدولة العملاقة (مع الفارق بين إمبراطور عظيم لدولة عملاقة، وأمير وإمارة لا تأثير لهما على الساحة)، في التخلي عن عرش الإمارة ويصبحوا رمزًا/ أو رموزًا للإيزيديين ولوحدتهم دون أي سلطة سياسية. أعتقد التاريخ الإيزيدي أمام استحقاق أن يتخطى (الحق الإلهي للأمير) إلى الحكم الشعبي، وتتحول الإيزيدية إلى عمل مؤسساتي تفصل الشؤون الدينية (المجلس الروحاني) عن الشؤون الإدارية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية، وينبثق ذلك من مؤتمر عام وشامل ومصيري يجمع كل إيزيدي العالم. إنها ليست بالمهمة السهلة وسوف تأخذ وقتًا وجهدًا، لكنها خطوة على الطريق الصحيح تلائم مع التغييرات التي طرأت على المجتمع الإيزيدي خلال القرن الواحد والعشرون عامة وإبادة سنجار خاصة.

لولا جريمة الأميرين! [٩٢]

"لولا جريمة الأميرين عام 1832 لكان نفوس الإيزيديين حاليًا بالملايين وليس نصف مليون!!"

معظم الكُتاب الذين كتبوا عن إبادة محمد باشا الرواندوزي (ميرى كوره-الأمير الأعور) بحق الإيزيديين عام 1832، يذكرون تقريبًا أن عدد الذين تمت إبادتهم وصل إلى (120) مائة وعشرون ألف ضحية بريئة بين قتل وسبي، ولم يبق من نفوس الإيزيديين آنذاك غير خمسة بالمائة!

لا خلاف على حجم الضحايا المهول! ولا خلاف أن تلك الإبادة كانت الأكثر بربرية ووحشية وقساوة، بحيث أصبح اسم (محمد الرواندوزي-ميرى كوره) محل شؤم وحقارة وانحطاط أخلاقي يردده الإيزيديون في موروثهم الشفاهي ليومنا هذا.

المثير للتساؤل، قيام بعض الكتاب الإيزيديين بتبييض صفحة المجرمين تحت عناوين "الواقعية والموضوعية"! من دون الاطلاع على الحيثيات، يأتون ينتقدون و"يخطئون" تحليلاتي لبعض الحوادث التاريخية التي جئت بها في مقالي (هل ستبقى الإمارة في العمارة!) حول أسباب ونتائج حملة وإبادة الجلاد (ميرى كوره) للإيزيديين، من دون أن يقدموا هم تحليلاتهم "الصحيحة" بشأنها.

من الطبيعي أن تصرف وقرار شخصي لقائد أو زعيم أو أمير يؤدي إلى كارثة على الشعب الذي يقوده كقرار صدام حسين، مثلاً، بدخول الكويت الذي دمّر العراق وما زال الشعب يدفع ثمن تلك الحماقة لحد الآن!! كما أن عود ثقاب كفيلة بإشعال غابة بأكملها!! علمًا في مقالي كتبت بصيغة المفرد عن إبادة (فرمان) واحدة وليست (فرمانات)، وهي إبادة (ميرى كوره) عام 1832م بالتحديد، مشيرًا إلى طرفي الجريمة؛ الأمير الإيزيدي (علي بك) الذي قام بقتل (علي آغا البالطي) المسلم

(٩٢) كُتِب في مانيلا بتاريخ٢٠١٩/٢/٢٢.

غيلة وغدرًا في داره، من وراء نزوة شخصية وبتحريك من أمير العمادية. ولم يقف عند هذا الحد، بل ورط الإيزيديين في جريمته، حيث تذكر بعض المصادر أنه جمع أربعين من وجهاء ورؤساء العشائر الإيزيدية ليطعن كل واحد منهم بخنجره في جثة القتيل!! من دون أن يأخذ بنظر الاعتبار خطورة حالة المجتمع الكردي العشائرية والدينية آنذاك!! هل يقدم عاقل وحكيم على مثل هكذا فعل؟!! تلك الجريمة التي أعطت بالفعل الذريعة لتحريك المناخ الديني المتعصب والصراعات المحتدمة بين الدولتين العثمانية والصفوية من جهة، والإمارات الكردية آنذاك من جهة أخرى. على الرغم من أن العامل الديني كان الذريعة الرئيسية لحملة (ميرى كوره) الجبانة على الإيزيديين والآشوريين والكلدان والسريان والأرمن، إلاّ أنه حارب في نفس الوقت الإمارات الكردية في العمادية وعقرة وجزيرة بوتان، وقتل المسلمين أيضًا. وهذا يعني كانت هنالك دوافع أخرى لا تقل أهمية من الدافع الديني، وهو العامل الاقتصادي وبسط النفوذ، حيث كانت مناطق الإيزيدية، وغيرها من المناطق، غنية بمواردها الاقتصادية كما يشير إليها الرحالة (بكنغهام)، وعامل فرض السلطة وتوسيع جغرافية الإمارة. هنا تقول المصادر أن إمارة سوران بلغت أوج مجدها في عهد الأمير محمد كور باشا الراوندوزي، وتوسعت كثيرًا حتى شملت منطقة شاسعة "تمتد من سنجار إلى القرى الكردية في أذربيجان الإيرانية، ومن (حصن كيف) إلى نهاية الأراضي التابعة لمدن مخمور والكوير وآلتون كوبري (بردي). وهكذا أصبح الأمير على حد قول مارك سايكس: سيد البلدان الواقعة بين الحدود الشرقية للدولة العثمانية والموصل في بداية القرن التاسع عشر. (٩٣)

ويقول الدكتور جليلي جليل: "استطاع الأمير محمد في حدود عام1833 بسط سيطرته ونفوذه على المناطق المحيطة بسوران حتى وصلت حدود إمارته إلى منطقة الجزيرة ومن الأسفل إلى نهر الزاب وهو الحد الفاصل بينه وبين إمارة بابان". (٩٤)

(٩٣) تاريخ العراق بين احتلالين، الجزء السابع، المحامي عباس العزاوي.

(٩٤) مجلة كاروان . المسيرة الأعداد ٥٢ و٥٣ سنة ١٩٨٧ عن الأمانة العامة للثقافة الشباب باللغتين الكوردية والعربية..

وكتب، ك. اولنسوني السائح، في حدود عام 1938 بهذا الصدد: بعد الهجمات التي شنها الأمير محمد وصلت سلطته من مدينة شنو (الإيرانية) إلى ضفاف نهر دجلة (العراق) وإلى نهر الزاب الصغير. [٩٥]

وهكذا أصبح الأمير على حد قول مارك سايكس: سيد البلدان الواقعة بين الحدود الشرقية للدولة العثمانية والموصل في بداية القرن التاسع عشر".

إذًا المعلومات الشحيحة ل "للمنتقدين" حول مسيرة الإمارات الكردية لم تسعفهم في التحدث عن الموضوعية والحقائق التاريخية، ولا في نعت آرائي بشأن الأميرين (علي بك) و(ميركوره) بأنها كانت تبريرية وخاطئة. ومن أجل أن يعيدوا أولئك النظر في مواقفهم وآرائهم النارية هذه المرة. كلفت أحد الأخوة المختصين بأعداد إحصائية بناءً على النمو السكاني المعمول به عالميًا وذلك بزيادة 2.7% تقريبًا وتصل بعض الحالات إلى نسبة زيادة 3% إلاّ أني أخذت بالنسبة الأقل مفترضين كان عدد الإيزيديين عام 1832م هو (120) مائة وعشرون ألف نسمة، فكم كان سيكون عدد الإيزيديين حاليًا لولا إبادة (ميرى كوره). لكان عدد الإيزيديين في عام 2019م هو بالملايين، وليس خمسمائة ألف كما نراه في الوقت الحاضر!!!

- (لا خير في أمة طباليها ومنافيقها أكثر من خيّرِيـْها!)

(٩٥) له به روشه كاني زيان. من هموم الحياة، للمفكر الكوردي المعروف مسعود محمد.

سيدة تفقد توازنها
وتخرج عن سياق اللباقة! [٩٦]

"حُمى النسب من أجل السلطة والجاه!!"

كان يفترض بسيدة محترمة تجيد اللغة العربية، أن تختار كلماتها وعباراتها بدقة عندما تطلقها تجاه شخص آخر، لأنه في نهاية المطاف، تصبح تلك الكلمات والعبارات حجة عليها وليس لها! وهنا أنقل معاني بعض الكلمات التي استخدمتها بحقي: (الافتراء، التطاول، الطعن، المغالطة) معتمدًا فيه على القواميس العربية:

الافتراء لغةً: الافتراء مصدر افترى يفتري افتراءً: إذا كذب، وفرى كذبًا فريًا: اختلقه. والفري: جمع فرية وهي الكذبة. والافتراء: اتهام كاذب ينال من كرامة الآخرين وشرفهم.

الافتراء اصطلاحًا: الافتراء: الكذب في حق الغير بما لا يرتضيه. والافتراء: هو العظيم من الكذب، يقال لمن عمل عملاً فبالغ فيه: إنه ليفري الفرى. ومعنى افترى: افتعل واختلق ما لا يصح أن يكون، وما لا يصح أن يكون أعم مما لا يجوز أن يقال، وما لا يجوز أن يفعل. بمعنى أن الافتراء: اختراع قضية لا أصل لها.

التطاول: تطاول على، أي اعتدى عليها. يتطاول على أصدقائه، أي يتكبر ويترفع عليهم.

الطعن: معاني عديدة، إلاّ أن المعنى التي تقصده السيدة هنا هي: (ضربة بغرض القتل) أو طعنه بلسانه (عاب، شتمه، أساء إليه بالكلام)، غدر به، عاب وذمه.

المغالطة: هي استخدام الاستدلال والتفكير غير الصحيح أو الافعال

(٩٦) كُتب المقال بتاريخ ٢٠١٩/٢/٢٨ ونشر في صفحتي على الفيسبوك وتناقلته مواقع إلكترونية أخرى.

الخاطئة في بناء الحجة. قد تكون حجة المغالطة خادعة من خلال الظهور بشكل أفضل مما هي عليه في الواقع.

إذن؛ الافتراء بمعنى (الكذب)، والتطاول بمعنى (الاعتداء)، والطعن بمعنى (محاولة القتل مع سبق الإصرار) أو (الشتم والاساءة والغدر)، والمغالطة بمعنى التفكير غير الصحيح والأفعال الخاطئة في بناء الحجة... الخ.؛ تلك الاتهامات التي أطلقتها السيدة بحقي في مقالها (ردًا على افتراءات التشكيك بنسب عائلة الأمراء) المنشور على موقع بحزاني نيت، بتاريخ 23/ 2/ 2019 معتبرة ان ما كتبته في مقالي ذي الحلقتين (موجز تاريخ الإمارات الإيزيدية) و(هل ستبقى الإمارة في العمارة!!) معلومات غير صحيحة، الغرض منها "التشكيك بنسب عائلة الإمارة وانتمائهم إلى الشيخ عدي بن مسافر... "و"سحب الشرعية الدينية من هذه العائلة."

نحن إذن أمام حمى (النسب) من أجل إدامة السلطة والجاه وكسب الشرعية. وكل تشكيك بنسب وانتماء بعض العوائل إلى الشيخ عدي بن مسافر، كما يكتبون، هو (كذب وتطاول وطعن وتفكير سقيم!).

أركز على نقطتين جوهريتين وقفت عندها السيدة وسببت لها الصداع، وفقدت توازنها وخرجت من سياق اللباقة في كيل التهم يمينًا وشمالاً.

النقطة الأولى: (التشكيك) في نسب وانتماء الشيخ محمد الباطني إلى عائلة الشيخ عدي بن مسافر!

النقطة الثانية: (الافتراءات والتطاول) على الأمير علي بك!

بشأن النقطة الأولى، إما أن تعترف السيدة بالعلم والتاريخ والمنطق، أو بما يرد في النصوص الدينية الإيزيدية. أبدأ بمثال واحد من النصوص الدينية وبالتحديد (قه سيدا شيخ ويرا) أي "قصيدة الشيوخ والأبيار" التي تتم ترتيلها تقريبًا في كافة المناسبات الدينية، سواء في لالش أو أثناء جولات الطاؤوس في القرى الإيزيدية، تذكر فيها أسماء جميع أولياء الإيزيدية من الشيوخ والأبيار الآدانيين والشمسانيين والقاتانيين (يأتي فقط ذكر الشيخ أبو بكر والشيخ عبد القادر) في زمن الشيخ آدي الأول والثاني والشيخ حسن نهاية القرن الثاني عشر وبداية الثالث عشر، ولم

يأتِ ذكر اسم الشيخ (محمد الباطني) بتاتًا! إن دل هذا على شيء فإنما يدل على عدم وجود تلك الشخصية على الأقل في ذلك الوقت! هنا، كيف واستنادًا إلى أي مصدر تقول السيدة "ان العقيدة اليزيدية قد حصرت الزعامة الدينية والزمنية والمشيخة بعائلة البيت الأميري حصرًا منذ عهد الشيخ عدي عليه السلام ولحد الآن". انتهى الاقتباس. أي هراء هذا!!

تنقل لنا السيدة ما ذكره جورج حبيب عن الشيخ محمد الباطني بقوله "أن محمد الأربيلي ويقصد به –محمد الباطني- هو أحد رجال أبو بكر الذي حارب عائلة الشيخ حسن وقتل منهم 80 شخصًا وقبض على الإمارة وحصرها فيه". إلا أن هذا القول لا يروق لها وتعزو ذلك إلى التباس حصل للكاتب جورج حبيب لأنه أخذها "نقلاً عن الكاتب صديق الدملوجي الذي هو أول من إدعى ذلك حين قال في كتابه (اليزيدية) "... انه في القرن السابع عشر الميلادي اغتصب الشيخ محمد الكردي الأربيلي من عائلة الشيخ أبو بكر الإمارة وقتل أكثر من ثمانين شخصا... "انتهي الاقتباس.

ان قول الكاتب جورج حبيب "المسيحي" لا يحلو للسيدة وتعتبره "التباسًا" وقع فيه لأنه منقول من الكاتب صديق الدملوجي "المسلم" الذي قال بـ "اغتصاب الإمارة"! هل كان صديق الدملوجي من عمومة عائلة الشيخ حسن أو طرفًا في القضية، وماهي مصلحته بتسجيل تلك الحادثة إذا لم يسمعها من علماء الدين ووجهاء الإيزيدية؟!

قصة الاغتصاب معروفة بين الإيزيديين ولا أحد ينكرها غير الذين لا يريدون سماع الحقيقة. الجميع يعلم أو سمع بالخلافات آنذاك بين العائلة الشمسانية والآدانية واستغلالها من قبل القاتانية التي حسمت القضية بشكل دموي وليس بشكل سلمي كما يدعي أحد الكتبة ويسرد لنا ما يشبه قصص الأطفال، حيث يقول "... لم يحكم الآدانيون بعد الشفبراة أبدًا، كما أن تسلّم القاطانيين للإمارة لم يحدث في نزاع أو قتال، بل أنهى النزاع القائم ووضع الحد والسد والشهادة وتبلورت فيه هوية الدين الئيزدي الحالي وتآخى شيشمس والشيخ حسن وتنازلا طوعًا عن الزعامة للمير القاطاني الفقير... "ويلحقها بقصة خيالية من

قصص هنري بورتر "... ان الشيخ عدي أوصى بـ (أنّ كل من تجدونه في مكاني هو الذي يُخلفني) وفي ذات صباح وجدوا الشيخ محمد جالسًا مكانه فسموه بالباطني". يا للمهزلة والسخرية!! يتجاهل هو والسيدة بأن الشيخ محمد الأربيلي، الملقب في كتب التاريخ بـ "محمد الكردي الأربيلي" وإيزيديًا بـ "محمد الباطني" ارتكب تلك المجزرة الرهيبة بقتل ثمانين شخصًا من كبار شيوخ الشيخ حسن في لالش! (٩٧)

نستنتج من ذلك أن الشيخ محمد الباطني هو من مواليد القرن السابع عشر الميلادي وليس الثاني عشر، واغتصب إمارة الشيخان عام 1623م، وليس كما تدعي السيدة "حصرت الزعامة الدينية والزمنية والمشيخة بعائلة البيت الأميري حصرًا منذ عهد الشيخ عدي عليه السلام ولحد الآن"، وليس كما يحرف "ممثل الساسانيين" الحقائق، ويكتب من أن الشيخ عدي أوصى بـ (أنّ كل من تجدونه في مكاني هو الذي يُخلفني)!! فإذا كان قصده الشيخ عدي بن مسافر، فإن الشيخ عدي قال: "أبو البركات يخلفني (أو) خليفتي". (٩٨)

أبو البركات هو صخر بن صخر بن مسافر الأموي إبن أخ الشيخ عدي الأكبر، والمؤرخين اللخمي الشطنوفي والتادفي ذكراه باسمه صخر (الثاني). فهل نصدق المؤرخ الشطنوفي مثلاً الذي لا يفصل تاريخه عن تاريخ الشيخ عدي الأكبر وإبن أخيه أبو البركات غير (151) مئة واحدى وخمسون عامًا، أم نصدق هراء وهرطقة "ممثل الساسانيين" والسيدة اللذان يقولان ان (محمد الباطني) أصبح خليفة الشيخ عدي بعد رحيله من هذه الدنيا!!! زيادة في المعلومات ننقل ما ذكره السيد بدل فقير حجي في مقاله المشار إليه أعلاه عن شجرة عائلة الأمراء الحاليين، نقلاً عن كتاب (شيخان وشيخان به كى)، مسردًا بالشكل التالي: (درويش آدم- مير إبراهيم- مير شيخو بكر- مير ملك- مير محمد الباطني- مير

(٩٧) السيد بدل فقير حجي: هه فركيا شه مساني، ئادانى وقاتانيى لسه ر ميرييا ئيزديان= الصراع الشمساني، الآداني والقاتاني على الامارة الإيزيدية، مجلة لالش، العدد ٢٢ لسنة ٢٠٠٥ دهوك، الصفحات ٧٢-٧٣.

(٩٨) الشنطوفي/نورالدين أبو الحسن علي بن يوسفبن جرير بن فضل اللخمي (ت ٧١٣هـ/١٣١٣م)، بهجة الأسرار ومعدن الأنوار، طبعة البابي الحلبي، القاهرة ١٣٣٠ هـ، ص ٢١٥) وكذلك (التادفي/محمد بن يحيى الحنبلي (ت ٩٦٣هـ/١٥٥٦م، قلائد الجواهر في مناقب الشيخ عبد القادر، القاهرة ١٣٥٦هـ، ص ١٠٦) و (الأحمد/سامي سيعد، اليزيدية، ج١، ص١٥٢. وانظر جون كيست، اليزيدية...، ص ١٨).

هادي بك- مير حمزة بك- مير زينل بك- الأمير حسين بك الكبير- الأمير صالح بك- الأمير سليمان بك- الأمير عبدي بك- الأمير شرف بك- الأمير حسين بك- الأمير سليمان بك- الأمير ميرخان بك- الأمير بداغ بك- الأمير جولو بك- الأمير حسن بك- الأمير علي بك- الأمير حسين بك- علي بك- سعيد بك- تحسين بك) [٩٩]. وإن صح هذا النسب الذي نقله لنا كتاب (شيخان وشيخان به كى) فهو الآخر يعتبر دليلاً على أن (محمد الباطني) ليس من ذرية الشيخ عدي بن مسافر ولا ينتمي إلى عائلته. علمًا إني أشك بنسب العائلة الأميرية إلى (إبراهيمى ئادما) الذي هو الشيخ المتصوف (إبراهيم بن أدهم بن منصور بن يزيد بن جابر العجلي البلخي الخراساني) المولود حوالي سنة (100 هجرية) والمتوفي سنة (162 هجرية). أي أنه لم يكن معاصرًا للشيخ عدي الأول ولا الثاني، يفصل بين الشيخين حوالي 390 سنة. أكتفي بهذه الأمثلة ولا أجهد نفسي أكثر مع أناس لا يعترفون بالتاريخ.

وحول الشيخ محمد الباطني تأتي السيدة نفسها بخمسة آراء متباينة حول شخصيته وانتسابه، مرة تكتب: "أما الشيخ محمد الباطني الذي هو جد عائلة الأمراء في ابنه (الشيخ بركات) وجد البسميرية في ابنه (الشيخ سواري)، فهو أكثر من تعرض للاختلاف والتشكيك في أصوله، فهو مرة من سلالة الأمير إبراهيم بن آدم أو أدهم الخورستاني (لاحظ اختلاف اللقب فمرة هو الخورستاني وأخرى الخراساني وثالثة الباطني وأخرى الرحماني وأخرى الأربيلي...). ومرة أخرى وفي نفس المنشور تكتب محمد الباطني ينسب إلى أبو البركات (أبو البركات صخر بن مسافر). وتنقل بعد ذلك من جورج حبيب قوله "أن محمد الأربيلي ويقصد به -محمد الباطني- هو أحد رجال عائلة أبو بكر الذي حارب عائلة الشيخ حسن وقتل منهم 80 شخصًا وقبض على الإمارة وحصرها بيده... "وتضيف "هناك من يقول هو نفسه أبو البركات صخر بن مسافر أخو الشيخ عدي"! وتقول: "وأخر ينسبه إلى عدي الثاني باعتباره أحد أبنائه إلى جانب الشيخ حسن والشيخ فخر الدين... "ويذهب آخرون، ما زال القول للسيدة، إلى أن محمد الباطني "هو أخ للشيخ عدي الثاني وابن

(٩٩) خدر سليمان وسعد الله شيخاني، شيخان وشيخان به كى، بغداد ١٩٨٨، ص ٢٧-٢٨.

الشيخ أبو البركات صخر بن مسافر". وزادت السيدة في الاختلاف في نسب وشخصية محمد الباطني لتقول: "في حين يقول الكثيرون إلى أنه حفيد سلالة أميرية خراسانية من السلالة القاتانية في خراسان من بلاد فارس ابن الأمير إبراهيم بن أدهم- حفيد محمد الخراساني لامه صاحب الطريقة الدرويشية الصوفية المشهورة الذي ترك أملاكه وضياعه- مع من التحق من القاتانيين بالشيخ عدي... "لكن السيدة تعتبر الرأي الأخير بأنه "كلام المتصيدين في المياه العكرة الذين يريدون أن ينفوا أي ارتباط لعائلة الأمراء بالشيخ عدي بقصد سحب بساط الصفة الدينية منهم والطعن والاساءة اليهم واخراج الإمارة من أيديهم... "!

إن كثرة الآراء حول نسب واسم شخصية، معناه عدم وجود اتفاق عليه من حيث الزمان والمكان والانتساب. ومن الخطأ الفاضح أن يختار الكاتب/ الكاتبة بما يشتهيه ويناسب مصلحته/ أو مصلحتها من دون تحليل ونبش وتنقيب. يطلب من السيدة ان تقدم مصدرًا تاريخيًا واحدًا موثقًا أو رأي عالم دين إيزيدي يقول بان (محمد الباطني) هو أبو البركات صخر بن مسافر أخو الشيخ عدي، أو هو أخ للشيخ عدي الثاني وابن الشيخ أبو البركات صخر بن مسافر!!.. التاريخ كله خطأ، بنظر تلك السيدة، عندما يتعارض مع نسب محمد الباطني إلى عائلة الشيخ عدي بن مسافر، وكل من يقول بذلك فهو يتصيد في المياه العكرة ويقصد سحب بساط الصفة الدينية من عائلة الإمارة الحالية والطعن والاساءة لهم واخراج الإمارة من ايديهم! أي منطق انتقائي هذا، وأية حمية للأنساب ونحن نعيش في القرن الحادي والعشرين!!

إذا أصرت السيدة المحترمة على عدم ايمانها بالنصوص والحجة الدينية، وترفض ما جاء في المصادر التاريخية بخصوص نسب الشيخ محمد الباطني، حينها لم يبق أمامنا غير اللجوء إلى فحص الحمض النووي (DNA) لكلتا السلالتين؛ الشيخ عدي بن مسافر والشيخ محمد الباطني!

تاريخيًا، إذا كانت (الآدانية) و(القاتانية) كما تلفظ عندنا باللغة الكورمانجية، هما (العدنانية) و(القحطانية) المذكورتان في كتب التاريخ العربي؛ فان (القاتانية) التي تنتسب إليها عوائل الإمارة الحالية، ومن

ضمنها عائلة الشيخ محمد الباطني، تقف أمام احتمالين لا ثالث لهما؛ الأول: هو؛ إما أن (القاتانية) هي نفسها (القحطانية) وهم العرب العاربة الأقحاح وأصلهم كما تؤكد جميع المصادر العربية قادمة من اليمن.

أو الاحتمال الثاني: ان تكون (القاتانية) هي من بقايا تلك القبيلة الكردية المجهولة بإقليم أذربيجان ولا توجد حولها سوى رواية واحدة وهي جارة قبيلة الهذبانية، وصفت بأنها (صنف من الأكراد)، وكان زعيم القحطانية الفضل بن أحمد الكردي من قادة جستان بن شرمزن الديلمي وله ذكر في حوادث سنة 349هـ/ 960م. (١٠٠)

ويقول الدكتور زرار صديق إن كاتاني- قاتاني الآن من القبائل الكردية اليزيدية.

ربّ سائل يسأل، وما هي (الآدانية) إذا كانت هي نفسها (العدنانية)؟ نقول: إن (العدنانية) هي حسب كتب أنساب العرب أنفسهم تعتبر من (العرب المستعربة) أي أن أصلهم من أقوام وشعوب غير عربية دخلت الجزيرة، وهم من ذرية إبراهيم الخليل ومن ابنه إسماعيل.

أما بشأن النقطة الثانية: (الافتراءات والتطاول) على الأمير علي بك! أكتفي بما كتبته في (موجز تاريخ الإمارات الإيزيدية) و(لولا جريمة الأميرين!!).

- (لا خير في أمة طباليها ومنافيقها أكثر من خيّرِيـْها!)

(١٠٠) تجارب الأمم، ١٧٩/٢. مقتبسًا من كتاب الدكتور زرار صديق توفيق، القبائل والزعامات القبيلة الكردية في العصر الوسيط، ط١، مطبعة آراس/اربيل ٢٠٠٧، ص١٢٣.

من عبد المجيد الثاني إلى حازم تحسين بك
هل هي بداية نهاية الإمارة؟! [١٠١]

بعد ستة أشهر بالكمال والتمام (28.1-27.7.2019) من الصراع المحتدم على كرسي (الإمارة) خلفًا للأمير الراحل تحسين بك، ورغم الدعوات والمناشدات التي أطلقت، والمقالات التي ظهرت في وسائل التواصل الاجتماعي الداعية لاختيار أمير يمثل ويعكس رغبة كافة الإيزيديين أينما كانوا من خلال عقد مؤتمر عام ينقل المجتمع الإيزيدي من العشوائية والقرارات الفردية إلى وضع نظام مؤسساتي وعمل جماعي، لن يكون الأمير القادم معصومًا ويمكن إزاحته في حال عدم أداء واجبه، إلاّ أن كل هذا لم يحدث وكما يقول المثل "تمخض الجبل فولد فأرًا!". فتم ضرب جميع دعوات ومناشدات الإيزيديين عرض الحائط، وحدث ما يمكن وصفه مهزلة تنصيب السيد حازم "أميرًا" خلفًا لوالده.

أمام حالة الكارثة التي حلت بالإيزيدية بعد إبادة الثالث من آب/ 2014، التي فتحت جرحًا عميقًا، وأصاب العمود الفقري الإيزيدي، رأينا كيف تتقاتل أبناء (الإمارة) على توزيع (كعكة) الشيخ آدي وبقية المقدسات الإيزيدية فتكثر أعداد المرشحين لهذا المنصب وتتشكل تكتلات وتبعد أولاد العمومة وعائلات (بسميرية) من علبة المواجهة، كعائلة الأمير معاوية إسماعيل بك، وعائلة (ايزدي ميرزا)، وعائلة خنجر بك وغرزي بك، الخ! وفي هذه المرة، كما في المرات الماضية، يجري (تلبيس) رأي الإيزيدية من قبل أبناء الإمارة اعتقادا منهم أن سلطتهم الدينية والدنيوية باقية، وأنهم ما زالوا "ظلّ الله على الأرض"، وهم الآمرون والناهون في اتخاذ القرارات وتقرير مصير الإيزيدية.

(١٠١) كُتب في مانيلا/الفلبين بتاريخ ٢٠١٩/٧/٣٠ ونشر في صفحتي على الفيسبوك ونقله العديد من المواقع الإلكترونية.

السؤال الجريء هنا: هل سيبقى مصير الإيزيديين رهنًا بيد نزوات وقرارات فردية، أم تحتاج المرحلة إلى رفع كلمة (STOP قف وكفى) لهذا الاستهتار بمشاعر الإيزيديين!

وأنا أتابع مهزلة تنصيب "الأمير" واستحداث عناوين جديدة (وكلاء الأمير) الأربعة، رئيس المجلس الروحاني، ولي العهد، ممثل الشباب، تذكرت قراءتنا لنهاية الإمبراطورية العثمانية وتاريخ آخر سلاطينها عبد المجيد الثاني (1922-1924)، انتهى حكمه بعد سنتين وانتهت معه الخلافة العثمانية، ونشأت الدولة التركية الحديثة بدلاً منها بعد الحرب العالمية الأولى. كانت الدولة العثمانية في عهده متهالكة ومضطربة وفاسدة، ولم يكن عبد المجيد الثاني ذات قوة وقدرة وإمكانية لمجابهة تلك الأخطار التي تكاثرت عليه، وجعلته ينفي خارج تركيا ليصبح مصطفى كمال اتاتورك رئيسًا للجمهورية التركية التي نشأت على أنقاض الخلافة الإسلامية.

مع الفارق الكبير بين إمبراطورية مترامية الأطراف، وبين إمارة صغيرة لا جيش ولا حدود ولا مقومات لها، ماعدا وجود حزب كوردي حاكم يدعم (أميرها)، إلاّ أن المشترك بينهما هي حالة التهالك والضعف والفساد والأخطار المحدقة، يجعلنا نتساءل: هل يملك "الأمير" الجديد من الكاريزما والإخلاص والإمكانيات ليصمد أمام كل ما خلفتها إبادة سنجار من ويلات ومآسي وانكسارات نفسية وتحطيم المجتمع.؟ أنا أشك في ذلك، وكل ما أقرأه للمشهد الإيزيدي والطريقة المخجلة التي تم فيها الإعلان عن تنصيب "الأمير" الجديد، هو المزيد من الرفض له ولطاقمه المنهك! هو المزيد من تشرذم المجتمع الإيزيدي! هي انحصار "الإمارة" برقعة قضاء الشيخان وتلكيف ومجمعي شاريا وخانك، وربما قصبتي بعشيقة وبحزاني، وسلخ غالبية إيزيدية سنجار والمهجر منها! هي عودة الإمارة، إن بقيت إمارة، إلى اسمها القديم "إمارة الشيخان"! بمعنى تغيير عنوان (أمير الإيزيدية في العراق والعالم!) إلى (أمير الشيخان!)، إن صحت، أو اقتربت، هذه القراءة للحالة الإيزيدية الراهنة، والطريقة الفاضحة التي تم فيها عملية اختيار وتنصيب الأمير، أرى أن ذلك ستكون بداية نهاية الإمارة الإيزيدية وإن استمرت لوقت يطول أو يقصر!!

رغم إيماني أن الأمراء لم يجلبوا للمجتمع الإيزيدي غير الويلات والبلاء والإبادة، ولن يتركوا ورائهم حضارة أو معلمًا أو أثرًا تفتخر به الإيزيدية، إلا أنني أقف اليوم مع جميع أتباع الديانة الإيزيدية وأمام التاريخ المحمل بالدم والواقع المرير الذي يمر به الإيزيديون، خاصة ستمر علينا بعد أيام الذكرى الخامسة لإبادة سنجار 2014، باحثًا معهم عن مخرج يحفظ ما تبقى من وجود وكرامة الإيزيدية، ومحاولة وقف تداعيات عملية استهتار تنصيب "الأمير" الجديد!

- بعض المُلاحظات:

أولاً/ الوضع الإيزيدي الكارثي الحالي بحاجة إلى قائد (أمير أو سمه ما شئت) شجاع وقوي وذو إمكانيات وكاريزما، يدرك أن منصبه غير مقدس، ويؤمن بالإصلاحات ويحول المؤسسة الدينية من عمل "عشوائي" وقرارات إرتجالية فردية، إلى شكل مؤسساتي لا يستفرد بها لوحده، بل يشاركه في صنع القرار فعليًا (برلمان إيزيدي موسع يشارك فيه إيزيدية باقي الدول). يراعى فيه نسبة إيزيدية سنجار وأوروبا، والتيارات الإيزيدية المختلفة ومن كلا الجنسين وإلغاء (المجلس الاستشاري) الشكلي السابق الذي لم يكن سوى إطار فارغ! وأن يلتزم داخليًا بالانفتاح على بغداد وأربيل والعالم أجمع.

ثانيًا/ لا يمكن إدارة الإيزيدية كما كانت تدار قبل 3/ آب/ 2014، بل يجب (تكرار يجب عشرات المرات) أن تكون هنالك كلمة للمجتمع الإيزيدي والمجلس الروحاني في اختيار الأمير الجديد حسب مواصفات تتلائم مع روح العصر والحالة المأساوية التي يمر به المجتمع الإيزيدي، ويكون دور إيزيدية سنجار هو الحاسم. ويرفض رفضًا باتًا فرض إرادات من خارج الإيزيدية.

ثالثًا/ أن يكون الأمير الجديد مستقلاً ولكل الإيزيديين بغض النظر عن توجهاتهم السياسية والفكرية وانحدارهم الطبقي، لا أن يكون أميرًا حزبيًا ينفذ أجندات حزب معين ويتحول إلى أداة وبوق بعيدًا عن إرادة الإيزيديين.

رابعًا/ "الأمير" الجديد هو أمير حزبي بامتياز قبل أن يكون أميرًا للإيزيديين، تم "تعيينه" وأدى قسم الولاء والإخلاص أمام الأجهزة الأمنية في دهوك قبل أن يؤدي القسم في معبد لالش!

خامسًا/ ان فاتحة "الأمير الجديد" بالهجوم على نادية مراد/ سفيرة النوايا الحسنة، والحاصلة على جائزة نوبل للسلام وحاملة آلام الإيزيديين للعالم، تعكس السذاجة المفرطة وقصر النظر، وترضية لتوجهات أطراف سياسية كردية لتشوية سمعة نادية مراد والرسالة الإنسانية التي تحملها.

سادسًا/ أقولها للتاريخ، وأتمنى أن أكون مخطئًا، بأن الإصرار على اختيار السيد حازم تحسين بك وفي هذا التوقيت بالذات، أي قبل أيام معدودات من الذكرى الخامسة لإبادة سنجار، هو إكمال مخطط تفكيك وهدم المجتمع الإيزيدي عامة وسنجار خاصة من قبل أطراف كوردية وعربية (سنية) محلية وبدعم أطراف خارجية، بعدم/ أو بعرقلة عودة النازحين الإيزيديين إلى سنجار تمهيدًا لتغيير ديمغرافيتها السكانية كما حدث لقضاء الشيخان! ومن أجل ألا يكون الإيزيديون العائدون قاعدة وموردًا لنشاط حزب العمال الكردستاني المناوئ لتركيا!

الحلقة الأولى من إبادة إيزيدية سنجار يتحمل مسؤوليتها أمير الإيزيدية الراحل حينما تحول إلى داعية على المنابر والفضائيات للحزب الحاكم في كردستان، وسلم جميع أوراقه له، ووضع جميع البيضات في سلته، بحيث لم يتجرأ لزيارة سنجار بعد الإبادة متذرعًا بحجج واهية! أما الحلقة الثانية من إكمال مخطط الإبادة ينفذها السيد حازم الابن، ربما من دون أن يدري!

لماذا التخوف من انضمام معبد لالش للتراث العالمي؟! [1]

أعلن وزير الثقافة العراقي السيد عبد الأمير الحمداني، عن إضافة (معبد لالش) الإيزيدي المقدس على اللائحة التمهيدية للتراث العالمي، ضمن مشروع ثقافي وسياحي وآثاري هو الأوسع من نوعه في تأريخ العراق.

وقال الحمداني في بيان "إنه تم إضافة معبد (لالش) الذي يعد مقر المجلس الروحاني للطائفة الإيزيدية في العالم ضمن اللائحة التمهيدية للتراث العالمي التي تعتزم الوزارة تقديمها إلى منظمة اليونسكو إلى جانب مواقع آثارية وتراثية وطبيعية أخرى بغية استحصال موافقة المنظمة الدولية على ضمها إلى لائحة التراث العالمي...".

وفي اتصال هاتفي من قِبل مدير موقع بحزاني نيت الموقر، طلب معرفة موقفي عما يدور بشأن إضافة (معبد لالش) على اللائحة التمهيدية للتراث العالمي/ منظمة اليونسكو، إذ عبرت له بشكل شفاهي أن ذلك سيكون مكسبًا كبيرًا للمعبد وللايزيديين عمومًا. والآن سأكتب رأي بشكل تحريري بعد أن قرأت وسمعت ما كُتب وما قيل عن محاولة إضافة (معبد لالش) للائحة التراث العالمي. باستثناء رأي الأخ الكاتب حسو هورمي، في مقاله المنشور في موقع بحزاني تحت عنوان: "معبد لالش إرث إنساني مهم للبشرية"، فإن المناشير والآراء الأخرى ليست إلاّ مزايدات لا قيمة لها باعتقادي. وأن بعض التعابير والجمل لا تعكس إلاّ ضيق أفق وحقد لا معنى له، وجهل بالتاريخ وخلل في التصور الفكري الذي يرسم حدًا بين التُراث، الهوية والثقافة والحضارة!

وهنا أود الإشارة وبشكل سريع على بعض التعاريف:

(١) كُتب في مانيلا/الفلبين بتاريخ ١٦/آذار/٢٠٢٠.

– تعريف التراث:

رغم عدم وجود تعريف خاص بالتراث، ولكن هناك تعريفات كثيرة من بينها التعريف الذي قدمه أحد علماء الآثار والتراث، حيث يقول: "أن التراث عبارة عن استمرارية ثقافية على نطاق واسع في مجالي الزمان والمكان تتحدد على أساس التشكيلات المستمرة في الثقافة "الكلية" وهي تشمل فترة زمنية طويلة نسبيًا وحيزًا مكانيًا متفاوتًا نوعيًا، ولكنه متميز بيئيا" (Wendell Phillipe فيندل فيليب، عالم آثار وتراث أمريكي، ولد -1925ت 1975).

ويرى عالم آخر، ان التراث مرادف للثقافة، أي أنه جزء مهم من ثقافة الشعوب وليس منفصلا عنه. (هيرسكو فيتس، عالم الفولكلور الشهير (ولد1895 ت 1963).

أما ماك غريغور، فهو يعرف التراث بأنه من الخصائص البشرية العميقة الجذور التي تتناقل من جيل إلى آخر.

أما بالنسبة لأنواع التراث وأشكاله فهو ينقسم إلى:

1. التراث الحضاري: وهو يشمل ما خلفه لنا الأسلاف من تراث حضاري قديم مثل الآثار بكل أنواعها عادياتها من مسكوكات وجرار، وأوانٍ ورسوم ونقوش... وهو ما يسمى بـ (الآثار القديمة).

2. التراث القومي: ويشمل التراث الذي ظهر خلال فترة ظهور القوميات والأمم وما خلفه علمائها من المفكرين والشعراء والمغنين والأطباء، واتخذت لها أشكال القومية المستقلة لغة وأرضا وشعبًا وعليها بني التاريخ الحديث لكل أمة.

3. التراث الشعبي: وهو مكمل للنوعين الأوليين الحضاري والقومي، حيث أصبحت لكل مجموعة أو بيئة صفاتها التي تتميز بها من عادات وتقاليد وصناعات وملابس... الخ.

ولكن علماء الأنثروبولوجيا (العالم اريكسون مثلاً) صنّف التراث إلى أربعة أنواع:

1 التراث الاجتماعي: أي تراث (الحياة المباشرة).

2 التراث (النشأوي): ويعد مكملاً للتراث الاجتماعي ويتضمن عليه النقل من جيل إلى آخر.

3 التراث المادي: ويتضمن جميع المنتجات الثقافية المخزونة

4 التراث الأدبي: يعتبر من المميزات الخاصة للتراث المادي وظهر مرتبطًا بفن الكتابة. (ميرفت صادق. جريدة المواطن العراقية. المصدر tourath.halamuntada.com)

ومن التعاريف المقتضبة أعلاه يمكن القول بأنه لا حضارة بدون تراث، ولا تراث بدون حضارة فكلاهما في ترابط جدلي. فالحضارة بدون تراث هي حضارة طفيلية ترتوي من تراث الآخر دون تراثها. ويمكن تشبيه الحضارة والتراث بالشجرة والجذور، الشجرة هي الحضارة والجذور هي كل ما يتعلق بالتراث.

والتراث ينقسم إلى نوعين: تراث مادي وتراث معنوي، وهو يختلف من شعب إلى آخر وأنها تتحد في وحدة أساسية وهي الاستمرارية...

التراث المعنوي: يتمثل في العادات والتقاليد والأفكار والأخلاق، أما التراث المادي يتمثل في كل ما تركه القدماء من إرث حضاري مثل الآثار القديمة، المسكوكات، الملابس، النقوش، أدوات القتال، الرسوم التعبيرية... الخ.

التراث هو السجل الكامل للنشاط الإنساني في مجتمع ما على مدى زمني طويل، أو أنه مخزون الذاكرة الجماعية لشعب من الشعوب، بمعنى أنه تراكم تاريخي طويل في المجالات الحياتية المتعددة (الثقافية، الاقتصادية، الاجتماعية، السياسية، المعمارية... الخ.)، وهو بالتالي يشكل هوية الجماعة والمجتمع والخصوصية التي تميزه على باقي المجموعات والمجتمعات البشرية. بالمختصر المفيد، التراث هو كل ما يتركه السلف (الأجداد) للخلف (الأولاد).

يستغرب المرء كل الاستغراب لذلك التفكير السطحي الذي يحاول نزع صفة التراث عن (معبد لالش)، ويقول: التراث شيء و(معبد لالش) شيء آخر!! والشخص الآخر الذي يقحم وعن خبث اسم الشيخ آدي بن مسافر و(العدوية) بـ (معبد لالش)، أية تفاهة وضحالة تفكير ما

يطرحه هكذا أشخاص، دون أن يدركوا أن (معبد لالش) رمز للديانة الإيزيدية برمتها وليست ماركة مسجلة باسم كائن من كان! ويبدو أن هكذا أشخاص لا يفقهون أن (التراث) عنوان واسع وشامل وجامع للإيزيديين بثقافتهم وهويتهم وحتى معبدهم (لالش)!!

أود هنا فقط جلب انتباه القارئات الكريمات والقراء الكرام إلى ديباجة اتفاقية حماية التراث الثقافي والطبيعي العالمي الخاصة بمنظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة (اليونسكو)، الذي أقرته في اجتماعها السابع عشر في باريس المنعقد بتاريخ 17/ 10 إلى 21/ 11/ 1972، دون التوقف عند بنودها ال (38) الثمانية والثلاثون. فلم تنظر (اليونسكو) في اجتماعها تلك إلى تعرض التراث الثقافي والتراث الطبيعي المتزايد إلى التدمير نتيجة عوامل التعرية والتآكل المعهودة فحسب، بل أيضًا نتيجة تغيير الظروف الاجتماعية والاقتصادية التي تزيد من تفاقم الحالة كونها تؤدي إلى نشوء ظواهر أكثر فداحة من حيث الضرر أو الدمار. وأخذت في الاعتبار أن تدهور أو اختفاء أي مادة من مواد التراث الثقافي أو الطبيعي يعتبر إفقارًا وخيمًا لتراث دول العالم كافة، وأن حماية هذا التراث على المستوى الوطني غالبًا ما يبقى غير مكتمل نظرًا لحجم الموارد التي تحتاج إليها والموارد الاقتصادية والعلمية والتكنولوجية غير الكافية في البلد الذي توجد فيه الممتلكات التي ستتم حمايتها. ونصّ دستور المنظمة على أنها ستحافظ على المعرفة وتنمّيها وتنشرها من خلال ضمان صون تراث العالم وحمايته، وإصدار التوصيات للأمم المعنية بشأن الاتفاقيات الدولية اللازمة. وقالت بأن الاتفاقيات والتوصيات والقرارات الدولية القائمة المتعلقة بالممتلكات الثقافية والطبيعية تعكس أهمية الحفاظ على هذه الممتلكات الفريدة التي لا تعوّض بالنسبة للشعوب التي تنتمي إليها أيًا كانت. واعتبرت أن أجزاء من التراث الثقافي أو الطبيعي هي ذات أهمية بارزة وبالتالي تستوجب الحفاظ عليها كجزء من التراث العالمي للبشرية ككل. ولضخامة وجسامة الأخطار الجديدة التي تهددها، فإنه يتعين على المجتمع الدولي ككل أن يشارك في حماية التراث الثقافي والطبيعي ذي القيمة العالمية البارزة، عن طريق توفير دعم جماعي، ليس لتحل مكان الإجراءات المناسبة التي تتخذها الدولة المعنية، وإنما لتتكامل معها.

وذكرت أنه من الضروري اعتماد أحكام جديدة لهذا الغرض على شكل اتفاقية تنشئ نظامًا فعالاً لحماية التراث الثقافي والطبيعي ذي القيمة العالمية البارزة بشكل جماعي، منظم على أساس دائم ويواكب الأساليب العلمية الحديثة.

السؤال: لماذا التخوف من انضمام معبد لالش للتراث العالمي، فهل هنالك نقطة أو إشارة في الاتفاقية غائبة عنا، تدل من قريب أو بعيد، أن المنظمة تريد الاستحواذ على المناطق الأثرية أو المناطق الطبيعية التي تصبح جزءًا من التراث العالمي؟! وهل هنالك ما يشير في الاتفاقية أن منظمة (اليونسكو) سوف تسيطر على (معبد لالش) وتعين سادنًا (مجيور) عليه، إذا أصبح جزءًا منها؟!!، أم ستصبح جزءًا مؤتمنًا من التراث العالمي، وسيبرز اسم الديانة الإيزيدية من بين الديانات العالمية؟! علمًا أنه بعد صدور اتفاقية حماية التراث الثقافي والطبيعي العالمي عام 1972 ولوقتنا الراهن، وصل قائمة التراث العالمي إلى (962) موقعًا في (57) دولة موزعة بالشكل التالي:

745 موقعًا ثقافيًا. 188 موقعًا طبيعيًا. 29 موقعًا مختلطًا.

نشد على أيادي وزير الثقافة العراقي السيد عبد الأمير الحمداني، وكل من يدعم هذا المشروع الإنساني الكبير. الإيزيديون بحاجة إلى هكذا مشروع عالمي خاصة بعد الإبادة التي حلت بأهلنا في سنجار في 3/ أب/ 2014، ولاحقًا بانتشار وباء كرونا عالميًا ولا أحد يعرف نتائجه ونهايته!

أين تكمن عِلّة تدهور الوضع الإيزيدي؟!

لا تستغربوا أيها الإيزيديون لِمَا وصل إليه حال مجتمعكم من تشرذم وتدهور، واخر علامات الانهيار هي الضجة الدائرة حول كيفية اختيار (بابا شيخ) جديد يحل محل المغفور الراحل البابا شيخ ختو بن الشيخ حاجي.

من الطبيعي أن يصل الحال إلى هذا الدرك الخطير، عندما يتجاوز مركز ثقافي إيزيدي وظيفته ويتحول إلى وكر حزبي وأمني لتدجين وتطويع إرادة الإيزيديين ويشتري ذممهم بدءًا من اعضاء المجلس الروحاني الاعلى وانتهاءً برجالات الدين من سدنة المزارات (المجيورين). تلك كانت وما زالت من أخطر الظواهر، بل اضعها في خانة الجريمة، أن يستلم رجل دين راتبًا من جهة غير وقفه الديني، لان ذلك يحوله إلى شخص استسلامي لا حول ولا قوة له، يكون شخصًا بدون موقف يفقد هيبته ومصداقيته. وهنا أكبر ضربة لحقت بالإيزيدية هو صرف رواتب ومنح ومكاسب رجال الدين من الحزب الحاكم في الإقليم، والأخطر على الإيزيدية هم أولئك الذين نفذوا تلك الفكرة، لأنهم بهذا العمل القذر "اخصوا" رجالات الدين وكمموا أفواههم، واظهروا الإيزيدية وكأنها مجموعة من المتسولة تقف ذليلة أمام أبواب الغير!!

ولا تتعجبوا أيها الإيزيديون إلى ما وصل إليه حالكم عندما ائتمن قيادة الحزب الحاكم في الإقليم مصيركم بيد مستشاري سرايا أبو فراس الحمداني والرفاق البعثيين الإيزيديين، وجعل منهم مسؤولين ومستشارين وبرلمانيين وأولياء على الإيزيديين!!

إن النقطة المشار إليها أعلاه كانت من الأسباب الأساسية، إلى جانب أسباب أخرى، لتدهور حال الإيزيديين خاصةً بعد سقوط النظام السابق في نيسان عام ٢٠٠٣ واعتبار مناطق الإيزيديين في قضاء سنجار والشيخان وتلكيف وبعشيقة وبحزاني من المناطق المتنازع عليها.

كنّا نتمنى أن نسمع نفس المواقف والاستقالات التي نسمعها اليوم ضد

تدخل الحزب في الشؤون الدينية الإيزيدية، عندما تم سحب القوات المسلحة من سنجار وتركوا أهلها فريسة بين أنياب تنظيم الدولة الإسلامية داعش الإرهابي والذي أدّى إلى إبادة أهلنا هناك!.. وكنا نتمنى أن نسمع نفس مواقف الاستنكار والاستقالات عندما نصبوا "أميرًا" خارج إرادة الإيزيديين!

هل سنرى ثباتًا على المواقف المعلنة لبعض الشخصيات ونكون بذلك أمام صحوة ضمير إيزيدية، أم تعد ذلك نزوة عابرة ولدها حالة غضب؟!

تنحي السيد حازم تحسين بك
أصبح مطلبًا مُلِّحًا! [٢]

"ما أشبه اليوم بالبارحة"... مثل يقال عندما تتراكم المشاكل وتتكرر الأخطاء وتغلق أبواب التفاهم، ويتغلب منطق القوة والدكتاتورية والجشع على الحكمة والمصلحة العامة، وتعمى البصيرة أمام اعصار التطور الهائل في جميع مجالات الحياة بما فيها هزّ عروش الكثير من طُغاة العالم.

ففي 28 كانون الثاني من عام 2019 رحل الأمير تحسين بك إلى دار الحق، تاركًا خلفه صراعًا محتدمًا على كرسي الإمارة دام لمدة ستة أشهر بالكمال والتمام (28. -1 27. 7. 2019)، ورغم الدعوات والمناشدات التي أطلقت، والمقالات التي ظهرت في وسائل التواصل الاجتماعي الداعية حينها لاختيار أمير يمثل رغبة الإيزيديين كافة أينما كانوا من خلال عقد مؤتمر عام ينقل مجتمعهم من العشوائية والقرارات الفردية إلى نظام مؤسساتي وعمل جماعي، لن يكون الأمير القادم معصومًا، بل يمكن إزاحته في حال عدم أدائه لواجبه، إلاّ أن كل ذلك لم يحدث، وكما يقول المثل "تمخض الجبل فولد فأرًا!". فتم ضرب جميع دعوات ومناشدات الإيزيديين عرض الحائط، وحدث ما يمكن وصفه مهزلة تنصيب السيد حازم "أميرًا" خلفًا لوالده. وتم (تلبيس) رأي الإيزيدية من قبل ما يسمى بأبناء الإمارة اعتقادًا منهم أن سلطتهم الدينية والدنيوية باقية، وأنهم ما زالوا "ظلّ الله على الأرض"، وانهم الآمرون والناهون في اتخاذ القرارات وتقرير مصير الإيزيدية.

(٢) كُتب في مدينة كوتنكن/ألمانيا بتاريخ ٢٠٢٠/١١/٢٨، ونُشر على صفحتي على الفيسبوك وتناقلته العديد من الصفحات الإلكترونية.

الطامة الكبرى أن السيد حازم الذي فُرِض رغم أنف الإيزيديين كأضعف "أمير" من قبل الحزب الحاكم، جاء في 7 تشرين الثاني 2020 بتوجيه وتدخل صارخ من نفس الجهة التي عينته، ل "يعين" البابا شيخ الجديد، ضاربين مرة أخرى الدعوات والمناشدات عرض الحائط، مستصغرين ومستهزئين بمشاعر الإيزيديين!

السؤال الرئيسي والملح هنا: إلى متى سيبقى مصير الإيزيديين رهنًا بيد نزوات وقرارات فردية، وتدخلات مفضوحة؟ ألا تحتاج المرحلة إلى رفع كلمة (STOP) قف وكفى لهذا الاستهتار وتلك التدخلات!

قارنت في مقال نشرته في 30.7.2019 تحت عنوان (من عبد المجيد الثاني إلى حازم تحسين بك/ هل هي بداية نهاية الإمارة؟!) بين آخر سلاطين الدولة العثمانية عبد المجيد الثاني (1924-1922م) والسيد حازم تحسين بك (أتحدث عن السيد حازم بصفته الوظيفية والإدارية كأمير وليس بصفته الشخصية فهو صديق ومحترم من ذلك الجانب).

عبد المجيد الثاني لم تكن له القوة والقدرة والإمكانية لمجابهة الأخطار التي تكالبت عليه في آخر عهود الدولة العثمانية المتهالكة والمضطربة والفاسدة، حيث وجد نفسه منفيًا خارج تركيا وانهارت الدولة العثمانية بعد الحرب العالمية الأولى، وجاء بعدها مصطفى كمال اتاتورك ليصبح رئيسًا للجمهورية التركية التي نشأت على أنقاض الخلافة الإسلامية.

مع الفارق الكبير بين إمبراطورية مترامية الأطراف، وبين إمارة صغيرة لا جيش ولا حدود ولا مقومات لها، ماعدا وجود حزب كوردي حاكم يدعم (أميرها)، إلاّ أن المشترك بينهما هي حالة التهالك والضعف والفساد والأخطار المحدقة، يجعلنا نتساءل: هل يملك "الأمير" الجديد من الكاريزما والإخلاص والإمكانيات ليصمد أمام كل ما خلفتها إبادة سنجار من ويلات ومآسي وانكسارات نفسية وتحطيم المجتمع.؟ ويصمد أمام موقفه المعيب في الاستفراد بقرار "تعيين" البابا شيخ وعدم الاستماع إلى رأي الشارع الإيزيدي ومناشدات تأجيل التنصيب لبضعة أيام!

كل ما يقرأ عن المشهد والطريقة الهزلية التي تم فيها الإعلان عن تنصيب "الأمير" الجديد، و"البابا شيخ" الجديد هو المزيد من الرفض له ولطاقمه التعبان! هو المزيد من تشرذم المجتمع الإيزيدي. هي انحصار

"الإمارة" برقعة قضاء الشيخان وتلكيف ومجمعي شاريا وخانك، وربما قصبتي بعشيقة وبحزاني، وسلخ غالبية إيزيدية سنجار والمهجر منها!.. هي عودة الإمارة، إن بقيت هناك من إمارة، إلى اسمها القديم "إمارة الشيخان"! إن صحت، أو اقتربت، هذه القراءة للحالة الإيزيدية الراهنة، والطريقة الفاضحة التي تم فيها عملية اختيار وتنصيب الأمير والبابا شيخ، أرى أن ذلك ستكون بداية نهاية الإمارة الإيزيدية وإن استمرت لوقت تطول أو تقصر!

من أجل تدارك الوضع ووقف تداعيات التدهور الحاصل وانقسام المجتمع الإيزيدي، أقف اليوم مع جميع أتباع الديانة الإيزيدية وأمام التاريخ المحمل بالدم، أقترح على السيد حازم تحسين بك أن يحفظ ما تبقى من ماء الوجه بأن يتنحى من منصبه، وأمامه في ذلك ثلاث طرق:

الأول/ أن يبادر بنفسه إلى التنحي... إلا أني أستبعد ذلك فهو عبد مأمور وليس صاحب قرار!

الثاني/ أن يتنحى عبر "انقلاب أبيض" من داخل البيت بموافقة ضمنية من الشارع الإيزيدي!

ثالثًا/ في حال عدم نجاح المقترحين أعلاه، تبدأ أطراف المعارضة الإيزيدية من المجلس الروحاني، وجهاء القوم في العراق وسوريا وتركيا وأرمينيا وجورجيا والمهجر، وجميع الفعاليات الإيزيدية في الداخل والمهجر بالتهيئة والتحضير لمؤتمر إيزيدي عام لتنحي السيد حازم بك واختيار بديل عنه مع مناقشة وحل إشكالية "تعيين" البابا شيخ الجديد في خلعه أو الإبقاء عليه. ويقوم المؤتمر بوضع دستور وبرنامج وهيكل مؤسساتي لقيادة المجتمع الإيزيدي في كل مكان مستقبلاً.

أرى، ويرى معي الغالبية العظمى، أن الجرح الإيزيدي أكبر من أن يداوى بضمادات المجاملة وحلو الكلام، والأمنيات والأدعية والتضرع إلى الأولياء، والاستنجاد بالمنقذ (مهدي شرف الدين)! الحالة الإيزيدية تحتاج إلى وقفة جادة، ومراجعة نقدية للتاريخ والأشخاص. وهنا أختار بعض النقاط الذي سبق وان طرحتها عام 2007 وقبلها أيضًا:

1. فصل الدين عن السياسة، بمعنى تشكيل "مجلس روحاني" بمواصفات جديدة بحيث يكون رجل الدين في ذلك المجلس بمرتبة البيشيمام والبابا شيخ وشيخ الوزير ورئيس القوالين وغيرهم على درجة من العلم والمعرفة والنزاهة لم تخجل منهم الإيزيدية عندما تمثلها في المحافل، يتم انتخابهم حسب الكفاءة والسمعة وبدون مقابل مادي من نفس السلالات والعوائل المحددة.

2. يتحول منصب الأمير إلى منصب رمزي مثل النظام الملكي في كل من بريطانيا وهولندا واسبانيا والنرويج... الخ، لا يجوز له التدخل في الشؤون السياسية وتكون مهمته توقيع البرتوكولات والقرارات المهمة ويعيش على واردات أملاكه، أو ما يدفع له من الحكومة كمورد.

3. تشكيل هيئة أو مجلس إداري، أو برلمان، أو سمه ما شئت، من إيزيديي جميع الدول والمهجر ويضم الرجال والنساء، يتم انتخابهم بشكل ديمقراطي من المؤتمر مهمته قيادة الإيزيدية إداريًا وسياسيًا وعلاقاتً خارجية واقتصاديًا (الأوقاف) الداخلية والاشراف على خيرات الإيزيدية، وتمثيلها في كل مكان. ومن الطبيعي أن تكون هنالك علاقات واستشارات بين هذه الهيئة والمجلس الروحاني الأعلى واستشارة الأمير/ الرمز.

4. لن يكون الأمير عضوًا في كلا المجلسين (الروحاني والاداري) بل كما قلنا منصب رمزي حسبما ورد في النقطة 2.

5. فك ارتباط أعضاء المجلس الروحاني والأمير وجميع رجالات الدين من (مركز لالش الثقافي والاجتماعي) وربطهم إما بدائرة أوقاف إيزيدية خاصة تستحدث لذلك الغرض، أو بمديرية أوقاف الديانة الإيزيدية الاتحادية غير الخاضعة لأي حزب أو أية جهة سياسية.

6. يقوم المؤتمر بتشكيل لوبي إيزيدي في المهجر، يتفق على هيكليته وعدد أعضائه ومهامه ليكون حلقة وصل بين إيزيديي جميع الدول والشتات بين العالم الخارجي.

وهنالك نقاط تفصيلية كثيرة نتركها للمستقبل لتدخل ضمن برنامج ودستور الإدارة الإيزيدية الجديدة.

باختصار كبير الوضع الإيزيدي الحالي بحاجة إلى مجلس روحاني فاعل وإلى برلمان إيزيدي مقتدر، وإلى قائد (أمير أو سمه ما شئت) شجاع وقوي وذو إمكانيات وكاريزما، أميرًا مستقلاً لجميع الإيزيديين، لا أن يكون أميرًا حزبيًا ينفذ أجندات حزب معين ويتحول إلى أداة رخيصة وبوق بعيدًا عن إرادة الإيزيديين، يدرك أن منصبه غير مقدس، يؤمن بالإصلاحات وينقل العمل الإيزيدي من "العشوائية" والقرارات الارتجالية الفردية، إلى شكل مؤسساتي لا يستفرد بها لوحده، بل يشاركه في صنع القرار فعليًا (برلمان إيزيدي موسع يشارك فيه إيزيدية باقي الدول). يراعى فيه نسبة إيزيدية سنجار وأوروبا، والتيارات الإيزيدية المختلفة ومن كلا الجنسين. وأن يلتزم بالانفتاح على بغداد وأربيل والعالم أجمع.

أقولها للتاريخ، وأتمنى أن أكون مخطئًا، إن اختيار السيد حازم تحسين بك في هذا التوقيت بالذات، وكذلك التدخل السافر والطريقة الهزلية التي تم فيها "تعيين" البابا شيخ الجديد، هي حلقة من حلقات إكمال مخطط تفكيك وهدم المجتمع الإيزيدي عامة وسنجار خاصة من قبل أطراف كوردية ومباركة عربية (سنية) محلية في الموصل، وربما بدعم أطراف خارجية، بعرقلة عودة النازحين الإيزيديين إلى سنجار تمهيدًا لتغيير ديمغرافيتها السكانية كما حدث لقضاء الشيخان! ومن أجل ألا يكون الإيزيديون العائدون قاعدة لنشاط حزب العمال الكردستاني المناوئ لتركيا! من دون تدارك هذه المخاطر، ومن دون إيجاد حلول لا تقبل التأجيل، فأننا أمام مستقبل مظلم!

رأي في الإصلاحات

سألتني الناشطة والإعلامية (نارين شمو):

* كيف تنظر للنظام الطبقي الإيزيدي؟ وإلى أي حد يعد النظام الطبقي التزام ديني ام مطلب ديني ملح؟

* كونك أحد الشخصيات الداعية للإصلاح برأيك كيف لنا أن نخلق توازنًا بين الكر والفر بين رؤى المناهضين لفكرة الإصلاح والمتعصبين الرافضين لمجرد الاستماع لهذا الطرح، وماذا يقع على عاتق الفرد المثقف الإيزيدي؟

* ألا تعتقد ان الوضع الراهن لا يتحمل أي طرح للتغيير؟

طرحت ثلاثة أسئلة، أولهم سؤال مفصلي ومهم وحساس جدًا، إنه سؤال مرحلي يشغل بال الغالبية العظمى من جيل الشبيبة من كلا الجنسين وكذلك قطاعات واسعة من المجتمع الإيزيدي، كل حسب علاقته واهتمامه بالموضوع.

إجاباتي عن هذه الأسئلة ستكون تأكيدًا على طروحاتي وآرائي المعلنة عنها تحريرًا ضمن مقالات منشورة في السنوات الماضية، إلاّ أن الجديد ربما ستكون إضافة بعض الملاحظات الفكرية والمنطقية.

يمكن الإشارة إلى أنه في حال مناقشة هكذا قضايا حساسة، لا بدّ من تعريف الدين نفسه، إذ أنه بدون تعريف الدين يجد الباحث وهو يلاحق ظواهر بعيدة عن الدين، أو يتابع جوانب ثانوية عن الدين على حساب جوانبه الرئيسية. ونرى هل أن هذه الظواهر هي من لب الدين أم أنه قشور خارجية له. وما يهمنا هنا كإيزيديين هو معرفة: هل أن نظام الزواج الطبقي هو من صلب الدين، أم من قشوره؟

يقول وليم جيمس في كتابه (The Varieties of Religious Eperi-ence) رغم أنه من غير الحكمة وضع تعريف للدين ثم المضي في الدفاع عنه في وجه كل الاعتراضات. مع ذلك لا بأس من الإشارة إلى بعض تعاريف الدين التي تقول إنه "الاعتقاد بالحضور الفائق لشيء غامض وعصي على الفهم".

ويقول ماكس موللر (Max Muller) إنه "محاولة من أجل تصور ما لا يمكن تصوره، وقول ما لا يمكن التعبير عنه، إنه توق إلى اللانهائي".

أما ف. شليرماخر (F. Schleirmacher) يعرف الدين بأنه "شعور باللانهائي واختبار له. وما نعنيه باللانهائي هنا هو وحدة وتكامل العالم المدرك. وهذه الوحدة لا تواجه الحواس كموضوع، ودائمًا تنبئ عن نفسها للمشاعر الداخلية. وعندما تنتقل هذه المشاعر إلى حيز التأملات، فأنها تخلف في الذهن فكرة. وأن الخيال الفردي هو الذي يسير بفكرة الله إما نحو المفارقة والتوحيد، أو نحو نوع غير مشخص للألوهية يتسم بوحدة الوجود.".

هذا فضلاً عن العديد من التعاريف الأخرى لا مجال لذكرها جميعها.

إذا تابعنا بإمعان جميع تعاريف الدين، نلاحظ أن الخيط المشترك هي محاولة الإنسان لوضع رؤيته لمعرفة فيما وراء الطبيعة والتعامل مع الغيبيات من خلال مشاعره، ومعرفة الخالق. الدين، إذن حالة شعورية ونفسية للكائن البشري (العاقل) للتعامل مع النظرة الميتافيزيقية والغيبية التي لا يمكنه إدراكها والتوصل إليها بحواسه. بمعنى آخر أن مجموعات بشرية في زمان ومكان محددان، وفي مرحلة تطور تاريخية محددة، وضمن تطور اجتماعي وفكري معين، عبروا عن نظرتهم إلى ما وراء الطبيعة والعالم اللا مرئي من حوله الذي تحول فيما بعد إلى قالب ديني عقائدي. إذن وعي الإنسان (العقل) هو واضع فكرة الدين ومعرفة الخالق وليس العكس، ولو كان الخالق هو الذي خلق الأديان لما ساعد على اندثار وانقراض آلاف الأديان القديمة ولبقت كلها حيّة إلى يومنا هذا. أما نوعية العبادات والطقوس والمحرمات وما إلى ذلك فقد تم تنظيمهم فيما بعد وعلى مراحل، وليست دفعة واحدة، من قبل الأنبياء والمصلحين وكبار مشايخ الطرق الصوفية.

بناءً على ما تقدم من تعريف الدين، هل يشعر أي إيزيدي أن نظام الزواج الطبقي لديه يدخل في الماورائيات والغيبيات، أم أنه يدخل ضمن الماديات في علاقة ثنائية بين الجنسين؟ هذا هو السؤال المهم.

وسؤال مهم آخر يلتحق به: هل أن قانون الزواج الطبقي قدسي ومنزل من السماء؟

إذا كان الجواب بنعم، نرجو من علماء الدين أن يسعفوننا بنصوص دينية تؤكد ما يذهبون اليه. أما إذا قال البعض أنه قانون أخلاقي من صنع المجتمع، حينذاك نتفق معهم ونقول بأن القوانين الأخلاقية والوضعية هي من صنع الإنسان وهي قابلة للمناقشة والتغيير في كل الأحوال.

فيما تخص رؤيتي بشأن هذا الموضوع، طرحته بكل وضوح وصراحة في مقال تحت عنوان: "أي مؤتمر تنتظره الإيزيدية: مؤتمر مصالحة وتعزيز مصالح، أم مؤتمر مصارحة وانقاذ!" بتاريخ 2/ تموز/ 2007، وتم نشره في العديد من المواقع الإيزيدية الإلكترونية، كما تضمن كتابي المعنون "الإيزيدية والامتحان الصعب". لذا لا أرى حاجة لتكرار طروحاتي المؤمن بها بقوة لإنقاذ الإيزيدية من الانقراض. ولمن يريد معرفة المزيد بامكانه مراجعة تلك المصادر. خصصت محورًا خاصًا من تسعة نقاط للإصلاحات الواجب إجراؤها داخل المجتمع الإيزيدي، وكانت النقطة التاسعة تتمحور حول تبني فكرة "الطبقة السابعة" معززًا رؤيتي بالعديد من البراهين والحجج الواقعية وليس من نسج الخيال! أؤكد وأشدد على كلمة "تبني" أو "قبول" "الطبقة السابعة" لأنها موجودة على أرض الواقع ومن الناحية العملية. إذن لماذا يخفى المتشددون الإيزيديون رؤوسهم كالنعامة في الرمال وجسمهم مكشوف!! ولخصت تلك الفكرة من خلال الاستنتاج التالي "إذا كان هنالك فعلاً من إيزيدي حريص يريد استمرار ديانته ويزيل عنه تهديد الانحلال والانقراض إضافة إلى التفكير بمنطق إنساني أوسع وليس بمنطق عنصري (نقاوة الدم)، يفترض به أن يكون مدافعًا عن النقطة التاسعة. وأنا أطرحها كي تخرج الإيزيدية عن كونها ديانة مغلقة إلى تقبل نوع من التبشير".

الديانات المغلقة لا حياة لها ومصيرها الانقراض. تصوروا معي انقراض آلاف الديانات والمعتقدات القديمة لأنها كانت ديانات محلية مغلقة

لم تتمكن من مواكبة التطور التاريخي والاجتماعي. والأديان التي تصل أتباعها آلاف الملايين أو تربو على المليار (المسيحية والإسلام) وانتشروا في أرجاء المعمورة، لم تكن بسبب صحة معتقداتهم أو فلسفتهم الدينية، بل كان بسبب مبدأ التبشير، فضلاً عن استخدام القوة في فرض ديانتهم في فترات تاريخية، هذا اضافة إلى عوامل أخرى لا مجال لذكرها.

حين نشرت فكرة "الطبقة السابعة" أقام بعض المنتفعين الإيزيديين الدنيا ولم يقعدوها، وكان في مقدمتهم بعض مسؤولي مركز لالش، إذ دفعوا قسمًا من ضعفاء النفوس من أعضاء مركزهم (من بينهم رئيس أحدى الفروع) باستنساخ المحور الخاص بـ"الطبعة السابعة" وحث الأتباع بإيصال تلك النسخ بطريقة أو أخرى إلى منطقة شنكال وأنظار الأمير، ونشر دعاية أن دكتور خليل ينادي بالطبقة السابعة ويريد تهديم الديانة الإيزيدية، فما كان من الأمير أن يعقد اجتماعًا (لا أتذكر تاريخه بالضبط) إلا أنه كانت خريف عام 2007، دعا إليه الكثير من رجال الدين ووجهاء الإيزيدية من جميع مناطق الإيزيدية، تم شحنهم بمعلومات مشوهة ودون أن تُنقل لهم الفكرة صحيحة، بحيث وصلت الفتاوى إلى حد التصفية الجسدية! وكان من بين المدعوين أحد وجهاء مجمع خانك دون أن يعرف سبب دعوته للاجتماع، وبعد أن خرج منها سأل أحد الحضور عن سبب هذا الاجتماع، موضحًا له ان فلان قد دعا إلى تبني "الطبعة السابعة" وإزالة الطبقات، نقل عن هذا الشخص بأنه فرح كثيرًا، وقال ما معناه " وهذا ما نريده.!" وقد اتصل هذا الشخص بأحد أقربائه في ألمانيا ونقل لي بدوره ما دار في الاجتماع.

لصحة الأفكار والرؤى التي طرحتها في مقالي في 2/ تموز/ 2007، وكون القائمين على المؤتمر من الإيزيديين حينذاك ومن حددوا أهدافها، هم نفسهم الذين كانوا وراء تعيين حازم تحسين بك "أميرًا"! وعلي شيخ إلياس (بابا شيخًا)!، وهم نفسهم الذين أوصلوا الإيزيدية إلى ما هم عليه من تشرذم وضياع يئنون تحت آثار الإبادة، وجاء ذلك التشخيص في موضوع يتضمنه هذا الكتاب تحت عنوان "أين تكمن علة الوضع الإيزيدي؟"، لأهمية الموضوع وحيويته وتطابقه مع الوضع الإيزيدي الحالي، نطرحه في هذا الكتاب مرة أخرى.

علمًا تشاهدون في هذا المقال، لم أدعُ لإزالة الطبقات – رغم ملاحظاتي عليها- إلا أني كجزء من الحلول لمشكلات الإيزيديين في الداخل والخارج أضفت طبقة أخرى "السابعة" التي تعقن دماء شبابنا وشاباتنا الذين يقتلون بمجرد الاشتباه بتكوين علاقة مع شخص من غير طبقتها حسب زعمهم. طرحتها من أجل مئات من شبيبتنا في الخارج الذين يذهبون ضحايا العادات البالية ويتركون ديانتهم. دعوت لهذه الطبقة، وأدعو إليها اليوم بقوة أكبر للحيلولة دون المزيد من تدهور المجتمع الإيزيدي، هذه الدعوة تصاحبها العديد من الإصلاحات الاجتماعية الأخرى.

أي مؤتمر تنتظره الإيزيدية [٣]
مؤتمر مصالحة وتعزيز مصالح، أم مؤتمر مصارحة وإنقاذ؟!

غبطة وحذر:

أقرّ وأعترف مسبقًا بالتالي:

أولاً/ شعرت بمنتهى الغبطة حينما قرأت على صفحات الإنترنت اجتماع " فرقاء" الإيزيدية في فندق هلال بدهوك واتفاقهم من حيث المبدأ على عقد مؤتمر موسع للإيزيدية نهاية هذا العام في كوردستان. وقد عبّرت في نفس الليلة عن تأييدي للمؤتمر في رسالة على العنوان الذي أعلنه الأخ خدر دوملي، ونصها إلى الأخ الدكتور ممو، جاء في بعض فقراتها: "... هذا ما كنت أدعو وأؤكد عليه باستمرار في كتاباتي (أي عقد مؤتمر عام)، لذا أضم صوتي إلى صوتكم وكان يفترض أن يعقد هكذا مؤتمر قبل سنتين أو أكثر، لكن مع ذلك نحن وفي هذا الوقت الحساس بحاجة ماسة إلى عقد هذا المؤتمر، والذي نرجوه أن يكون مؤتمرًا نوعيًا لا شكليًا، وأن يتم تشخيص لجنة تحضيرية قادرة ومتمكنة لا تخضع لتأثير أي شخص بمفرده، بحيث تقوم تلك اللجنة بإعداد جدول أعمال ومحاور حيوية ومواضيع نوعية للمؤتمر تأخذ مستقبل الإيزيدية ككل بنظر الاعتبار، ويفترض في اللجنة التحضيرية المختارة ألا يتم تشخيصها أو اختيارها على أساس الارتياح، بل الكفاءة والاخلاص والمصلحة العامة، مع مراعاة التنوع وعدم نسيان العنصر النسائي وتمثيل الخارج. ويجب أن نعرف مقدمًا أن المؤتمر لا ينجح إذا لم يقف ورائه الحزبان الحاكمان وحكومة كوردستان. ويجب أن نضع في البال ان لا يشغل المؤتمر وقته ومناقشاته فقط عند جمع النصوص الدينية-حيث إن أغلبيتها في متناول اليد- بل مهمة المؤتمر المزمع عقده أن يتناول ويعالج مسائل

(٣) كُتب هذا المقال في كوتنكن/ألمانيا بتاريخ ٢/ تموز/ ٢٠٠٧.

جوهرية في حياة الإيزيدية الإدارية والدينية والاجتماعية... الخ، أكرر دعمي لهذا التوجه ويدًا بيد نحو مستقبل أفضل ونحو ترتيب البيت الإيزيدي المهدم...".

ثانيًا/ في الجانب الشخصي ورغم مشاعر الغبطة، ليس مهمًا عندي المشاركة في هذا المؤتمر أم لا، ولن يقتلني الشوق في عدم الحضور لإحساسي– رغمً عدم صحة الحس في كثير من الأحيان- أن أفكاري ومشاريعي الإصلاحية ربما لن تروق جهات من داخل الهيئة التمهيدية للمؤتمر وخارجه، وربما تفكر تلك الجهات أن تلك الأفكار تهدد مصالحهم، وبهذا لا أريد أن أكون عائقًا أمام المؤتمر مثلما فعله البعض عام 2000. هذا لا يعني تهربًا من ذلك النفر، بل شعورًا متواضعًا مني للقاء الإيزيديين ونجاح المؤتمر. المهم أن يكون المؤتمر نوعيًا يشخص أورام جسم المجتمع الإيزيدي ويضع له حلولاً، ويخرج بقرارات تنسجم مع الأوضاع المستجدة داخليًا وخارجيًا،

ثالثًا/ من الناحية العلمية أعرف جيدًا أن النظر إلى الظواهر الاجتماعية والدينية من قبل الناس ليست ثابتة ومطلقة، بل تتغيران باستمرار. إن هاتين الظاهرتين ذات وجوه مختلفة ومتعددة، كل مجموعة من الناس تنظر اليهما حسب مستوى تفكيرها وفهمها ومصالحها الخاصة، ومن الصعب جدًا، إذا لم نقل من المستحيل، أن يتفق جميع الناس على رأي واحد، فلهم من اختلاف مصالحهم وعواطفهم وعقدهم النفسية، ما يجعلهم مختلفين دومًا.

– هواجس بإخراج المؤتمر من سكته:

بعد أسبوع تقريبًا من نشر خبر الاجتماع الأول لعقد المؤتمر الموسع، قرأت مقالات لكل من الأخوين خدر دوملي وغسان سالم "الطروحات كثيرة والآمال أكثر من مؤتمر الإيزيدية 12/ 6/ 2007" و "رؤى متناقضة حول المؤتمر الإيزيدي 19/ 6" و"من أجل أن لا نعود بخفي حنين". وكذلك مقال الأخ فائز حراقي "حتى يختلفوا على أماكن جلوسهم".

وبعد مناقشات مطولة، وربما حدّية وإلحاح البعض، جرى "الاتفاق" من حيث المبدأ، أو رغمًا عن أنف البعض، على ثلاثة محاور وهي:

- الإيزيدية والمادة 140من الدستور العراقي.
- مشروع قانون الأحوال الشخصية.
- مطالب الإيزيدية في دستور إقليم كوردستان،

مع رفض شديد من قِبل البعض أن تدخل نقطة الإصلاحات داخل المجتمع الإيزيدي إلى أجندة المؤتمر! ولم يتوقف أولئك "البعض" من صدّ فكرة مناقشة الأفكار الإصلاحية وإجراء بعض التغييرات داخل كيان المجتمع الإيزيدي، لا بل حسبما أشيع وتداول في الداخل/ كوردستان، أن أولئك "البعض" لم يتوقفوا عند حدّ رفضهم لمناقشة فكرة الإصلاحات، بل قاموا بشن حملة على الإصلاحيين والإيحاء لبسطاء الناس من الإيزيديين أن هؤلاء، أي الإصلاحيين، يحاولون إزالة الطبقات الدينية وبالتالي القضاء على أسس الديانة الإيزيدية!

بطبيعة الحال أترك موضوع الإشاعة وما تمّ تداوله في الشارع الإيزيدي، كوني لا أملك دليلاً مكتوبًا، لأتخطاه وأتوقف عند الدليل الملموس في "محاور" المؤتمر الثلاثة المعلنة ونتف من المنشور هنا وهنالك.

مع احترامي الشديد للرأي الجمعي للإخوة والأخوات المتفقين على المحاور الثلاثة من خلال الاجتماعين الأول والثاني، إلاّ أني لاحظت وجود عدم فهم واضح لأمراض المجتمع الإيزيدي وأولويات مطالبه على ضوء الأزمة الحقيقة التي يمرّ به، أو بالأحرى تعمد البعض لأهداف خاصة ونفاق سياسي، إهمال تلك الأمراض والأولويات والقفز عليهما وبالتالي إفراغ المؤتمر الذي ينتظره الجميع ويعقد عليه الآمال من محتواه.

إن القرائن التي أؤسس عليها "هواجسي" نابعة من الحديث المنشور لبعض الأخوة من الهيئة العليا لمركز لالش في دهوك، سواء في مقابلاتهم أو في مقالاتهم، حيث جاء على لسان أحدهم على سبيل المثال "إن للمركز تحفظات بشأن عقد المؤتمر الديني في هذه المرحلة الحساسة الذي قد يستغلها أطراف أخرى لأغراض سياسية تؤثر سلبًا على تطبيق المادة (140) من الدستور العراقي (...) وبعد إنجاح تطبيق

المادة المذكورة سوف تكون البيئة ملائمة لعقد هكذا مؤتمر يخص بإجراء التغيرات الاجتماعية". ويقول/ يتهم آخر في مقال منشور له أناسًا يريدون: "... جرّنا إلى متاهات وأفكار لا أقول عنها دون كيشوتية وإنما في هذه المرحلة تقودنا إلى التفرقة والشرذمة والتي منها ما يجب أن تكون عليه مواصفات سمو الأمير وفضيلة بابا شيخ وأعضاء المجلس الروحاني، وأن يكونوا من خريجي كليات اللاهوت ومسألة الطبقات الدينية والكتاب المقدس ومن هو شرف الدين وايزي الإيزيدية ودور الشيخ ادي..... الخ، حيث رؤيتي المتواضعة ورؤية العاملين في مركز لالش أن نركز على المحاور التي تجمعنا ونجد الحل المناسب لها ونؤجل محاور اخرى إلى ظرف أنسب بل ومحاور منها الزمن كفيل بعلاجها ومن ينوي خدمة مجتمعه عليه أن يمشي وراءهم لا أن يركض أمامهم...". (من مقال رفقًا بفائز الحراق).

الله على روح الإيزيدياتي النقية المخلصة، وعلى الحرص العالي للمّ شمل الإيزيديين! هل تناسى هذا الأخ المثل العربي القائل (احنه ولد الكريّة، كل من يعرف خيّه) أي (نحن أبناء قرية واحدة وكل منا يعرف الآخر أو أخوه). كفانا مزايدات وخداع ولفّ ودوران وضحك على الذقون! ألا سألتم أنفسكم: من هم سبب تفرقة وشرذمة الإيزيديين؟!

إن تطبيق المادة 140 من الدستور العراقي وإرجاع المناطق المتنازع عليه مثل كركوك وخانقين ومناطق الإيزيدية في الشيخان وبعشيقة/ بحزاني وشنكال هو مطلب وأمنية كل كوردي وطني شريف، إلاّ أن ذلك المطلب وتلك الأمنية لا تتحقق من خلال إصدار قرار من داخل أروقة مؤتمر قبل شهر أو شهرين من موعد إجراء الاستفتاء، بل كان يفترض أن يجرى العمل له منذ سقوط النظام وإقرار الدستور بصيغته المؤقتة (المادة 58) وبعد إقرار الدستور الدائم (المادة 140) حيث أن هنالك وزارة خاصة في إقليم كوردستان بالمناطق المتنازع عليها. وتأتي أيضًا من خلال عملية متواصلة من التوعية وعن طريق تقديم الخدمات لتلك المناطق والاهتمام بها أكثر من غيرها، ولا يأتي من خلال إصدار فتاوى!

يبدو لي أن تحصين واحتماء "بعض" الأخوة بالمادة 140 وإصرارهم أن يكون محورًا أساسيًا، بل ربما شرطًا، من شروط ومحاور المؤتمر الإيزيدي الموسع المزمع عقده ورفضهم إدخال محور الإصلاحات

ومناقشتها داخل المؤتمر، هو قول حق يراد به باطل وتحرك ذكي، لكن مكشوف وفاضح يراد به ما يلي:

- منافسة الآخرين من الذين طرحوا فكرة عقد المؤتمر، وعدم السماح لهم أن يبرزوا إلى الصدارة ويستغلوا نجاح المؤتمر لصالحهم، لأن هؤلاء "البعض" ليسوا الطرف الرئيسي والمقرر والداعي والراعي للمؤتمر، فأنهم بهذه المحاور، رغم أنها خرجت في النهاية بشكل جمعي، يريدون حرف المؤتمر عن مساره.

- أن بحث الإصلاحات وإجراء بعض التغييرات داخل المجتمع الإيزيدي وايجاد مرجعية دينية وإدارية (سياسية واجتماعية...) منتخبة، وأي تقارب إيزيدي حقيقي ليس في صالحهم، لأنه سوف تتزعزع مراكزهم، وتتهدد امتيازاتهم.

- أنه نفاق سياسي (خاصة تأكيدهم على محور المادة 140) هي محاولة كسب ود قيادة الحزب الديمقراطي الكردستاني بشكل خاص، كونهم الحريصون على تطبيق هذه المادة والمخلصون للكورديتي! وربما توريط أو اعراج آخرين يرفعون أصواتهم ليقولوا: ليس المادة 140 هو المحور المناسب لمناقشته في المكان والزمان المناسبين/ المؤتمر، ليبدأ ذلك "البعض" من جديد بدق الطبول وإعادة القوانة المشروخة لأيام زمان: " هؤلاء يريدون مؤتمر تعريب ولا يريدون أن ترجع مناطق الإيزيدية إلى أحضان إقليم كوردستان!" لكي يعيد التاريخ نفسه من قبل نفس المجموعة مثلما حدث حول مؤتمر الإيزيدية العالمي عام 2000 في هانوفر!

- إبعادهم لفكرة مناقشة الإصلاحيات (ويعرفون بالضبط ماذا تريده غالبية الإيزيدية من إصلاحات) هي محاولة التقرب من الأمير وبيت الإمارة بشكل خاص ومن الإيزيدية بشكل عام وتبييض الصفحة، والإظهار أنهم الحريصون على أسس الدين والمدافعون عنه، خاصة بعد النشاطات الأخيرة التي جرت وتجري على الساحة الإيزيدية سواء داخل العراق/ كوردستان أو خارجه وقد استبعدت عنها تلك المجموعة.

- يضاف إلى كل ذلك، حسب توقعاتي، أن الإصرار على هذه المحاور المعلنة ورفض قبول محور الإصلاحات يترك لهم الباب مفتوحًا، إذا

طالبت أطراف أخرى ونجحت في تثبيت نقطة الإصلاحات، أن تعلن تلك المجموعة عن انسحابها من الهيئة التحضيرية للمؤتمر وبالتالي إفشاله.

كي لا يدور حديثي ضمن العموميات، ولا تنبع هواجسي من فراغ، أبدأ بمناقشة هذه (الهواجس) من منظور المنطق العلمي الاستقرائي وليس الاستنباطي؛ أي البدء من دراسة الجزيئات وتحليلها للوصول إلى حقائق نسبية وليس مطلقة في كل الأحوال، ولن أبدأ، كما يشتهي البعض، من الكليات كي أتوصل إلى نتائج جزئية غير دقيقة من ناحية التوجه والنتائج.

إن الأزمة التي تمر وتتخبط بها الإيزيدية ليست حديثة العهد، أو أنها ظهرت بعد سقوط النظام الصدامي البعثي في العراق، بل أنها أزمة مستفحلة تعود جذورها إلى عقود وربما قرون طويلة. الإيزيديون كديانة يعانون من عدة أزمات خطيرة في مقدمتها أزمة القيادة وعدم وجود مرجعية (علمًا لا أحبذ استخدام كلمة المرجعية) دينية فاعلة، أزمة النظام والميكانزيم الديني الهلامي وتشابك الموروث العشائري الرجعي مع الموروث الديني القدسي، أزمة الاغتراب والشعور الدائم بالنقص، وجود العديد من بقايا آثار العبودية ضمن النسيج الاجتماعي للمجتمع الإيزيدي، إلى غير ذلك من العقد المستعصية التي يفترض أن تعالج وتبحث عن حلول لها.

هذه المحاور/ العقد يفترض، بل يجب، أن تكون لها الأولوية في جدول عمل مؤتمر الإيزيدية الموسع المزمع عقده داخل الوطن/ كوردستان، وبدون إيجاد حلول مناسبة تلائم روح العصر لها، سوف لن تقوم للإيزيدية قائمة، ويظلون مشتتين متخلفين عن الركب فيما إذا طبقت المادة 140 بحذافيرها غير منقوصة، أو حتى أن وضعوا الإيزيدية في إحدى كونفدراليات سويسرا!

أرى أن المحاور الثلاثة، رغم أهميتها النسبية، ليست بتلك الدرجة من الأهمية أن تكون محاور رئيسية لمؤتمر طال انتظاره يعقد عليه غالبية الإيزيدية آمالهم. وسوف أبين رأيي بكل محور على حدة:

- المحور الأول / الإيزيدية والمادة 140 من الدستور العراقي:

لا أرى تلك الأهمية المرجوة من طرح هذا المحور في هكذا مؤتمر للأسباب التالية:

1. كما أشرت سابقًا أن قضية المادة 140 لا تحل بقرار فوقي صادر من أروقة المؤتمر قبل شهر أو شهرين من إجراء الاستفتاء.

2. يفترض أن تكون مناقشة هكذا محور مع المخالفين والرافضين لالتحاق مناطق الإيزيدية بإقليم كوردستان كي يتم اقناعهم بأهمية ذلك من جميع النواحي، فهل يوجد معارض ورافض لذلك التوجه من ضمن الهيئة التمهيدية؟ لا خوف لنا من الإيزيديين الآخرين سواء المنتسبين للأحزاب الكردستانية، أو الوطنيين المستقلين حيث إن أصواتهم مضمونة لصالح القرار 140.

3. تكون النتائج أفضل ألف مرة فيما إذا تم القيام بإقامة مؤتمر أو كونفرانس حول الإيزيدية وحول مناطقهم من قبل حكومة كوردستان على غرار كونفرانس خانقين 15/ 3/ 2007 لمناقشة سبل تطبيق المادة 140 تشترك فيه عدة وزارات تتعهد بتقديم خدمات كل حسب مجالاتها.

4. أن المبادرة التي قامت بها حكومة كوردستان عبر الجهات ذات العلاقة بحل مشاكل الطلبة الإيزيديين الفارين من جامعات الموصل وأداء امتحاناتهم بداية شهر تموز، وكذلك الحال بنقل البطاقة التموينية لأهل شنكال من محافظة الموصل إلى دهوك تقابل عشرين مؤتمرًا كالمؤتمر المعلن عن محاوره حاليًا.

5. أن قضية المادة 140 قضية سياسية بامتياز لا تتوقف فقط عند رغبة الكرد المسلمين والإيزيديين التصويت بنعم يوم الاستفتاء، إنما تتجاوزها لتلتقي عند مصالح محلية وإقليمية ودولية، وتدخل ضمن نقاط الأجندة الأمريكية وحلفائها ومصالحهم الحيوية في منطقة الشرق الأوسط بمفهومه الجديد. وحسب قراءتي للوضع، ومتابعتي للأخبار وتصريحات ومواقف المسؤولين الأمريكيين والبريطانيين والكرد حول تطبيق هذه المادة في موعدها، وموقف أمريكا من حزب العمال

الكردستاني، نشعر بنوع من التفاؤل، وأن مسألة ضم المناطق المتنازع عليها بدءً من كركوك وخانقين وانتهاءً بشنكال هي مسألة وقت لا غير تنتهي عند نهاية هذا العام، أو لربما تأخيرها لعدة أشهر لاعتبارات فنية لا يغير من الموضوع شيئًا، وسوف تتم إنجاح عملية الاستفتاء كما نجحت أمريكا في أن يصوت أكثر من ثمانية مليون عراقي على الدستور الدائم ويثبوا فيه المادة 140 بشكل قانوني. كما أؤسس تفاؤلي على تحليلي لمجريات الأحداث ألا مناص من خروج العراق من دائرة العنف والإرهاب إلاّ بتشكيل ثلاث فيدراليات أو أكثر، وربما في نهاية المطاف ثلاث كونفيدراليات ضمن خيمة دولة واحدة كما هو حال الدولة السويسرية. وسوف تكون كوردستان بوابة نجاح مشروع الشرق الأوسط الجديد وضمان بقاء القوات الأمريكية بسلام في المنطقة.

6. إصرار البعض على اتخاذ هذه المادة منطلقًا لإبراز "حرصهم وإخلاصهم الزائدة لحزبهم" وتخويف كل من يقلل من أهمية طرحها كمحور أساسي في المؤتمر، ليس في صالح ذلك البعض، حينها يطرح سؤال مشروع لقيادة الحزب الديمقراطي والإيزيديين عمومًا: ماذا قدم "المسؤولين" الإيزيديين الذين كان تحت تصرفهم ميزانية شبه مفتوحة لبني جلدتهم قبل تحرير العراق وبعده؟ ولماذا هم خائفون من وجود مجموعات غير قليلة لا تريد التصويت لصالح انضمام مناطق الإيزيدية؟ من المسؤول عن خلق هذه الحالة؟ ومن أوصل سفينة الإيزيديين إلى حدّ الغرق؟... نحن نعيش عام 2007 وليس عام 2000، ونتمنى من أولئك الأخوة ألا يلجؤوا مرة اخرى نزعة الاستئثار والتشهير والاحتكار، فقد ولى ذلك الزمن وبدون رجعة!

- المحور الثاني / مشروع قانون الأحوال الشخصية:

أن هذا المحور هو من مهمة المختصين القانونيين يقومون بإعداد مشروع قانون حضاري متوازن تكون ركيزته الأساسية المساواة الكاملة بين المرأة والرجل من كل النواحي، وبدون ذلك يكون المشروع ناقصًا يشبه قانون الأحوال الشخصية المستنبطة من الشريعة الإسلامية وربما أكثر تخلفًا منه. تطرح تلك المسودة على صفحات الجرائد والإنترنت

للمناقشة، ويأخذ أيضًا رأي المجلس الروحاني ليطرح بعد ذلك على جميع الإيزيديين لإجراء استفتاء عليه ليكون مقبولاً من الجميع، وبعد كل ذلك يرفع لبرلمان كوردستان للمصادقة عليه. إن هكذا مشاريع قوانين حساسة لا يتحملها مؤتمر يعقد ليوم أو يومين.

هذا من جهة، ومن الجهة الأخرى فان ما صرح به السيد مسعود البارزاني، رئيس حكومة إقليم كوردستان في جامعة دهوك - على ما أتذكر- حول فصل الدين عن الدولة، يضع أمامنا آفاقًا جديدة، فبعد تثبيت هذا المطلب في دستور كوردستان، معناه سيكون هنالك قانون وضعي ذات مقاييس حضارية لكل مكونات كوردستان الاثنية والدينية، ولن يجري التعامل مع قانون أحوال شخصية لكل دين أو مذهب. وحينذاك يكون طرح هذا المحور ومناقشته في المؤتمر مضيعة للوقت.

- المحور الثالث / مطاليب الإيزيدية في دستور إقليم كوردستان:

لو كان للإيزيديين قيادة فعلية لما انتظروا طول هذه الفترة ليقفوا ويناقشوا أخيرًا مطالبهم المفروض تثبيتها في دستور الإقليم! مع ذلك لنقل لا بأس، رغم توقعاتي أنها ستلاقي بعض الصعوبات والعراقيل.

*** الحتمية التاريخية:**

أي مؤتمر إذن ينتظره الإيزيديون: مؤتمر مصالحة وتعزيز مصالح، أم مؤتمر مصارحة وإنقاذ؟

أعي جيدًا أنه ليس بإمكان مؤتمر واحد أن يعالج مشاكل الإيزيدية المستفحلة والمتراكمة لمئات السنين. كما أتفهم جيدًا ليس بإمكان مؤتمر أن يتحمل الكثير من المحاور، ولن أتعجب أيضًا من عدم اتفاق جميع الناس على رأي واحد، فلهم من اختلاف المصالح والعواطف والعقد النفسية، ما يجعلهم مختلفين دومًا. إلاّ أنّ الواضح لدي أن المحاور المطروحة، رغم الأهمية النسبية والظرفية للبعض منها، ليست هي التي تنقذ سفينة الإيزيديين من الغرق وتأخذهم إلى برّ الأمان. كما أرى وأشعر بوجود أيادي تريد عمدًا تحريف المؤتمر عن مساره، وقد ذكرت مآرب وأهداف أولئك ولا حاجة للتكرار.

لقد دلت تراكم تجارب السنين المتراكمة بشكل عام، وأحداث أواخر عام 2006 وبداية عام 2007 (من شيخان إلى بعشيقة/ بحزاني) اننا كأقلية دينية غير تبشيرية أمام حتمية تاريخية لتقبل بعض الإصلاحات، ولا يجوز غض النظر عنه والقفز عليه تحت حجج واهية ومفضوحة حقًا.

أن مسألة الإصلاحات يجب أن تكون لها، باعتقادنا، الأولوية وأن تكون هي النقطة الأساسية أمام المؤتمرين، وتكون النقاط الأخرى فرعية. ودون الدخول في التفاصيل (سوف أطرح في المستقبل برنامجًا إصلاحيًا متكاملاً)، لكنني الآن سأطرح بعض النقاط الإصلاحية الآنية والملحة، على الرغم من ملاحظاتي على تشكيلة المجلس الروحاني ومفهوم ومكانة الإمارة المطروحة في مقالاتي السابقة:

1. فصل الدين عن السياسة. بمعنى تشكيل مجلس روحاني جديد وبمواصفات جديدة فعلاً بحيث يكون رجل الدين في ذلك المجلس بمرتبة البيشيمام والبابا شيخ وشيخ الوزير ورئيس القوالين وغيرهم على درجة من العلم والمعرفة والنزاهة لم تخجل منه الإيزيدية عندما يمثلهم في المحافل، أو تجري معهم مقابلات تلفزيونية وإعلامية، يتم انتخاب هؤلاء حسب الكفاءة والسمعة وبدون مقابل مادي من نفس السلالات والعوائل.

2. يتحول منصب الأمير إلى منصب رمزي مثل النظام الملكي في كل من بريطانيا وهولندا واسبانيا... الخ، لا يجوز له التدخل في الشؤون السياسية وتكون مهمته توقيع البرتوكولات والقرارات المهمة ويعيش على واردات أملاكه، أو ما يدفع له من الحكومة كمورد.

3. تشكيل هيئة أو مجلس إداري، أو أي اسم آخر يتفق عليه، عن طريق الانتخاب الديمقراطي أيضًا إلى جانب المجلس الروحاني مهمته قيادة الإيزيدية من ناحية تمشية الأمور السياسية والادارية والاقتصادية (الأوقاف) الداخلية والاشراف على خيرات الإيزيدية، وتمثيلهم في كل مكان. ومن الطبيعي أن تكون هنالك علاقات واستشارات بين هذه الهيئة والمجلس الروحاني الأعلى واستشارة الأمير/ الرمز.

4. لن يكون الأمير عضوًا في كلا المجلسين (الروحاني والاداري) بل كما قلنا منصب رمزي حسبما ورد في النقطة 2.

5. تأميم خيرات جميع مقدسات الإيزيدية من مزار لالش والسنجق وبقية المزارات مع الاتفاق على أن يدفع البابا شيخ نفسه جزءًا من وارداته إلى صندوق يكون تحت إشراف لجنة منبثقة من الهيئة الادارية وتصرف تلك الأموال حسب برنامج وحسب الحاجة على شؤون الإيزيدية، ولا يكون للأمير أية حصة أو دخل في هذه الأموال.

6. إزالة بعض آثار العبودية بين الإيزيدية مثل ظاهرة ال (مريد) وجمع ال (فتو- رسم – فرز) من قبل الشيوخ والأبيار منهم. الكلمات الثلاثة (فتو-رسم-فرز) هي كلمات عربية بمعنى جمع (الزكاة أو الفاتورة - الرسم هو الجباية والضريبة – والفرض) وجميعها تحمل مفهوم الأخذ بالقوة. على كل حال كانت هذه الضرائب والجبايات والرسوم تأخذ في فترة الشيخ آدي وابن أخيه الشيخ حسن من قبل الأبيار حسب (مشور) أي وثيقة بأسماء العشائر والأفخاذ والمناطق يزود بها البير ليقوم بجمع نسبة من المحاصيل الزراعية والحيوانية والنقود ويأتي بها ليودعها في الخزينة الموجودة في لالش. وكان البير ايسيبيان مسؤولاً لتلك الخزينة. بمعنى أنه في سالف الزمان كانت هذه الخيرات كلها تذهب إلى الخزينة في لالش وتصرف على كافة الإيزيديين. ولكن بمرور الزمن صار الشيوخ والابيار يجمعون هذه الخيرات ويستحوذون عليها لصالحهم، وجاء الأمير فيما بعد ليسيطر على الجميع!

7. من مظاهر العبودية الثانية هي المتاجرة بالبنات والنساء وبيعهم كأي سلعة من السلع تحت اسم (المهر)، لذا يجب تحريم بيع النساء وإلغاء المهر تمامًا؛

8. مساواة المرأة بالرجل وتحريم قتل النساء تحت أي مسمى كان، خاصة المقولة البائسة والمتخلفة " غسل العار"!؛

9. رغم ملاحظاتي الكثيرة على طبقات الزواج، حيث لا مجال لطرحها هنا، أدعو إلى استحداث الطبقة السابعة لعلاج نتمكن بواسطته تجاوز الكثير من المشاكل مثلما حدث مؤخرًا في الشيخان وبعشيقة/ بحزاني. تضم هذه الطبقة لكل من يخالف- حسب المفهوم الإيزيدي الحالي- شروط الزواج ويتزوج من غير طبقته. كلاهما إيزيديين يجري الاعتراف بهم. ويضم كل إيزيدي من كلا الجنسين إذا تزوج من خارج حدود ديانته

ويقبل أن يبقى إيزيديًا، أي يؤمن بهويتها. وتضم إلى هذه الطبقة كل شخص أو مجموعة (من كلا الجنسين) من معتنقي الديانات الأخرى الذين يرغبون ترك معتقداتهم والايمان بالديانة الإيزيدية وحمل هويتها.

ربما يستغرب الكثيرون من طرحي هذا، ويستغفر المؤمنون مجرد سماعهم هذا النبأ، ويستغلها آخرون من باب النفاق والتشهير هذا الطرح ضدنا، أبدي لهم ملاحظاتي التالية بكل اختصار:

- للمتدينين أقول ليسألوا رجال الدين وفي مقدمتهم البابا شيخ: أليس بيرة هاجيال أخوال لشيوخ الشيح حسن بن الشيخ آدي الثاني؟ بمعنى كان هنالك شخص من عائلة الشيخ آدي متزوج من بيرة هاجيال. أليس شيوخ الشيخ حسن أنفسهم أخوال لشيوخ شمس الدين وفخر الدين؟ ألا يعرف الجميع قصة الشيخ آل الشمساني مع بنت الشيخ حسن؟! بمعنى الزواج بين العائلتين الآدانية والشمسانية. إذن لماذا كان الزواج حلالاً زمن الشيخ عادي بين تلك الطبقات ويتم تحريمه اليوم؟!

- أليس إيزيدية جبل كورداغ؛ منطقة عفرين وحلب قد تجاوزا جلهم حدود الطبقات ولا يلتزمون بها، مع ذلك يزورهم باستمرار القوالون بمعية الطاؤوس (السنجق) ويلتقي معهم الأمير والبابا شيخ والبيشيمام وبقية رجال الدين ويتقبلون خيراتهم، وهم إيزيديون متمسكون بعقيدتهم ربما أكثر من الآخرين رغم الزواج المتبادل بين الطبقات. إذًا لماذا يتم الكيل بمكيالين؟!

- آلاف مؤلفة من خيرة الشباب والشابات والناس الطيبين من أبناء عشيرة واحدة، ومن جد قريب يعيشون على حدود واحدة، هذا مازال يعتنق الدين الإيزيدي وذلك تحول بسبب ما إلى مسلم، لاحظ مثلاً أبناء عشيرة الماموسية يتوزعون بين قضاء الشيخان وآسكي كلك، وعشيرة القائيدية الإيزيديون منهم في سينا وشيخ خدرى وشاريا، وأبناء أعمامهم في مناطق نيروى، وكذلك الحال عشائر البيدة والكوركورکية بين شنكال وديار بكر... الخ. إذن أين نظرية الدم النقي!

إذا كان هنالك فعلاً من إيزيدي حريص يريد استمرار ديانته ويزيل عنه تهديد الانحلال والانقراض إضافة إلى التفكير بمنطق إنساني أوسع وليس بمنطق عنصري (نقاوة الدم)، يفترض به أن يكون مدافعًا عن

النقطة التاسعة. وأنا أطرحها كي تخرج الإيزيدية عن كونها ديانة مغلقة إلى تقبل نوع من التبشير.

بالمفهوم الإنساني الأشمل، يعتبر الفكر، الفلسفة، العلوم ملكًا لجميع البشرية، ملكًا لكل من يؤمن بها. فإذا كان هنالك بشر يؤمنون بالهوية الإيزيدية وفكرة طاؤوس ملك، لماذا يريد البعض احتكاره لنفسه؟!

المجموعات والجهات تفكر دائمًا بمصالحها أولاً وتستخدم عقولها ثانية، فهل يستغل الإيزيديون هذه المرة مؤتمرهم ليفكروا ويعملوا بمصالحهم ويتركوا العقل بعض الشئ جانبًا؟!

المصادر والمراجع

- البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر، البلدان: وفتوحها وأحكامها، تحقيق د. سهيل زكار، دار الفكر/ بيروت، ط١. ينظر كذلك ابن الأثير، عزالدين أبي الحسن علي بن محمد، الكامل في التاريخ، ج٢، دار صادر/بيروت، طبعة ١٩٩٥.
- تيمور باشا، أحمد، اليزيدية ومنشأ نحلتهم، مؤسسة هنداوي/القاهرة ٢٠١٢،
- البدليسي، شرفخان: شرفنامه، الجزء الأول، ترجمة محمد علي عوني، تقديم يحيى الخشاب، دار احياء الكتب العربية/بيروت، ١٩٨٧.
- البدليسي، شرفخان: شرفنامه، ترجمة كرومي، مجلد١.
- الشنطوفي/نورالدين أبو الحسن علي بن يوسفبن جرير بن فضل اللخمي (ت ٧١٣ه/١٣١٣م): بهجة الأسرار ومعدن الأنوار، طبعة البابي الحلبي، القاهرة ١٣٣٠ هجرية.
- التادفي/محمد بن يحيى الحنبلي (ت ٩٦٣ه/١٥٥٦م: قلائد الجواهر في مناقب الشيخ عبد القادر، القاهرة ١٣٥٦ه، و (الأحمد/سامي سيعد، اليزيدية، ج١.
- أ. ر. جرنى، الحثيون، ترجمة د. محمد عبد القادر محمد، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٧.
- الدكتور محمود الخليل، أحمد: تاريخ مملكة ميتاني الحورية، دار موكرياني للبحوث والنشر/أربيل، الطبعة الأولى ٢٠١٣.
- هاري ساغس Hary Sags: عظمة آشور، ترجمة خالد أسعد عيسى وأحمد غسان سبانو، دار ومؤسسة رسلان، دمشق، الطبعة الأولى ٢٠٠٨. مقتبس من د. أحمد محمود الخليل.

- فقير حجي، بدل: لالش نامه، طهران، الطبعة الأولى ٢٠١٩.
- زكي، محمد أمين: خلاصة تاريخ الكرد وكردستان، تاريخ الدول والامارات الكردية في العهد الاسلامي، ج٢، ترجمة محمد علي عوني، سنة الطبع ١٩٤٥.
- البروفيسور كليوسوف، أناتولي: الإنسان بين العلم والاسطورة/شجرة النسب/ والتاريخ الجيني للإنسان، ترجمة عبد الله أحمد، دار كنعان للدراسات والنشر، بيروت.
- د. عوض، لويس: مقدمة في فقه اللغة العربية، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة ٢٠٠٥.
- جون س. غيست: تاريخ اليزيديين، ترجمة عماد جميل المزوري، الدار العربية للموسوعات، بيروت ٢٠٠٦، ص١٢١-١٣٣.
- جون كيست، الحياة بين الكورد...تاريخ الايزيديين، ترجمة عماد جميل مزوري، مطبعة سبيريز/ دهوك.
- د. أحمد، جمال رشيد: ظهور الكرد في التاريخ، دار آراس للطباعة والنشر/ أربيل، ط١، ٢٠٠، ص ٦٠١.
- ج. بيرسي بادجر: النساطرة وطقوسهم، ج١.
- جين اوتر، رحلة الى تركيا وبلاد فارس، ج١.
- الناصري، سيد أحمد علي: تأريخ وحضارة مصر والشرق الأدنى في العصر الهلنيستي، دار النهضة العربية، القاهرة ١٩٩٢.
- د. الماجدي، خزعل: مصدر سابق ص٣٧.)
- العلوي، هادي: فصول من تاريخ الإسلام السياسي، مركز الأبحاث والدراسات الاشتراكية في العالم العربي، نيقوسيا- قبرص ١٩٩٥
- د جندي، خليل: صفحات من الادب الديني الايزيدي، باللغة الكردية، دار سبيريز/دهوك، الطبعة الثانية ٢٠١٣

- د. جندي، خليل: الايزيدية والامتحان الصعب، دار آراس/أربيل، الطبعة الأولى.

- د. جندي، خليل: الدين الايزيدي/ المعتقدات، الميثولوجيا، الطبقات الدينية، الطبعة الثالثة، بيروت ٢٠١٨.

- أبو سينم، حاجي: المنتظر، الجزء الثاني-المقدس، مطبعة هاوار/دهوك، الطبعة الأولى.

- عبد المجيد، حمدي وإبراهيم الدوستكي، تحسين: اعتقاد أهل السّنة والجماعة، مكتبة الغرباء الأثرية/السعودية ١٩٩٨.

- سليمان، خدر وشيخاني، سعدالله: شيخان وشيخان بكي، بغداد ١٩٨٨، باللغة الكردية.

- د. حتي، فيليب: تاريخ سورية ولبنان وفلسطين، الجزء الأول والثاني، دار الثقافة- بيروت، ترجمة د. جورج حداد عبد الكريم رافق، ط٣، سنة (١٩٦٠)

- العزاوي، عباس: اليزيدية، وأصل عقيدتهم، ١٩٣٥

- العزاوي، عباس: تاريخ العراق بين أحتلالين، الجزء السابع.

- د زايد، عبد الحميد: الشرق الخالد/مقدمة في تاريخ وحضارات الشرق الأدنى من أقدم العصور حتى ٣٢٣ ق.م.، دار النهضة العربية، القاهرة ١٩٦٧. مقتبس من الدكتور أحمد محمود الخليل.

- الدكتور الوردي، علي: لمحات إجتماعية من تاريخ العراق الحديث، الجزء الثالث، دار كوفان للنشر- لندن،١٩٩٢.

- مزوري، عبد الرحمن: تاج العارفين عدي بن مسافر الكردي الهكاري ليس أموياً!! إصدارات مركز هافيبوون للدراسات والنشر الكردية، الطبعة الثانية، برلين ٢٠٠٤.

- الدملوجي، صديق: إمارة بهدينان أو امارة العمادية، بغداد ١٩٥٢.

- صديق الدملوجي، اليزيدية، بغداد ١٩٤٩.
- ابن فضل الله العمري، شهاب الدين: مسالك الأبصار، ترجمة كواتريمير.
- نعيمة، مصطفى: تاريخ نعيمة، ج٥.
- الدكتور توفيق، زرار صديق: القبائل والزعامات القبيلة الكردية في العصر الوسيط، ط١، مطبعة آراس/اربيل ٢٠٠٧.

المُؤتمرات والندوات

- الندوة العلمية للأدب الكردي، برلين ٢٨-٢٠٠١/٤/٢٩.
- ندوة علمية في منظمة زوزك ببرلين ٢٠٠٢/٦/٢٣.
- مؤتمر بيروت ٢٩-٣٠/آذار/٢٠١٦.

المجلات:

- د. زرار صديق، مجلة لالش، العدد ٥، لسنة ١٩٩٥.
- د. خليل جندي، مجلة روز، العدد ٦، لسنة ١٩٩٨.
- د. خليل جندي، مجلة روز، العدد ١١&١٢، أيار/٢٠٠٢.
- صقر شنكالي، مجلة لالش/ دهوك، العدد١٧، كانون الثاني/٢٠٠٢.
- مجلة كاروان ـ المسيرة الأعداد ٥٢ و٥٣ سنة ١٩٨٧ عن الأمانة العامة للثقافة الشباب باللغتين الكوردية والعربية».
- بدل فقير حجي، مجلة لالش، العدد ٢٢ لسنة ٢٠٠٥ دهوك.

الجرائد

- جريدة الحياة، العدد ١٤٠٥، في ٢٠٠١/١١/٤.
- جريدة المؤتمر، العدد ٣٠٠، في ٢٠_٢٠٠٢/٤/٢٦.
- جريدة المؤتمر، العدد ٣٠٧، في ٢٠٠٢/٦/١٥.

المَواقع الإليكترونية

- إحصائية صادرة بتاريخ ١٥/ ٢/ ٢٠٢١ من مكتب انقاذ المختطفين الايزيديين والنازحين والمهاجرين أثر هجوم تنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام (داعش).
- نادر شمو، «شيخ الأكراد...الشيخ حسن»، الحلقة الثالثة.
- خالد علوكه، «قريش» في موقع بحزاني نيت.

نبذة عن الباحث

- دكتور خليل جندي رشو
- باحث ومفكر إيزيدي، من مؤسسي مركز مواجهة خطابات الكراهية في العراق، ومعهد دراسات التنوع الديني في العراق، مؤسسة مسارات للتنمية الثقافية والإعلامية.
- مؤرخ، كاتب وباحث في الديانة الإيزيدية.
- عضو المجلس العراقي لحوار الأديان.
- تولد قضاء الشيخان/ نينوى ١٩٥٢.
- يعمل في السلك الدبلوماسي منذ عام ٢٠٠٨، وشغل مناصب عدة في دوائر وزارة الخارجية في بغداد: مدير قسم شمال أوروبا للفترة من (٢٠٠٨-٢٠١١)، معاون رئيس دائرة التخطيط السياسي، معاون رئيس دائرة أفريقيا، معاون رئيس الدائرة الهندسية والفنية، معاون رئيس دائرة شؤون القنصليات للفترة من (٢٠١٥-٢٠١٨)، وفي الخارج شغل منصب نائب رئيس بعثة جمهورية العراق في أوسلو/ مملكة النرويج للفترة من (٢٠١١-٢٠١٣)، رئيس بعثة جمهورية العراق في هانوي/ فيتنام للفترة من (٢٠١٣-٢٠١٥)، رئيس بعثة العراق في مانيلا/ الفلبين للفترة من (٢٠١٨-٢٠٢٠).
- شغل منصب رئيس مركز الإيزيدية خارج الوطن «EZIA» هانوفر/ ألمانيا.
- صاحب امتياز مجلة «ROA» للفترة من (١٩٩٥-٢٠٠٩).
- عمل باحثًا وأستاذ مساعد بجامعة أوغوست- غيورغ، القسم الإيراني، غوتنغن/ ألمانيا للفترة من (١٩٩٦-٢٠٠٥).
- شغل منصب رئيس جمعية الطلبة الأكراد في أوربا «KSSE» مركز براغ/ تشيكوسلوفاكيا سابقًا للفترة من (١٩٨٥-١٩٩١).
- نال شهادة الدبلوم في العلوم السياسية في صوفيا/ بلغاريا عام ١٩٨٤.
- نال شهادة الدكتوراه في التاريخ من جامعة كارلوفي/ براغ عام ١٩٩١.
- شارك في حركة الأنصار/ البيشمركه في كردستان العراق للأعوام (١٩٨٠-١٩٨٤)
- مارس مهنة التدريس والتعليم في متوسطة تل عبطة/ قضاء الحضر، وكلكجي/ قضاء الشيخان بمحافظة نينوى للأعوام (١٩٧٦-١٩٨٠).
- للأعوام (١٩٨٥-١٩٩١) شارك في العديد من المؤتمرات والفعاليات الطلابية والشبابية والعالمية، ومثّل الطلبة الأكراد فيها، منها: (مهرجان الشبيبة العالمي الثاني عشر في موسكو- المؤتمرات واللقاءات العالمية والإقليمية في بيونغ يانغ/ كوريا الشمالية- اولان باتور/ منغوليا- نيقوسيا/ قبرص- هافانا/ كوبا- وارشو/ بولونيا- طرابلس/ ليبيا، فضلاعن براغ/ تشيكوسلوفاكيا).

- شارك في العديد من المؤتمرات والفعاليات العلمية للجامعات الألمانية وغيرها وألقى فيها المحاضرات.
- منذ عام ١٩٧٠ وحتى اليوم يكتب وينشر العشرات من المقالات والأبحاث.

- أصدر العديد من الكتب منها:
- ئيزدياتى لبه ر روشنايا هنده ك تيكستيد ئاييني ئيزديان= الإيزيدية / على ضوء بعض نصوص الديانة الإيزيدية (بالاشتراك مع خدر سليمان)، بغداد ١٩٧٩.
- حركة التحرر الوطني الكردستاني في كردستان الجنوبي ١٩٣٩-١٩٦٨، آراء ومعالجات، مطبعة APEC ستوكهولم / السويد، ١٩٩٤.
- نحو معرفة حقيقة الديانة الإيزيدية، مطبعة رابوون، أوبسالا / السويد، ١٩٩٨.
- أدعية الإيزيدية، كراسين، آينبيك / ألمانيا، ١٩٩٧.
- به رن ز ئه ده بى دينى ئيزديان= صفحات من الأدب الديني الإيزيدي، مجلدين «باللغة الكردية»، دار سبيريز / دهوك. الطبعة الأولى، ٢٠٠٤.
- God and Sheikh Adi are Perfect: Sacred Poems and Religious Narratives from- the Yezidi Tradition بالاشتراك مع البروفيسور فيليب كراينبروك مطبعة فيزبادن / ألمانيا، ٢٠٠٥
- من أذربيجان إلى لالش، إعداد وتحقيق د. خليل جندي، تأليف أحمد ملا خليل، سبيريز / دهوك، الطبعة الأولى ٢٠٠٦.
- الإيزيدية والامتحان الصعب، دار آراس / أربيل، ٢٠٠٨
- Yezidism in Europ، Different Generations Speak about their-Religion ، دراسة ميدانية بالاشتراك مع البروفيسور فيليب كراينبروك، خانى اومرخالي وزكية قرتال، مطبعة فيزبادن / ألمانيا، ٢٠٠٩.
- صفحات من الأدب الديني الإيزيدي، مجلدين «باللغة الكردية»، سبيريز / دهوك. الطبعة الثانية، ٢٠١٣.
- داستانيت حزى كرنى ز جيايى شنكالى= ملاحم الحب من جبل سنجار «باللغة الكردية» دار سبيريز / دهوك، الطبعة الأولى ٢٠١٥.
- ـ السياسات التركية ازاء كردستان العراق (١٩٩١-١٩٩٨)، جامعة السليمانية، الطبعة الأولى ٢٠١٨.
- البحث عن الدين الإيزيدي التاريخي، بيت الكتاب السومري، الطبعة الأولى، بغداد ٢٠٢٣
- الإبادة الجماعية في سنجار، مؤسسة شمس للنشر والإعلام، القاهرة، ٢٠٢٤.
- الإيزيدية ما بعد داعش، مؤسسة شمس للنشر والإعلام، القاهرة، ٢٠٢٤.

• البريد الإلكتروني : khalilrashow@yahoo.de

شمس
للنشر والإعلام

شمس للنشر والإعلام

ت فاكس: ٠١٢٨٨٨٩٠٠٦٥ (٠٢)

www.shams-group.net